مصر النهضة



مصر و القدس

فى العصر العثماني

١٠٧

د. جمال كمال محمود

مصر النهضة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

مصـر والقدس

فى العصـر العثماني

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. شريف كامل شاهين

محمود، جمال كمال.

مصر والقدس فى العصر العثمانى/ تأليف جمال كمال محمود .. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، ٢٠١٦.

٢٣٧ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك 0 - 1247 - 18 - 977 - 978

١ – فلسطين ـ تاريخ ـ العصر العثمانى ١٥١٦م

٢ – مصر ـ تاريخ ـ العصر العثمانى (١٥١٧ – ١٩١٤م)

٣ – مصر ـ العلاقات الخارجية ـ فلسطين

أ – العنوان

٩٥٦,٩٠١

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٨٦ / ٢٠١٦

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1247 - 0



مصر والقدس

فى العصر العثماني

تأليف

د. جمال كمال محمود





دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

مصر النهضة



سلسلة دراسات علمية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر

الأراء الواردة بالنص لا تعبر عن رأى هيئة التحرير ولكن تعبر عن رأى المؤلف

أسس هذه السلسلة

أ.د. يونان لبيب رزق

عام/ ١٩٨٣

للمراسلات / مركز تاريخ مصر المعاصر/ دار الكتب والوثائق القومية/ كورنيش النيل - رملة بولاق.

الإهداء

إلى كل من يساهم في الحفاظ على هوية القدس

العربية الإسلامية

المؤلف

تقديم

القدس عزيزة على قلب كل مسلم ومسيحى، وعلى كل إنسان يعمر الإيمان قلبه بالحق والعدل وخير البشر أجمعين، لكن المحبة والمعزة لا تكفيان إن لم تشفعا بعمل وجهد دائب فى سبيل حمايتها وصيانتها، الأمر الذى يكسب المشاعر معناها ومغزاها، انتصارا للحق وتضحية فى سبيله بالنفس والنفيس، وقد حظيت القدس باهتمام المؤرخين والكتاب والساسة، لموقعها الفريد فى قلب كل مؤمن فكتب عنها معظم من زارها من الرحالة العرب والأتراك والأجانب، وتناولت الكتابات جوانبها التاريخية وجوداً وحضارة، عبر مراحل التاريخ جميعاً. وانعقدت لها ندوات ومؤتمرات علمية عديدة فى عواصم العالم الإسلامى على نحو خاص. وكتب عنها مؤرخو المدن، وحققت الكثير من المخطوطات وكتب التراث المتصلة بتاريخها لتأكيد هويتها العربية والإسلامية، ولا تزال تثرى المؤلفات والدراسات التى تتناول جوانب جديدة من تاريخ المدينة المقدسة العريقة، خاصة ما يتصل بعلاقاتها مع حواضر العالم الإسلامي..

وهذا الكتاب الذى يسعد "مصر النهضة" أن نقدمه فى هذا العدد، والذى ألفه الدكتور جمال كامل محمود، يتناول بالدراسة جوانب مهمة من العلاقات والصلات التاريخية بين مصر والقدس خلال العصر العثمانى، أى خلال القرون الثلاثة التى حكم فيها الأتراك العثمانيون العالم العربى منذ بدايات القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد اقتضى ذلك منه أن يعود إلى نشأة هذه الصلات منذ العصور القديمة، مروراً بالعصور الوسطى وحتى بداية الحكم العثمانى، ثم انتقل المؤلف إلى متابعة رصد ودراسة التواصل الحميم بين المقدسيين، الذين كونوا جالية متميزة بالقاهرة وبعض مدن الأقاليم وبين المصريين الذين تواجدوا واستقروا بالقدس، وقد درس المؤلف ما ترتب على ذلك من علاقات اقتصادية وخاصة التجارية منها، ونشاط الجانبين فى ممارسة الحرف والصناعات التى ميزت كل جالية منهما، وأوضح أن المقدسيين بالقاهرة نتيجة نشاطهم الاقتصادي قد احتلوا مكانة مهمة فى البناء الاجتماعي للمدينة خلال الفترة التى تناولتها الدراسة.

وقد حظيت الصلات العلمية والثقافية بين المقدسيين والمصريين باهتمام المؤلف، فاختصها بفصل متميز عالج موضوعه وتابع نشاط العلماء فى هذا المجال، وكشف كيف كان الأزهر الشريف حاضنة عربية إسلامية استقبلت علماء وطلاب القدس، وكيف حظى علماء القدس بالتدريس فى الأزهر حتى صاروا من صفوة علمائه..

ومن الموضوعات المهمة التى تناولها الكاتب موضوع الحج والزيارة للأماكن المسيحية المقدسة فى القدس من جانب المسيحيين المصريين، حيث تضم القدس مزارات لمختلف الطوائف المسيحية، الأمر الذى انعكس على تقوية علاقة المقدسيين بالمصريين.. وقد عالج مؤلفنا كذلك دراسة الأوقاف المصرية، المسيحية والإسلامية، التى أوقفت على مساجد القدس وكنائسها وأديرتها ومدارسها، والتى كان لها دور مهم فى دعم وتقوية الصلات والعلاقات بين المصريين والمقدسيين.

وغنى عن القول أن المؤلف استعان بكثير من الوثائق التى أصلت موضوعه المودعة بدار الوثائق القومية، خاصة سجلات المحاكم الشرعية سواء فى القاهرة أو الإسكندرية، كدفاتر الرزنامة والمخطوطات غير المنشورة والمنشورة، بالإضافة إلى كم كبير من المراجع والدراسات الحديثة العربية وغير العربية، والتي أحسن الاستفادة منها والاقتباس عنها مما أكسب الدراسة أصالة وعمقاً.

وإننا نهنئ الدكتور جمال كمال محمود – الباحث بوزارة الثقافة – على هذه الدراسة وعلى دراساته السابقة المهمة عن تاريخ الأرمن وتاريخ مصر فى العصر العثمانى. والذى يحرص دائماً على أن يشارك بمحاضراته ودراساته فى ندوات ومؤتمرات العديد من المؤسسات الثقافية وعلى رأسها مكتبة الإسكندرية والمجلس الأعلى للثقافة والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ونتمنى له المزيد من التوفيق واستمرار العطاء، خدمة لتاريخنا القومى العربى.

والله المستعان . . .

رئيس التحرير

أ. د. أحمد زكريا الشِّلق

يناير ٢٠١٦

المقدمة

تعود فكرة هذا الكتاب إلى وقت اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية، ففكرت لأول وهلة في الكتابة عن " مصر والقدس في العصر العثماني": لكي أساهم في التأصيل لوشائج القربى التي تجمع مصر بهذه المدينة المقدسة، مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين وثالث الحرمين.

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد، بل هناك ما هو أهم، وهو وجود مادة وثائقية مهمة عن العلاقات بين مصر والقدس – على كافة الأصعدة – في حوزتي كنت قد جمعتها في مطلع القرن الحالي أثناء إعدادي لرسالة الدكتوراه، وهي مادة جدّ قيّمة، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك الارتباط القوي بين مصر والقدس في الفترة محل الدراسة.

بيد أنني رأيت أنه من الواجب ألا أهمل العلاقات بينهما قبل العصر العثماني، خاصة أن التاريخ كلٌّ لا يتجزأ، ولا يمكن وضع حدود فاصلة بين عصر وآخر: بمعنى أنه خلال فترة - قد تطول أو تقصر - تنتهي خصائص عصر، وتبدأ خصائص عصر جديد: لذلك لجأت للمكتبات للاطلاع على المصادر والمراجع التي عالجت تلك العلاقات منذ العصور القديمة حتى مطلع العصر العثماني: حتى تكون الدراسة متصلة الحلقات.

وأؤكد أنني فوجئت – كباحث في التاريخ الحديث – بهذا الكمّ من الدراسات التي عالجت تاريخ المدينة المقدسة بشكل عام، ومن ثم حمل الفصل الأول عنوان " مصر والقدس حتى مطلع العصر العثماني"، ورصدنا فيه ارتباط مصر بالقدس منذ العصر الفرعوني، وكيف أن النقوش والمصادر التاريخية قد أكدت عروبة القدس منذ تأسيسها على يد اليبوسيين، وهم عرب كنعانيون، وتطور مسميات المدينة، وكيف كانت في بؤرة الاهتمام المصري في العصر الفرعوني وبعده خلال حقب التاريخ المختلفة إلى أن فتحت

القدس ومصر، وأصبحتا جزءًا من الدولة العربية الإسلامية، وتطورات العلاقات بينهما حتى العصر العثماني.

وناقشنا في الفصل الثاني موضوع "المقدسيون في مصر والمصريون في القدس"، وكيف استقر المقدسيون في القاهرة في بعض الأحياء: كحي الجمالية، الذي كان مركزًا تجاريًا مهمًا، ووكالة الصابون وخان الحمزاوي وغيرها. كما أشرنا لوجود بعض المقدسيين في بعض مدن الأقاليم: كالإسكندرية ودمياط، وعرضنا في المقابل للوجود المصري في القدس، وكيف كان لذلك أثره في دعم العلاقات بينهما.

وعرضنا في الفصل الثالث لـ"العلاقات الاقتصادية" التي شهدت تطورًا في العصر العثماني، خاصة في ظل خضوع مصر والقدس لحكم دولة واحدة، ووجدنا جالية مقدسية في مصر؛ مما ساعد على التبادل التجاري بين البلدين. وقد نتج عن استقرار هذه الجالية وتحقيق البعض من أفرادها فائضًا ماليًا استثمروه في شراء العقارات والحواصل والوكالات، كما لجأ عدد من المقدسيين للعمل في بعض الحرف المهمة، وساعد ذلك على تشعب علاقات المقدسيين الاقتصادية في مصر، وتحقيق البعض منهم وضعًا اقتصاديًا مكنهم من تجميع ثروات تعد كبيرة، ومن ثم حققوا مراكز متقدمة في سلم الهرم الاجتماعي المصري.

وخصص الفصل الرابع لـ"العلم والعلماء بين مصر والقدس"؛ حيث يلعب العلم دورًا مهمًا في العلاقات بين الشعوب، فدور العلم لا يقل عن السياسة والاقتصاد في هذه الناحية، بل ربما يتفوق العلم. وكان الأزهر – ولا يزال – حلقة وصل قوية ليس بين مصر والقدس فحسب، بل بين مصر وأغلب الدول الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

وساعد وجود الأزهر على نزوح العديد من المقدسيين للدراسة فيه، ثم قام البعض من هؤلاء بالتدريس بعد ذلك فيه، وحقق البعض منهم مكانة متميزة في عصره، وارتبط الكثير من العلماء المقدسيين بكبار العلماء في مصر وبعض كبار الأمراء، ومن ثم ارتبطت الصفوة العلمية بالصفوة الحاكمة، أو إن شئت فقل ارتبط العلم بالسياسة.

وعلى الجانب الآخر وجد بعض العلماء المصريين في القدس سواءً للزيارة أو الاستقرار، فكانوا حلقة وصل بين البلدين، ومما ساعد على ذلك وجود المكتبات التي أمدت العلماء والباحثين بالمادة العلمية اللازمة لبحوثهم، سواءً المكتبات الإسلامية أو مكتبات أهل الذمة.

أما الفصل الخامس فكان بعنوان " الزيارة الدينية المسيحية (الحج) إلى القدس"، وكانت تلك الزيارة أملاً تشرئب إليه الأعناق: حيث تعددت المزارات المسيحية للطوائف المختلفة، وساعدت قوافل "الحج" على تقوية العلاقات بين البلدين اقتصاديًا واجتماعيًا ودينيًا، كما كان الحج موردًا للمزارات الدينية، وكان له دوره في الانتعاش الاقتصادي سواءً في القدس أو في مصر على السواء.

ودرس الفصل السادس "القدس في الأوقاف المصرية": حيث عرض لظاهرة الوقف وأهميتها، والأوقاف الإسلامية على المساجد والمدارس والأوقاف القبطية على الكنائس والأديرة، وعلى الفقراء القاطنين بها إلى جانب الأوقاف الأرمنية، ولا شك في أن ريع تلك الأوقاف قد ساهم بدور كبير في تقوية واستمرارية العلاقات بين البلدين.

وقد اعتمدت في إعداد هذا الكتاب على العديد من المصادر والمراجع؛ يأتي في مقدمتها المصادر الأولية، وخاصة الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية، وهي سجلات المحاكم الشرعية التي تزداد قيمتها يومًا بعد يوم كمصدر لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، والعلاقات بين الولايات العثمانية. وقد اعتمدنا على عدد ليس بالقليل من سجلات تلك المحاكم من وحدات أرشيفية متنوعة يأتي في مقدمتها سجلات محكمة القسمة العربية، ومحكمة الباب العالي، والصالحية النجمية، والزاهد، إلى جانب محكمة القسمة العسكرية، ومحكمة الإسكندرية.

واعتمدنا كذلك على بعض دفاتر الروزنامة الخاصة بالالتزام، إلى جانب بعض المخطوطات التاريخية.

وكان للمصادر العربية المنشورة دور مهم في سد بعض الثغرات في هذه الدراسة، والتي عكست وجهة نظر المؤرخين المعاصرين تجاه تلك الأحداث التي كتبوا عنها، والتي عايشوا بعضها.

وكان لموسوعة وصف مصر دور مهم، وشكلت مع كتابات الرحالة الأجانب ما يمكن وصفه بوجهة النظر الغربية أو رؤية الأنا في مرآة الآخرين.

وأمدت المراجع العربية والمعربة، وكذلك الأجنبية: إنجليزية وفرنسية هذه الدراسة بمادة وفيرة، ساعدت في سد الكثير من الثغرات، خاصة فيما يتعلق بعلاقات مصر بالقدس في العصور القديمة والوسطى، وأهميتها بالنسبة للعصر العثماني ليست بالقليلة، فيما يتعلق ببعض الموضوعات التي لا تتعرض لها الوثائق بشيء من التفصيل.

وحاولنا قدر المستطاع أخذ الكتابات الغربية – بخاصة – بشيء من الحذر سواءً اتفقنا مع بعض القضايا التي تطرحها أم اختلفنا مع بعض الجزئيات.

ولا يفوتني أن أحيّي كل من يحاول أن يلعب دورًا في حل قضية القدس بحيدة وموضوعية؛ حتى تبقى القدس عربية إسلامية.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

مصر والقدس حتى مطلع العصر العثماني

ارتبطت مصر بالقدس منذ العصر الفرعوني، وقد أكدت النقوش والمصادر التاريخية عروبة القدس منذ تأسيسها على يد اليبوسيين، وهم عرب كنعانيون ساميون. وكان اسمها الأول "يبوس"، ثم أطلق عليها اسم "سالم" و"شالم"، وهو أحد ملوك اليبوسيين، ثم أصبح اسمها "أورو - سالم"؛ أي مدينة السلام.

وقد تقدم فرعون مصر لحماية "أورو سالم" من غارات العبرانيين بناءً على طلب من حاكمها، ثم عيَّن تحتمس الثالث على "أورو سالم" حاكمًا مصريًا. وأصبحت في بؤرة الاهتمام المصري في عهد الكثير من الفراعنة.

وعندما تراجع المدّ المصري، وقعت أورشليم تحت النفوذ الآشوري إلى أن انتهى، وتطلع المصريون والبابليون للسيطرة على أورشليم، ولكن نجح البابليون في السيطرة عليها.

وبعد ردح من الزمن خضعت أورشليم للإغريق، وأصبحت مصر والقدس من نصيب القائد بطليموس الذي أسس دولة البطالمة في مصر.

واستمرت أورشليم جزءًا من مصر إلى أن سيطر الرومان على الشام ثم على مصر نفسها، وأصبحت أورشليم تحت الحكم الروماني مثلها مثل مصر، إلى أن انتقل مركز ثقل الإمبراطورية الرومانية من الغرب إلى الشرق فيما يعرف بالدولة الرومانية الشرقية أو الإمبراطورية البيزنطية، إلى أن امتدت الفتوحات الإسلامية وتم فتح الشام ومصر، وبدأت حقبة جديدة هي الحقبة الإسلامية.

واهتم الأمويون بعمارة القدس بإنشاء قبة الصخرة وتجديد المسجد الأقصى، وأصبحت مصر والقدس بعد ذلك تحت الحكم الطولوني، ثم الإخشيدي، فالفاطمي.

وقُدر للفاطميين أن يواجهوا الصليبيين، ولكن سقطت أورشليم في يد الصليبيين، واستمرت تحت سيطرتهم نحو تسعين عامًا، إلى أن نجح صلاح الدين الأيوبي في استردادها، واهتم بتحصينها وعمارة أسوارها هو وخلفاؤه.

وعقب قيام سلطنة المماليك في مصر والشام أولاها السلاطين المماليك عناية خاصة، وزارها العديد منهم، وطوروا الحرم القدسي الشريف، وبنوا فيه الكثير من المنشآت العمرانية التي خلدت ذكر الكثير منهم حتى الآن.

وبعد ضعف سلطنة المماليك وسقوطها، خضعت مصر والقدس للدولة العثمانية، وكانت القدس في بؤرة اهتمام الكثير من السلاطين العثمانيين خاصة السلطان سليمان.

وقد تطورت علاقات مصر بالقدس خلال العصر العثماني على نحو ما سنرى.

- موقع القدس وتطور مسمياتها عبر التاريخ:

تقع مدينة القدس على خط عرض ٤٧/٣١ شمالاً، وخط طول ٣٥/١٤ شرقًا، وتعتمد على عدة ينابيع كموارد مائية شأنها شأن مكة المكرمة، وعلى الرغم من عدم وقوعها على مورد مائي يتيح لها قيام الزراعة كنمط حضاري مهم حتى يمكن جذب عناصر بشرية إليها، إلى جانب تربتها البركانية؛ فإن وقوعها على الطرق التجارية المهمة، ووخصوصيتها كبقعة مقدسة مباركة من الله سبحانه وتعالى، وبدلالة الديانات السماوية، ووجود مزارات مقدسة، فما فيها موضع شبر إلاً وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك؛ مما جعلها محط أنظار العالم[١]، وارتفعت مكانتها في نفوس المسلمين والنصارى واليهود في كل بقاع الأرض.

وتنسب مدينة القدس إلى اليبوسيين وهم بناة القدس الأوائل، وكانت تدعى على عهدهم "يبوس"، وهم بطن من بطون العرب الأوائل، نشأوا في الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية فاستوطنوها[٢].

ويبوس أحد أولاد كنعان العرب الساميون، وهذا يؤكد عروبة القدس، واسم يبوس أول أسماء القدس، وكان "ملكي صادق" أول من اختطها وبناها وحصَّنها[٣].

وكان "ملكي صادق" محبًا للسلام، ولذلك أطلق عليه "ملك السلام"، ومن هنا جاء اسم المدينة "سالم" و"شالم".

ومن ملوك اليبوسيين "سالم اليبوسي" الذي زاد في بنيانها، وبنى برجًا من أجل الدفاع عنها، وأصبحت المدينة تعرف بعد ذلك باسمها الكنعاني "أورو - سالم"؛ أي مدينة السلام(٤)، أو "أورشليم". وهذا المسمى آرامي الأصل، من مقطعين أولهما: "أور" بمعنى مدينة، والثاني: "شاليم" أو سالم بمعنى السلامة، والمقصود سلامة القوافل؛ لأن مدينة "يبوس" كانت ذات أهمية من الناحية التجارية؛ حيث تقع على طريقين من أهم طرق التجارة: أحدهما يربط البحر بالصحراء، والآخر يربط مدينة الخليل بمدينة بيتين من أعمال رام الله. وظلت يبوس "أورشليم" حتى حوالي عام ١٠٢٠ق. م لا يسكنها يهودي واحد(٥).

وظل اسم "يبوس" يتردد جنبًا إلى جنب مع اسم "أورشليم" حتى التسلل العبري إلى أرض كنعان كما وصفته التوراة "وحارب بنو يهوذا أورشليم، وأخذوها، وضربوها بحد السيف، وأشعلوا المدينة بالنار".

واستمر مسمى "أورشليم" مستخدمًا من جانب التسلل اليهودي الطارئ لإضفاء قداسة على المدينة اليبوسية التي هي في أصولها الأولى راسخة الجذور العربية، بترديد صقوس "يهوه" مقترنة بمسمى "أورشليم" بنص من أشعيا – "من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة يهوه"(٦).

ولما ضعف اليبوسيون استغل العبرانيون الفرصة، وكادوا يقتحمون المدينة، ولم يكن فيها سوى حامية صغيرة عندئذ طلب حاكمها "عبد حيبا" العون من فرعون مصر. ومن هنا جاءت بداية العلاقة بين مصر والمدينة الخالدة التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ.

- مصر والقدس في العصر الفرعوني:

عندما طلب حاكم "أورو سالم" حماية فرعون مصر من غارات العبرانيين – طبقًا لما أشارت إليه ألواح تل العمارنة – كان ذلك في عهد الملك تحتمس الأول، ولكننا لا نعلم رد فعل الفرعون المصري على الطلب اليبوسي.

ولكن المؤكد أن يبوس خضعت خضوعًا تامًا لمصر في عهد الملك تحتمس الثالث (١٤٧٩ق. م) الذي عيَّن عليها حاكمًا مصريًا، وبعد ذلك أصبحت القدس محل اهتمام

العديد من فراعنة مصر، بل زارها البعض منهم مثل أمونحتب الثالث (١٤١٣ق. م) وإخناتون – أمونحتب الرابع – (١٣٧٥ق. م) الذي كانت يبوس – القدس – من ممتلكات مصر المهمة في عهده.

وكان الفراعنة يطلقون عليها اسمها اليبومى: "يابيشي" تارة، واسمها الكنعاني: "أورو - سالم" تارة أخرى.

وهناك إشارات في التوراة تؤكد أن اليهود لم تكن لهم أدنى علاقة بنشأة القدس، وأنهم كانوا يرون أنفسهم غرباء عنها؛ ففي نحو سنة ١١٥٠ق. م، تقول ما نصه: إذ روي أن إسرائيليًا وامرأته وغلامه أدركهم الليل في سفرهم "وفيما هم عند القدس، والنهار قد انحدر جدًا قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة الكنعانيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل"[٧].

واهتم الفراعنة بالقدس، وكان لهم بها قوة عسكرية، وكان الهدف من ذلك حماية طريق التجارة، ولم يحاول المصريون تمصيرها، بل اكتفوا بتحصيل الجزية من سكانها[٨].

ولم يهتم المصريون بشئون المدينة الداخلية، ولم يتدخلوا فيها، ولكنهم اكتفوا بتقديم المساعدة لها في حروبها مع أعدائها، وكثيرًا ما تمرد الكنعانيون، وثاروا على المصريين، وأبوا أن يدفعوا لهم الجزية، واستغل العبرانيون هذا الأمر، وزحفوا على يبوس، ولكن لم يتمكن يوشع بن نون من احتلال يبوس لتحصينها القوي ولمقاومة اليبوسيين.

ولكن في عهد داود - عليه السلام - نجح العبرانيون في الاستيلاء على يبوس، وكان ذلك عام ١٠٤٩ق. م، واقتبس العبرانيون حضارة يبوس.

وقد أطلق داود عليها اسم (مدينة داود)، وبعد موت داود تولى حكمها ابنه سليمان – عليه السلام - الذي اتسعت القدس في عهده، وبعد موته زحف فرعون مصر شيشنق، واستولى على أورشليم عام ٩٧٠ق. م، ونهب خزائنها، وعاد إلى مصر[٩].

وهكذا كانت القدس في بؤرة اهتمام مصر في العصر الفرعوني، وكانت محل اهتمام العديد من فراعنة مصر.

وقد تراجع المد الفرعوني في القدس بعض الشيء، وغزا الآشوريون أورشليم عام ٧٣٠ ق. م في عهد ملكهم شلمنصر، ولكن لم يتمكنوا من الاستقرار فيها زمنًا طويلاً، ولم يستتب النفوذ الآشوري في أورشليم بل وجنوب فلسطين بعد أن ارتد عنها شلمنصر.

ولم تدخل أورشليم في حكم الآشوريين إلا في عهد الملك الآشوري سنحاريب الذي نجح في دخولها، وظلت أورشليم في تبعيتها للآشوريين فترة من الزمن.

وقد ورد اسم أورشليم في نقوش الملك الآشوري سنحاريب باسم "أوروسليمو"، وأحيانًا أخرى باسم "يورو - سالم"؛ أي مدينة الرب سالم[١٠].

وبعد تقلص الوجود الآشوري عن أورشليم، تطلع المصريون للسيطرة عليها، وكذلك البابليون الذين سيطروا على العراق، وقضوا على الدولة الآشورية، وتعرف مملكة بابل هذه بـ"الجديدة" أو البابلين الكلدانيين (٥٣٩-٦٢٦ق. م)[١١].

وقد تنازع الفريقان المصري والبابلي السيادة على أورشليم؛ حيث طمع البابليون في إحياء الأملاك الآشورية الغربية في الشام، وبدأوا يعملون للسيطرة على بادية الشام وسوريا وفلسطين، ولكن طموحهم أثار مخاوف مصر من عودة التنافس على الطرق التجارية في الشام، فخرج الفرعون نيكاو الثاني بجيشه إلى فلسطين، وكسر شوكة مملكة يهوذا التي أرادت أن تنتصر في عهد يوشيا للقوة البابلية الجديدة.

وواصل الفرعون طريقه إلى سوريا؛ ليوقف مسيرة الاحتلال البابلي الجديد، ثم واصل طريقه نحو الفرات، ولكن انتصاراته أسكرته، وأخذه الزهو، فعاد وتوقف بجيوشه فترة طويلة في لبنان؛ حيث أمر بتسجيل انتصاراته على صخور وادي الكلب، فكان توقفه بجيوشه فرصة سانحة اغتنمها البابليون الذين تجمعوا بقيادة ولي العهد نبوخذ نصر، والتقت بالقوت المصرية في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ق. م، ونجحت في أن توقف زحفهم[١٢].

وحاول المصريون أن يعيدوا الكرة لمهاجمة مصالح بابل في الشام عن طريق البحر، ولكن لم يكتب لهم التوفيق.

وفي عصر بسماتيك الثاني (٥٨٨-٥٩٤ق. م) حاول المصريون استعادة نفوذهم في الشام؛ حيث أشارت نصوص عسكرية في أبي سمبل إلى امتداد نفوذه حتى قرقميش.

وروى هيرودوت أن فرعون مصر أبريس "واح إب رع" (٥٦٨-٥٨٨ق. م) هاجم صيدا وصور برًا وبحرًا بعد خضوعهما للبابليين؛ خوفًا من اتخاذها سبيلاً لمهاجمة مصر عن طريق البحر[١٣].

وخاض نبوخذ نصر حروبًا مع أورشليم عاصمة يهوذا. وقد تذبذب ولاء يهوذا بين مصر وبابل في بداية النهضة البابلية، وكان أن هزم الفرعون نيكاو- كما رأينا – حاكم أورشليم يوشيا اليهودي عام ٦٠٨ق. م في مجدو، وعزل ولده من بعده، وعين على المدينة يهوياقيم، وألزمه بدفع الجزية.

وظل الأمر كذلك حتى زال خوف أورشليم من مصر بعد موقعة قرقميش، فعادت إلى ترددها في علاقاتها مع بابل بين الطاعة والعصيان، حتى هاجمها نبوخذ نصر حوالي عام ٦٠٠ق. م، فاستسلمت له بسهولة، وأعلن له حاكمها يهوياقيم الطاعة، وصار عبده ثلاث سنوات على حد تعبير سفر الملوك، ثم ثار عليه، وكوّن حلفًا ضده، فهاجمه نبوخذ نصر وضربه بمن خرجوا عن حلفه من أهل الشام، وانتصر البابليون وأعوانهم في عام ٥٩٧ق. م، وأسروا ملك أورشليم وعدة آلاف من جنوده وأهل دولته، وكان فيهم ألف من الصناع، وأمر نبوخذ نصر بنفي الأسرى جميعًا إلى بابل، وأطلق اليهود على هذا النفي اسم السبي الأول[١٤].

وعيَّن نبوخذ نصر "صدقيا" اليهودي واليًا على أورشليم، تحت إشرافه، فظلت يهوذا خاضعة للبابليين أحد عشر عامًا، ثم ثارت عليهم، وعاودت جيوش نبوخذ نصر مهاجمة أورشليم في عام ٥٨٨ق. م، وشددت الحصار عليها، ولكنها اضطرت إلى رفع الحصار بعد أن تحركت الجيوش المصرية لمساعدتها في عهد " واح إب رع "، ثم عاودت حصارها مرة أخرى وضيقت عليها تضييقًا شديدًا نحو عام ونصف عام حتى دخلتها في عام ٥٨٦ ودمرتها، وأحرقت هيكل سليمان، ونقلت خزائنه، ونفت أكثر من أربعين ألفًا من أهلها إلى بابل؛ لينوحوا عند الفرات على حد قول التوراة.

وأسر البابليون صدقيا عند أريحا، وفعلوا معه ما اعتاد اليهود أن يفعلوه مع بعضهم البعض، بل ومع أنبيائهم أيضًا الذين كانوا يقتلونهم بغير حق، فقتلوا أولاده أمامه، ثم فقأوا عينيه ليكون سفك دم أولاده آخر منظر يراه (في ربله على نهر العاصي).

واعتبرت التوراة ما حل باليهود حينذاك عقابًا لهم على "تماديهم في عصيان الرب حتى ثار غضبه على شعبه فأصعد عليهم الكلدانيين"[١٥].

وصدق الله تعالى حيث قال في قرآنه الكريم: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾[١٦]. والعلو هنا هو التمادي في الظلم. أمّا إرميا داعية الخضوع لبابل، فقد لجأ مضطرًا مع جماعة كبيرة ممن نجوا من القتل والتشريد إلى مصر، فوسعتهم رحابة صدرها.

وقد تابعت جيوش نبوخذ نصر مهاجمة المدن الفينيقية والسورية، وكانت أشد هذه المدن مقاومة لها مدينة صور التي ظلت تقاوم ثلاثة عشر عامًا (٥٨٥-٥٧٣ق. م)، أبدت فيها من البسالة صورًا مشرفة، وساعدها على المقاومة اتصالها بجزيرة لها بالبحر، ثم رضيت في نهاية الأمر بصلح اعترفت فيه بسيادة البابليين، واضطرت تحت ضغطهم إلى معاونتهم ضد مصر؛ حيث أرادوا أن يتخذوها قاعدة لمهاجمة السواحل المصرية عن طريق البحر[١٧].

وهكذا كانت أورشليم مجالاً للصراع بين القوتين المصرية والبابلية ردحًا من الزمن، حتى قدر للبابليين السيطرة عليها سيطرة تامة.

وقد كان البابليون يطلقون على أورشليم اسم "أورو- سالم"، ورغم انتشار اللغة البابلية كلغة رسمية حتى الغزو الفارسي فإن الكنعانية كانت هي اللغة الدارجة بين السكان.

وعندما نجح كورش ملك الفرس في هزيمة البابليين ٥٣٩ق. م، وصل إلى "أورو - سالم"، واحتلها عام ٥٣٨ق. م، وظلت تابعة للفرس تمهد لهم سبل العبور إلى مصر حتى احتلها الإغريق عام ٣٣٢ق. م[١٨].

- مصروالقدس في العصرالإغريقي:

نجح الإسكندر الأكبر في دخول أورشليم عام ٣٣٢ق. م عقب انسحاب الفرس منها. واستقبله أهلها بالرضا والارتياح، وأقر لأهلها عاداتهم، وأمرهم أن ينخرطوا في الجيش، وأعفاهم من دفع الجزية، وكانت القدس تدعى يروشاليم، ثم أصبحت تسمى باسم "هيروسوليما"[١٩].

وبعد موت الإسكندر الأكبر ٣٢٣ق. م، قسمت إمبراطوريته بين كبار القادة، وكانت مصر من نصيب بطليموس، وهو الملقب ببطليموس الأول، وعادت القدس إلى أحضان مصر من جديد؛ فبعدما أسس بطليموس دولة البطالمة في مصر أصبحت القدس من نصيبه.

وقد أراد اليهود مقاومة بطليموس الأول ملك مصر، ولكنه جرد لهم جيشًا فتح به "هيروسليما"، ودك قسمًا من حصونها وبطش بسكانها، وأسر منهم نحو مائة ألف أسير إلى مصر عام ٣٢٠ق. م.

واستخدم بطليموس يهوديًا يدعى يوسف بن طوبياس كرئيس لجباة الضرائب، فجمع هذا اليهودي الضرائب بالقوة، وذاق الناس مرارة العيش على يديه[٢٠].

وقد ظلت "هيروسليما" تحت حكم البطالمة في مصر من عام ٣٢٠-١٦٨ق. م عندما نجح السلوقيون في دخولها، وهدم أسوارها، ودك حصونها، ونهب هيكلها، ونصبوا فوقه التماثيل، وقتل من اليهود ثمانين ألفًا في ثلاثة أيام.

وظلت "هيروسليما" تحت الحكم الإغريقي، وقد امتزج اليونانيون بسكان البلاد، وصاهروهم، كما انتشرت اللغة الإغريقية كلغة رسمية للبلاد، في حين كانت اللغة الآرامية هي اللغة الدارجة بين السكان، كما تأثر أهل "هيروسليما" بالحضارة الإغريقية[٢١].

وهكذا رغم وقوع مصر تحت الاحتلال الإغريقي المتمثل في البطالمة الذين حكموا مصر بعد وفاة الإسكندر فإن حكام مصر الجدد اهتموا بالقدس، وأصبحت جزءًا من دولة البطالمة في مصر، إلى أن نجح السلوقيون حكام سوريا في انتزاعها من أيديهم عام ١٦٨ق. م.

- مصروالقدس في العصر الروماني:

بدأت روما كقوة صاعدة، وتوسعت في حوض البحر المتوسط، وبدأت تأكل شيئًا فشيئًا أجزاء إمبراطورية الإسكدر الأكبر التي انقسمت – كما رأينا – وجاء الدور على سوريا؛ حيث نجح القائد الروماني الشهير بومبي في احتلال "هيروسليما" عام ٦٣ق. م، وقتل من سكانها خلقًا كثيرًا، وأصبحت تسمى باسم "هيروساليما". وبعد مقتل بومبي تنفس اليهود الصعداء. وفي العصر الروماني ولد المسيح - عليه السلام - في بيت لحم[٢٢].

وعقب استيلاء الرومان على مصر عام ٣٠ق. م أصبحت مصر والقدس تتبعان الإمبراطورية الرومانية. وقد عانيا معًا من اضطهاد الرومان للمسيحيين صنوفًا وأشكالاً حتى صدر مرسوم ميلان عام ٣١٣م، والذي اعترف بالمسيحية كديانة مثلها مثل الديانات الأخرى في الإمبراطورية الرومانية.

وبعد تأسيس القسطنطينية على يد الإمبراطور قسطنطين عام ٣٣٠م، وأصبح القسم الشرقي من الإمبراطورية يعرف بالدولة البيزنطية؛ أصبحت "هيروساليما" تسمى بـ"إيليا".

وقد ترك الرومان الكثير من آثار العمران؛ كالمعابد، والحصون، والطرق، والصهاريج، والمجاري، والسدود، والجسور. ولكنها تعرضت للانهيار بسبب الحروب والثورات، وقضي على البقية الباقية منها عندما احتل الفرس "إيليا" عام ٦١٤م[٢٣].

وظل الفرس في المدينة حتى انتصر عليهم الإمبراطور البيزنطي هرقل في عام ٦٢٧م، واستردها منهم. واستمرت "إيليا" تحت الحكم البيزنطي حتى ظهرت قوة فتية سرعان ما نمت، ونجحت في ضم "إيليا" إلى حوزتها، وهي الدولة العربية الإسلامية.

- الفتح الإسلامي للقدس:

بعد قيام الدولة الإسلامية عقب هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم - من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، بدأت الدولة تتسع على عهده – صلى الله عليه وسلم - ثم على عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والقدس من المدن التي تتمتع بمكانة كبيرة لدى المسلمين بعد مكة والمدينة، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كما ورد في القرآن

الكريم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢٤].

وقد بارك الله - سبحانه وتعالى - في المكان الذي حول المسجد الأقصى؛ أي أن الرقعة التي تحيط بالمسجد الأقصى مهما اتسع نطاقها الجغرافي فهي بقعة مباركة، ولو شاء الله - جلت قدرته - لجعل رحلة الرسول – صلى الله عليه وسلم - إلى السماء مباشرة من مكة دون حاجة إلى الإسراء، لكنه- سبحانه وتعالى - أراد أن يسبغ على المسجد الأقصى قدسية إضافية باستقدام الرسول– صلى الله عليه وسلم - إليه واستدعائه منه إلى رحلة السماء، ثم أضاف قدسية ثالثة على المسجد عندما فرضت الصلاة على المسلمين، وأن يتقبل الله صلوات المسلمين في هذا المسجد المقدس الذي تتجه إليه قلوب المصلين، وهم يستقبلون قبلته، ويستحضرون عظمة الله عنده في صلواتهم[٢٥].

وقد أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يتوج تكريم هذه المدينة بذكرها وبالإشارة إليها في القرآن الكريم؛ ليكون دليلاً دامغًا وشاهدًا أبديًا على عظمة هذه الأرض وعلو شأنها[٢٦].

وينظر المسلمون منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا إلى القدس نظرة تقديس على أنها مركز لتراث ديني كبير؛ فإلى القدس تُشدّ الرحال، وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد وضع قواعد الكعبة في مكة فإن جسده الشريف يرقد على مقربة من القدس في مدينة الخليل[٢٧].

وإذا كان المسلمون يتجهون من بقاع الأرض في صلاتهم إلى المسجد الحرام، فإنهم لا ينسون أن نبيهم – صلى الله عليه وسلم -وأسلافهم الصالحين قد اتجهوا– قبل نزول آيات تحويل القبلة إلى الكعبة– إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين، ولايزال "مسجد القبلتين" بالمدينة المنورة شاهدًا على ذلك الترابط الديني بين مكة والقدس، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى[٢٨].

لهذه الأسباب وغيرها كان اتجاه الفتوحات الإسلامية للشام التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم - يريدها، ولكن وافته المنية قبل أن يتم ذلك الأمر، الذي بدأه بالفعل الخليفة أبو بكر الصديق، الذي وجه أربعة جيوش لفتح الشام بما فيها بيت المقدس، وكان على

رأسها أربعة من كبار القادة: هم عمرو بن العاص الذي اتجه إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة إلى الأردن، ويزيد بن أبي سفيان إلى البلقاء، والجيش الرابع بقيادة أبي عبيدة، واتجه إلى دمشق[٢٩].

ثم تطورت الأمور واتجه أبو عبيدة إلى "إيلياء" -القدس- وضرب حصارًا حول المدينة استمر أربعة أشهر، إلى أن رأى أهلها التسليم، إلا أنهم اشترطوا ألا يسلموا المدينة إلا للخليفة رأسًا، فوافق أبو عبيدة، وأرسل إلى الخليفة بذلك ووافق.

وجاء بالفعل الخليفة عمر بن الخطاب – كان الخليفة أبو بكر قد توفي – وقصَّ أبو عبيدة ما حدث على الخليفة، الذي أمر بإبلاغ البطريرك الذي كان يدعى "صفرنيوس" الذي حضر ومعه عدد من الإكليروس -رجال الدين- وتباحثوا في شروط التسليم، وكتب لهم وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية[٣٠].

وقد أمَّنهم الخليفة عمر على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وألا يسكن معهم في إيلياء أحد من اليهود، وأن يعطوا الجزية، وكان ذلك عام ١٥هـ، وقد شهد على ذلك العهد خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان[٣١].

وكما أعطى عمر بن الخطاب عهدًا لأهل إيلياء؛ فقد أخذ منهم كذلك عهدًا على ألا يمنعوا كنائسهم من نزول أحد من المسلمين فيها، وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وبعد أن أعطى كلا الفريقين العهود والمواثيق للآخر دخل عمر بن الخطاب المدينة، ودخل من ورائه المسلمون مكبرين مهللين، وكان أول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد فتح بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة، وحان وقت الصلاة وهو في داخلها، فأشار عليه البطريرك صفرنيوس بأن يصلي في داخل الكنيسة، ولكن أبى الخليفة عمر، وخرج من الكنيسة، وصلى على مقربة منها، خشية أن يتخذها المسلمون مصلى[٣٢].

وبعد أن رتب عمر الأمور في بيت المقدس أقام عليها يزيد بن أبي سفيان، على أن يأتمر بأمر أبي عبيدة بن الجراح، وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر، وعاد عمر بعد ذلك إلى المدينة.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مدينة القدس إسلامية تابعة في إدارتها طبقًا للتقسيم الإداري لجند فلسطين، ووفدت على الشام القبائل العربية، التي دخلت في التكوين الاجتماعي للمدن القديمة كدمشق وحلب والقدس، وأصبح العنصر العربي الإسلامي – بمرور الوقت – العنصر الغالب في القدس بما يحمله من المقومات الحضارية والدينية.

- القدس وبنو أمية:

كانت القدس ضمن الشام التي تولى حكمها معاوية بن أبي سفيان، الذي أصبح فيما بعد الخليفة الأموي الأول عقب تأسيسه الدولة الأموية، ولم يحدث بالقدس تغيرات واضحة في العصر الأموي إلا في عهد عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م)؛ حيث أولى بيت المقدس اهتمامًا كبيرًا، وقد خصص لبناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى خراج مصر سبع سنوات متتالية؛ مما يؤكد أهمية مصر بالنسبة للقدس؛ حيث كان بناء أهم مساجدها من خراج مصر.

ثم خلف الوليد أباه عبد الملك، واستكمل بعض الإضافات في المسجد الأقصى الذي جاء بناؤه غاية في الفخامة والإبداع. وجُمع لذلك أمهر المهندسين والبنائين من أنحاء الدولة الإسلامية.

وتم إصلاح أسوار وبوابات المدينة التي كانت قد دمرت، وبنيت دار الإمامة مقر حاكم "إيلياء" قرب الحرم.

وتصف دراسة حديثة الحرم القدسي بشيء من التفصيل؛ حيث يصل طوله من الغرب ٤٩٠ مترًا ومن الشرق ٤٧٤ مترًا، ومن الشمال ٣٢١ مترًا، أما من الجنوب فيبلغ طوله ٢٨٣ مترًا، ومحيط الحائط الشمالي ١٠٤٢ قدمًا، والحائط الشرقي ١٥٣٠ قدمًا، والحائط الجنوبي ٩٢٢ قدمًا، والحائط الغربي ١٦٠١ قدم[٣٣].

وتعد قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين، وهي من أقدم الآثار الإسلامية الباقية، وفسيفساء هذه القبة تمثل أقدم الزخارف الإسلامية المؤرخة التي وصلت إلينا، وتعتبر من أهم الظواهر الفنية الزخرفية التي تميز هذه القبة[٣٤]. وقد أمر عبد الملك ببنائها عام ٦٨٨م، وهى أعظم إسهاماته في المدينة؛ فقد أبرزت أن للإسلام أماكنه المقدسة.

ويعد مسجد قبة الصخرة أروع أثر إسلامي خلَّفه المسلمون تناسقًا واتزانًا وبنيانًا، ويقع وسط فناء واسع، وترتفع القبة عن أرض الحرم، وتمثل أعلى بقعة في الحرم القدسي الشريف، وتعد من ملامح مدينة القدس ومعالمها البارزة.

وحتى تلك الفترة لم يكن للمسلمين سوى المسجد الخشبي الذي أمر عمر بن الخطاب ببنائه، وهنا أمر عبد الملك ببناء قبة تتحدى قبة القيامة[٣٥]. وقد زار الرحالة ناصر خسرو بيت المقدس، ووصف مسجد قبة الصخرة بأنه بني بحيث تكون الدكة في وسط المساحة. وقبة الصخرة في وسط الدكة والصخرة في وسط القبة. ويذكر عن القبة أنها بناء مثمن منظم. كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاثة وثلاثون ذراعًا، وله أربعة أبواب، على الجهات الأربع الأصلية، باب شرقي وآخر غربي وثالث شمالي ورابع جنوبي، وبين كل بابين ضلع. وجميع الحوائط من الحجر المنحوت[٣٦]. وتضم رقبة القبة ست عشرة نافذة في صف واحد منتظم، والقبة مبنية من ألواح خشبية مغطاة برقائق من الرصاص، وتشمخ قبة الصخرة بمهابة تفوق مهابة أكثر الأماكن قدسية في المدينة، وكانت تأكيدًا بأن الإسلام قد أتى ليستمر[٣٧].

أما المسجد الأقصى[٣٨] فقد أعيد بناؤه في عهد عبد الملك بن مروان كذلك، ويبلغ طوله ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا، وله عشرة أبواب، وقبة من الخشب المغطى بالرصاص. أما قباب المسجد الأقصى فهي كالتالي:

- قبة السلسلة، بنيت في عهد عبد الملك بن مروان، وتقع شرقي قبة الصخرة.
- قبة المعراج، بنيت عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.
- قبة محراب النبي، بنيت عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.
- قبة يوسف، بنيت عام ٥٨٧هـ/١١٩١م.
- قبة الشيخ خليلي، بنيت في القرن التاسع عشر.
- قبة موسى، بنيت عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م.
- القبة النحوية، بنيت عام ٦٤٠هـ/١٢٠٧م.

- قبة الخضر.
- قبة سليمان.

وللمسجد الأقصى عدة مآذن كالتالي:

- مئذنة باب الغوانمة، بنيت عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م.
- مئذنة باب السلسلة، بنيت عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م.
- مئذنة باب المغاربة أو المئذنة الفخرية، بنيت عام ٦٧٧هـ/١٣٧٨م، ورممت عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.
- مئذنة باب الأسباط، عام ٨٦٩هـ/١٣٦٧م، ورممت عام ١٩٣٧.

وللمسجد العديد من الأروقة[٣٩].

ويذكر الرحالة ناصر خسرو أن أبنية المسجد الأقصى غاية في الزخرف، ومفروش بالسجاد الفاخر، ويقوم عليه خدم مخصوصون يعملون به دائمًا[٤٠].

والجدير بالذكر أن أهم من قام بالعمائر الإسلامية بالقدس كان عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك، وظلت المدينة على حالها حتى العصر العباسي.

- القدس في العصر العباسي:

عقب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية بدأت مرحلة جديدة في تاريخ القدس؛ فعندما زار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بيت المقدس وجد المسجد الأقصى قد أصيب بخراب شديد إثر زلزال حدث عام ٧٤٧م، ولم يكن لديه أموال تكفي لتعميره، فأمر بنزع صفائح الذهب والفضة التي على الأبواب فضربت دنانير، وأنفقت على تعمير المسجد الأقصى، فتمت عمارته عام ٧٧١م.

وزار المهدي بن المنصور القدس عام ٧٨٠م، وأمر بتعمير ما خربه الزلزال، وكتب المهدي إلى عماله لجمع المال من أنحاء الدولة، فلبوا النداء، وعمَّر المسجد، وجدد المأمون بن الرشيد عمارة قبة الصخرة عام ٨١٣م، وفي عهده زار الإمام الشافعي بيت المقدس[٤١].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى وضع الممتلكات المسيحية في القدس في العصر العباسي؛ حيث عامل الخليفة هارون الرشيد النصارى معاملة طيبة، وسمح للإمبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء؛ حيث تقوم على آثارها كنيسة الدباغة.

وفي سنة ٧٩٦م أهدى الرشيد لشارلمان ساعة، وأخذ على نفسه حماية الحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة بيت المقدس، وقابله شارلمان بالمثل، فراح يرسل في كل عام وفدًا إلى القدس يحمل الهدايا إلى الخليفة، وعاد الوفد ومعه مفاتيح كنيسة القيامة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التاريخية لم تذكر أخبار اليهود في القدس على أساس أن وجود هذه الطائفة السكانية بين سائر الطوائف الأخرى كان أمرًا استثنائيًا، فوثيقة الأمان التي أعطاها سيدنا عمر لهم تنص على أنه " لا يسكن اليهود القدس ".

وقد زار أحد اليهود القدس في القرن الثاني عشر الميلادي، وذكر أنه لا يوجد في المدينة سوى يهودي واحد. وأن عدد اليهود بالقدس حتى سنة ١٥٧٢م لم يزد على ١١٥ يهوديًا سجلت أسماؤهم في سجل الحرم الشريف[٤٢].

ولم تدم قوة الدولة العباسية طويلاً؛ فسرعان ما طغى نفوذ الأتراك بشكل كبير على نفوذ الخلفاء خاصة منذ العصر العباسي الثاني، وبدأ ظهور دويلات في بعض المناطق في الدولة، وما يهمنا ما يتعلق بالقدس ومصر، وكان أن دخلت القدس تحت حكم أحمد بن طولون عام ٨٧٨م.

- مصر والقدس في العصرين الطولوني والإخشيدي:

كان ابن طولون قائدًا للجيش العباسي في مصر، ثم ما لبث أن وطد سلطانه فيها، وكذلك في الشام، ولم يطرأ على القدس جديد في عهد الطولونيين سوى وقوعها هي ومصر تحت سيطرة دولة واحدة هي الدولة الطولونية. ووجد بعض العلماء المقدسيين في مصر؛ مثل الشيخ إسماعيل بن عبد الواحد المقدمي الذي تولى منصب قاضي مصر سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م[٤٣].

وعندما قامت الدولة الإخشيدية في مصر قامت الحرب بين محمد ابن طغج الإخشيد ومحمد بن رائق حاكم فلسطين بعد عام واحد من تولي الإخشيد حكم مصر، وانتهت

الحرب بالصلح بينهما على أن تكون البلاد من الرملة إلى التخوم المصرية للإخشيديين، وباقي الشام للأمير محمد بن رائق. واسترد الإخشيد البلاد بعد مقتل محمد بن رائق سنة ٣٣٠هـ/٩٤٥م.

ولما مات الإخشيد في دمشق دفن في القدس ٩٣٤هـ/٩٤٥م، وتولى بعده أنوجور – أبو القاسم محمد – الذي زار القدس في عهده الرحالة الفارمي المشهور ناصر خسرو، ولما مات أنوجور حُمل إلى القدس، ودفن بها عند أبيه، وتولى الحكم من بعده أخوه علي الملقب بالحسن. ولما مات ٩٦٥هـ حُمل إلى القدس، ودفن فيها إلى جانب أبيه الإخشيد وأخيه أنوجور، وتولى الحكم كافور الإخشيدي، ولما مات دفن هو الآخر في القدس[٤٤].

وهكذا نرى الارتباط القوي بين الإخشيديين في مصر ومدينة القدس؛ حيث حملوا جميعًا، ودفنوا بالمدينة، وهذا دليل على مكانة القدس لديهم، وحرصهم على أن تكون المدينة المقدسة مثواهم الأخير.

- مصر والقدس في العصر الفاطمي:

ارتبطت مصر بالقدس في العصر الفاطمي؛ فقد أصبحتا تابعتين للخلافة الفاطمية في مصر بعد أن استولى جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي على مصر عام ٩٦٦م، وأصبحت القدس فاطمية عام ٩٦٩م.

وعندما تولى العزيز بن المعز الحكم عام ٩٧٥م، أقام على فلسطين وزيرًا قبطيًا هو أبو اليمن قزمان بن مينا الكاتب، وسكن أبو اليمن في دير السلطان، وهذا الدير من أملاك الأقباط في القدس[٤٥].

وفي عهد الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله أعيد بناء الكنائس المهدمة، وشرع في بناء سور القدس. وحدث زلزال كبير على عهده، كاد يودي بقبة المسجد الأقصى، لولا أن الظاهر سارع لتعميرها، فجاءت أحسن مما كانت عليه من قبل. أما في عهد المستنصر بالله ١٠٣٦م فقد انشقت الصخرة. وفي عام ١٠٧٢م زحف السلاجقة على بيت المقدس، واستولوا عليها[٤٦].

وكانت القدس في بؤرة اهتمام الفاطميين: حيث أنشأوا فيها "البيمارستان"، وهو أول مستشفى أسس فيها. وكان ينفق عليه أموالاً طائلة تأتي عن طريق البر والإحسان ويتقاضى أطباؤه راتبًا معلومًا، كما أنشأوا "دار العلم"، وهي فرع لدار الحكمة التي أسست في مصر عام ١٠٠٤م.

وقد عاصر الجغرافي الشهير المقدسي شطرًا من العصر الفاطمي، وهو أصلاً من القدس، فوصفها قائلاً: "بيت المقدس، ليس في مدائن الكور أكبر منها. . . ليست شديدة البرد، وليس بها حر، وقلما يقع بها ثلج. . . تلك صفة الجنة. . . بنيانها حجر، لا ترى أحسن منه، ولا أتقن من بنائها. . . ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش بها. . . ولا ألطف من أسواقها. . . ولا أكبر من مسجدها. . . ولا أكثر من مشاهدها. عنبها خطير وليس لمعتقها نظير. . . وفيها كل حاذق وطبيب. . . وإليها قلب كل لبيب. . . ولا تخلو كل يوم من غريب".

ويضيف المقدسي قائلاً: " إنها أطيب من مصر. . . وأجل. . . وأفضل. . . وأكبر. . . جمعت الدنيا والآخرة. . . ومع ذلك فإن لها عيوبًا عدة. منها ما جاء في التوراة: إنها طشت من ذهب، مليء بالعقارب حماماتها قذرة. . . قليلة العلماء[٤٧] كثيرة النصارى وفيهم جفاء. . . ضرائب ثقال على ما يباع. . . ليست للمظلوم فيها أنصار. . . والمستور فيها مهموم والغني محسود. . . والفقيه مهجور والأديب غير مشهود"[٤٨].

ويتضح من وصف المقدسي الذي كان يعيش أساسًا في المدينة وجود ما يمكن أن نسميه الشيء ونقيضه، ولكن الأهم من ذلك أن المقدسي لم يجد غير مصر ليقارن بينها وبين القدس، وهو ما يؤكد أهمية موضوع دراستنا، ومدى ما بين مصر والقدس من وشائج قربى.

وإذا كنا قد عرضنا لوصف المقدسي "للقدس" - وهي مدينته - فنرى من الواجب أن نعرض لوصف آخر للمدينة، ومن حسن الحظ أن نجد وصفًا لرحالة أيضًا ولكن هذه المرة رحالة فارسي جاب الآفاق، وكتب لنا رحلة من أهم كتب الرحلات، ومما يعضد من قيمتها أنها أيضًا في العصر الفاطمي، يقول ناصر خسرو: " هي مدينة مشيدة، على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون وأما المدينة فليس بها عين فإنها على رأس صخر. وهي مدينة كبيرة كان بها في ذلك الوقت عشرون ألف رجل، وبها أسواق جميلة

وأبنية عالية، وكل أرضها مبلطة بالحجارة، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات، وجعلوها مسطحة، بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار"[٤٩].

"وفي المدينة صناع كثيرون، لكل جماعة منهم سوق... ورأيت قبة من الحجر المنحوت مقام على بيت لم أر أعجب منها، حتى أن الناظر إليها ليسأل نفسه كيف رفعت في مكانها... وحين يسير السائر في المدينة جنوبًا، مسافة نصف فرسخ، وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى عين سلوان... وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف"[٥٠].

وكما رأينا لم يتعارض وصف المقدسي "ابن المدينة" مع وصف ناصر خسرو "الرحالة الفارسي" الذي زار المدينة في العصر الفاطمي أيضًا، بل إن الوصفين يكملان معًا "صورة" القدس في العصر الفاطمي.

وقد ظلت القدس تحت السيادة الفاطمية - رغم ضعفهم فترة من الزمن - إلى أن وقعت في يد ألب أرسلان السلجوقي، ورغم وجود قوات مصرية فإن السلاجقة تمكنوا من الاستيلاء عليها، ثم خضعت للأرتقيين التركمان الذين استولوا عليها بحد السيف كذلك.

وظلت القدس على هذا الحال حتى سنة ١٠٩٥م عندما وصل الجيش المصري بقيادة أمير الجيوش إلى القدس، وحاصرها أربعين يومًا، وتواطأ سكان بيت المقدس مع الأفضل بعد أن أمنهم، ففتحوا له أحد الأبواب سنة ١٠٩٦م، فدخل منه، وخرج الأرتقيون، وبذلك عادت القدس مرة أخرى للسيادة الفاطمية في الوقت الذي كان الصليبيون يعدون العدة للزحف صوب القدس[٥١].

- الفاطميون والغزو الصليبي لبيت المقدس:

كان الصليبيون قد أعدوا العدة لغزو الشرق للعديد من الأسباب ليس هنا مجالها، وتتابعت الأحداث إلى أن تقرر الزحف على بيت المقدس، وفي الطريق التقى الصليبيون – بعد مغادرتهم الرملة في ٦ يونية سنة ١٠٩٩م – ببعض المسيحيين الوافدين من بيت لحم، وهؤلاء استحثوا جودفري بوايون – أحد كبار قادة الحملة الصليبية الأولى – على الإسراع إلى بيت المقدس؛ لأن الفاطميين يتوعدون المسيحيين، ويتأهبون للثأر منهم، فضلاً عن أنهم

استحضروا عمالاً من مصر لتقوية الاستحكامات في بيت المقدس، وتلاحقت الأحداث حتى وصل الصليبيون جميعًا أمام بيت المقدس في يوم ٧ يونيه ١٠٩٩م[٥٢].

وفي تلك الأثناء كان افتخار الدولة – حاكم بيت المقدس من قبل الوزير الأفضل الفاطمي – قد اتخذ كافة الاستعدادات لمواجهة الصليبيين. فسمم الآبار، وقطع موارد الماء، وأخفى المواشي، وطرد جميع من بالمدينة من المسيحيين، فضلاً عن اهتمامه بتقوية التحصينات والتأكد من سلامة الأسوار، معتمدًا في الدفاع عن بيت المقدس على حامية كبيرة من المصريين والسودان.

وأخذ الصليبيون يشرعون في حصار بيت المقدس في ٧ يونيه سنة ١٠٩٩م، حتى أخذوا يهاجمون المدينة معتمدين على عدد كبير من آلات الحصار والهدم. وفي حوالي منتصف يونيه وصلت ميناء يافا بعض السفن الجنوية التي استطاعت الاستيلاء على المدينة في سهولة بعد أن هجرها أهلها من المسلمين، عندما علموا باقتراب الصليبيين، ولا شك في أن تلك المعونة البحرية كان لها أثرها الفعال في تدعيم مركز الصليبيين، وفي إمدادهم بما احتاجوا إليه، مما مكنهم من مواصلة الحصار والهجوم، في الوقت الذي كانت الحامية الفاطمية محصورة داخل أسوار بيت المقدس ومقطوعة عن العالم الخارجي تمامًا[٥٣].

وقد نجح الصليبيون في اقتحام المدينة يوم الجمعة ١٥ يوليو بعد حصار دام أكثر من أربعين يومًا، ولم يسع الجند المدافعون عن بيت المقدس من المسلمين سوى الفرار عندئذ للاحتماء بالمسجد الأقصى والدفاع عن المدينة، فتبعهم الصليبيون، واقتحموا المسجد، وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية رهيبة، حتى خاض الصليبيون حتى سيقانهم في دماء المسلمين.

والسؤال الذي يطرح نفسه أين كان افتخار الدولة حاكم بيت المقدس من قبل الفاطميين في مصر؟

لقد احتمى مع طائفة من الجند بمحراب داود؛ حيث اعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، ولكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن أمنهم الصليبيون، وفعلاً أطلق الصليبيون سراحهم، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان، فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي بيت المقدس التي نجت من وحشية الصليبيين[٥٤].

والسؤال الأكثر أهمية: ما موقف الدولة الفاطمية في مصر من ضياع بيت المقدس؟

لقد تلقت الدولة الفاطمية الأخبار في برود، وظلت تغط في سباتها العميق، والأكثر من ذلك لم تحرك الخلافة العباسية هي الأخرى ساكنًا، وكتب على بيت المقدس أن تظل تحت وطأة الصليبيين نحو تسعين عامًا، حتى خلَّصها السلطان الناصر صلاح الدين.

- مصر والقدس في العصر الأيوبي:

لم ينس المسلمون القدس منذ احتلها الصليبيون من الفاطميين حكام مصر، وكانت قوة إسلامية فتية قد ظهرت في الشرق هي قوة الزنكيين، عماد الدين زنكي حاكم حلب والموصل، والذي ضم إليه حمص وبعلبك، ونجح في الاستيلاء على الرها أول الإمارات الصليبية في الشرق، وكان عماد الدين زنكي أول من بدأ الكفاح ضد الصليبيين. وخلفه ابنه نور الدين محمود الذي كان يرسل الفدائيين إلى بيت المقدس؛ ليأتوه بالأخبار.

وبدأ نور الدين محمود يرسم خطة لفتح مصر الفاطمية؛ لأهميتها في فتح بيت المقدس، ونفس الشيء فكر فيه الصليبيون، ولكن فشلت تلك المحاولات إلى أن أرسل نور الدين محمود حملة إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الذي أصبح وزيرًا للخليفة الفاطمي، وما لبث صلاح الدين أن ألغى الخلافة الفاطمية، وكاد الصراع يدب بين صلاح الدين وسيده نور الدين لولا وفاة الأخير؛ ولذلك بدأ صلاح الدين يعد العدة لتحرير بيت المقدس، ولكن هذا العمل استغرق مدة أعد فيها صلاح الدين دولته؛ حيث نجح في ضم جزء كبير من الشام إلى مصر، وأصبحتا دولة واحدة[٥٥].

وما إن انتهى صلاح الدين من موقعة حطين التي انتصر فيها المسلمون انتصارًا كبيرًا على الصليبيين في ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حتى راح يفكر في الاستيلاء على بيت المقدس، وقد سار إليها على الفور، وحاصرها عشرين يومًا إلى أن تم فتحها في يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/٢ أكتوبر ١١٨٧م، ووافق ذلك ذكرى ليلة الإسراء والمعراج، فكانت فرحة المسلمين فرحتين.

ويذكر المقريزي ما نصه " وتسامع الناس بفتح القدس فأتوه رجالاً وركبانًا من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع ما لا ينحصر... وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح وإلى سائر الأطراف"[٥٦].

لقد طهر صلاح الدين الحرم الشريف[٥٧] وتم غسل فناءات الحرم وأرصفته بماء الورد. وفي يوم الجمعة الموافق الرابع من شعبان امتلأ المسجد الأقصى، وأمر صلاح الدين بعمل المنبر، فحدثه البعض بأن نور الدين محمود اتخذ له منبرًا من عشرين سنة، فأمر بحمله، ونصب بالمسجد الأقصى[٥٨] الذي امتلأ بالمصلين لأول مرة منذ عام ١٠٩٩م. وحينما اعتلى قاضي القدس محيي الدين المنبر بكي الناس انفعالاً[٥٩].

وهكذا عادت القدس إلى أحضان الإسلام والمسلمين بعد غياب دام نحو تسعين عامًا.

واهتم صلاح الدين بسور المدينة؛ فعمره وجدد ما تهدم منه، وأنشأ عددًا من الأبراج الحربية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الجبل[٦٠]، وحفر حول السور الخنادق حتى لا يتمكن الصليبيون من الاقتراب من المدينة؛ وكثيرًا ما رآه الناس وهو يشارك العمال في نقل الحجارة وأعمال البناء. وكذلك قل عن أولاده وأمرائه وعن أخيه العادل، وكان له العديد من الآثار بالمدينة[٦١].

وبعد وفاة صلاح الدين انقسمت دولته إلى عدة ممالك؛ فصارت الشام وفلسطين لابنه الملقب بالملك الأفضل، ومصر لابنه عثمان الملقب بالعزيز. وبعد فترة قصيرة تنازل الأفضل عن القدس لأخيه العزيز، مفضلاً ضمها إلى مصر؛ وذلك لأنها كانت في حاجة إلى المال والرجال لدفع عدوان الفرنج عنها، فتقبلها العزيز، وأرسل إلى حاكمها عشرة آلاف دينار؛ لينفقها على عسكر القدس، ثم أرسل إليها قوة عسكرية أخرى خشية أن يعود الفرنج لاحتلالها.

ونزل العزيز بالقدس في رمضان عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م، وألغى بعض الضرائب والرسوم، وبعد فترة آلت القدس والشام بكاملها ومصر للملك العادل أخي صلاح الدين، ومن آثاره سقاية الحرم والمطهرة عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م[٦٢].

وعادت القدس مرة أخرى إلى مصر على عهد الكامل عام ١٢٢٧م، ثم خرجت ليأخذها ابن أخيه الملك الناصر بن المعظم عيسى، ولما مات الكامل وتولى من بعده ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب استردها من ابن عمه مرة أخرى. وظلت القدس في بؤرة اهتمام الصالح نجم الدين أيوب حتى وفاته، وبدأت الفترة الانتقالية التي انتهت بقيام سلطنة المماليك في مصر، والتي أصبحت القدس في عهدهم ذات وضع خاص بدليل المنشآت التي تم إنشاؤها فيها في عصرهم.

- مصر والقدس في عصر سلاطين المماليك:

تُعد سلطنة المماليك من الدول ذات الأهمية الخاصة في تاريخ الشرق الإسلامي، أو إن شئت فقل في تاريخ العالم؛ لدورها في اجتثاث الوجود الصليبي والقضاء على الخطر المغولي.

وقد ضمت سلطنة المماليك الشام ومصر في دولة واحدة عمَّرت طويلاً، وعاشت مصر والقدس الشريف تحت حكم السلطنة من عام ١٢٥٠-١٥١٧م.

وقد اتخذ سلاطين المماليك من القاهرة قاعدة لدولتهم، ولذلك كانت مصر والقدس في ظل حكم دولة واحدة.

وقد ارتبطت مصر بالقدس إداريًا؛ حيث كانت القدس في بداية عصر سلاطين المماليك تشكل ولاية صغيرة تتبع نيابة دمشق حتى سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، ثم صارت نيابة مستقلة يحكمها نائب بعد أن كان يحكمها والٍ[٦٣].

وأصبحت القدس نيابة يحكمها أمير طبلخاناه[٦٤] منذ نهاية عهد السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٧٢-١٣٧٦م)[٦٥].

وفي عام ٨١١هـ/١٤٠٨م، استقر نائب السلطنة في القدس، كما استقر بها ناظر أوقاف القدس والخليل[٦٦].

وقد اهتم المؤرخون بتدوين أخبار القدس؛ لأنها حوت الكثير من الرموز الدينية، وحظيت باهتمام مؤرخي عصر سلاطين المماليك، ليس لوضعها الديني فحسب، بل لأهميتها بالنسبة للحضارة الإسلامية[٦٧].

إن قدسية المدينة أثرت في سلاطين المماليك تأثيرًا كبيرًا، وارتفعت مكانتها الدينية أثناء حكمهم. وقد حرص جميع السلاطين تقربًا على زيارة القدس، ووقف أوقاف عليها، كما حرصوا على اختيار أكفأ الحكام والقضاة وغيرهم للولاية في القدس، ومحاسبتهم إن أهملوا في حقوق الرعية أو أحدثوا نوعًا من المظالم أو المغارم، فضلاً عن رعايتهم للمنشآت الدينية والأماكن المقدسة بها[٦٨].

وقد زار السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) القدس، وتفقد أحوالها، وبث جواسيسه في المدينة في كل مكان لتأمين المدينة في إطار خطة شاملة لمواجهة مختلف الاحتمالات العسكرية، والتهديدات المحيطة بدولته في الداخل والخارج، ووصل السلطان إلى القدس يوم الجمعة ١٠ رجب سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، وكشف أحوال البلد، وما يحتاج إليه المسجد من العمارة، ونظر في الأوقاف، وكتب بحمايتها[٦٩].

وقد زار بيبرس القدس مرة أخرى في عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م. وأنشأ بها العديد من المنشآت: مثل دار الحديث بجوار التربة الجالقية على طريق باب السلسلة، والمدرسة الأباصيرية تجاه الرباط المنصوري بجوار باب الناظر، وجدد الظاهر بيبرس كذلك كل ما تهدم من مسجد الصخرة. كما جدد قبة السلسة وزخارفها[٧٠].

وأمر ببناء خان خارج القدس، ونقل إليها من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد، وأنشأ خانًا للسبيل، وبنى طاحونًا وفرنًا وبستانًا. وقد أشاد المؤرخون بدور بيبرس في عمارة القدس[٧١].

وعندما تولى المنصور قلاوون الحكم عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م أنشأ بالقدس العديد من المنشآت: منها "رباط قلاوون" الذي يسمى بالرباط المنصوري عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م، ووقفه على الفقراء من زوار القدس. وأنشأ المسجد القلندري عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م الذي يقع في طريق دير اللاتين[٧٢].

وقد زار السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م القدس إبان سلطنته الثالثة، ومكث فيها أربعين يومًا، وأنشأ بها عددًا من المدارس والخوانق، والقياسر، والحمامات، فضلاً عن ترخيم وتذهيب المسجد الأقصى والمسجد الخليلي، وتجديد وتذهيب قبة الصخرة، وفتح شباكين فيه، وتعمير قناطر وأبواب هذا المسجد المبارك[٧٣].

وفي عهد الناصر محمد كذلك قام نائب الشام الأمير تنكر ببناء خانقاه وحمام وقيسارية، وأنشأ بالقدس المدرسة التنكزية، التي يشير المقريزي إلى أنه لا يوجد في مدارس القدس أكثر منها إتقانًا[٧٤].

وقد زار السلطان المؤيد شيخ ٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م القدس، وصلى بالمسجد الأقصى، والتقى بالفقهاء والأهالي؛ حيث وزع الأموال الجزيلة عليهم. وقد عقب المقريزي بقوله "فكان يومًا مشهودًا"[٧٥].

وأنشأ الأشرف برسباي ٨٢٦-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م سبيل شعلان في ساحة الحرم، وكان قد أنشأه الملك المعظم عيسى الأيوبي، ثم جدده الأشرف برسباي.

وفي عهد الأشرف إينال تم تعمير المسجد الأقصى ٨٦٥هـ/١٤٦٠م. وأنشأ السبيل القائم بين المطهرة ومسجد قبة الصخرة، والذي يعرف حتى الآن بسبيل قايتباي[٧٦].

واهتم السلطان قايتباي ٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٥م بالقدس اهتمامًا كبيرًا، وأنشأ بها منشآت مهمة، وزارها عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م. وبنى بها المدرسة الأشرفية التي تعد من أجمل المدارس، كما جدد عمارة السبيل الكائن بين باب السلسلة وباب السكينة[٧٧].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى العمارة المسيحية بالقدس؛ فعلى الرغم من أن العمارة الدينية للمسيحيين في القدس لم تنل اهتمامًا في العصرين الأيوبي والمملوكي فإن المصادر التاريخية لم تخل من إشارات حول المنشآت الدينية لأهل الذمة بالقدس؛ حيث تشير المصادر إلى شيوع نوع من التسامح تجاه المسيحيين في عمارة منشآتهم الدينية في عهد السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م)؛ حيث قدم إلى يافا مركب فيه فرنج معهم أخشاب وعجل وصناع لعمارة بيت لحم حيث مولد عيسى – عليه السلام - وبيدهم

مرسوم السلطان بتمكينهم من العمل، فدعوا الناس للعمل بالأجرة فأتاهم عدة من القلعة والصناع، ووسعوا الطريق.

كما أشارت المصادر لبعض التسهيلات التي كان سلاطين المماليك يقدمونها بشأن فتح أو تجديد بعض الكنائس، ولا يعتبر البعض هذه التسهيلات دليلاً على اهتمام السلاطين بالعمارة المسيحية، بل اعتبروها امتدادًا للسياسة الخارجية للدولة في إطار مصالحها مع الدول الأجنبية من خلال السفارات والمراسلات الدبلوماسية[٧٨].

ويرى البعض أن القدس هي الأرض المقدسة في عيون مسيحيي الشرق والغرب على السواء؛ فقد كانت تحقق اكتفاءها الذاتي من خلال موسم الحج المسيحي الذي يمثل رواجًا تجاريًا وانتعاشًا اقتصاديًا لسكان المدينة وما جاورها من المدن الأخرى: مثل بيت لحم والناصرة، وكان بالقاهرة سوق تباع فيه مستلزمات الحجاج سواءً المسافرين إلى الحجاز أو القدس؛ مثل سوق "المحايرين" الذي تحدث عنه المقريزي بقوله "وفيه عدة حوانيت لعمل المحاير التي يسافر فيها إلى الحجاز وغيره، وكان فيه تاجران قد تراضيا على ما يشتريانه من المحاير المعروضة للبيع، ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج وعند سفر الناس إلى القدس"[٧٩].

ومن النقاط الجديرة بالدراسة وجود العلماء المصريين في القدس في عصر سلاطين المماليك؛ فكان منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عماد الدين بن الهايم المصري الشافعي بالقدس، والذي ظل بها حتى مات عن سبع وخمسين سنة، درَّس بالقدس، وبرع في الحساب والفرائض[٨٠].

وكما أشرنا فإن السلاطين المماليك اهتموا بإنشاء المنشآت التعليمية والخيرية والاجتماعية التي كانت مراكز للنهضة الثقافية بمدينة بيت المقدس؛ حيث شيد سلاطين وأمراء المماليك الكثير منها، بل إن أحد مؤرخي بيت المقدس المعاصرين لعصر المماليك قد عدَّد أكثر من أربعين مدرسة في بيت المقدس، وأكثر من عشرين زاوية، فضلاً عن الربط والخوانق والمساجد ومكاتب تعليم الأطفال[٨١].

وفي المقابل قَدِمَ إلى مصر بعض العلماء المقدسيين؛ حيث كان لعلماء القدس مكانة كبيرة في نفوس السلاطين المماليك الذين يجلونهم ويحتفلون بهم.

ومن هؤلاء الشيخ شمس الدين الديري والد القاضي سعد الدين، وكان أصله من القدس. فلما قدم إلى مصر قام السلطان له وأكرمه، وخلع عليه، ورتب له ما يكفيه، وكان شيخ المدرسة الصلاحية بالقدس[٨٢].

وكان المقدسيون ينضمون لقافلة الحج المصري، وهي في طريقها إلى الحجاز؛ حيث توجهت خديجة ابنة زين الدين المقدسية، وكانت بمصر بصحبة قافلة الحج المصري[٨٣].

وقد اتضح مما سبق أن القدس كانت في بؤرة اهتمام الكثير من سلاطين المماليك الذين أولوا المنشآت الدينية والعلمية بها اهتمامًا خاصًا، كما لم تكن المنشآت المسيحية بعيدة تمامًا عن الاهتمام، بل أولاها البعض من السلاطين اهتمامًا، أيًا كان السبب في ذلك، وقد استمرت القدس تابعة لسلطنة المماليك حتى خروج السلطان قانصوة الغوري للقاء السلطان العثماني سليم في الشام، وكان نائب القدس وما معها آنذاك الأمير "دولتباي"[٨٤].

- مصر والقدس في مطلع العصر العثماني:

قامت الدولة العثمانية، وبدأت تتوسع غربًا وشرقًا إلى أن نجح السلطان محمد الفاتح في فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وابتلع العثمانيون الإمبراطورية البيزنطية، ثم حدث تحول "فجائي" في الدولة العثمانية، وهو التحول نحو الشرق لأسباب ليس هنا مجالها، المهم أن العثمانيين اصطدموا بالصفويين، والتقى الجيشان في موقعة جالديران عام ١٥١٤م، ودارت الدائرة على الصفويين، وكان انتصار السلطان سليم العثماني على إسماعيل الصفوي هو العامل الأساسي في توجه العثمانيين للقاء القوة الأخرى، وهي المماليك.

وكان من الطبيعي أن تتأزم العلاقات بين سلطنة المماليك والإمبراطورية العثمانية بسبب تجاور أراضيهما، وصراعهما على النفوذ، خاصة وأن السلطنة المملوكية كانت في

طريقها إلى الانهيار، بينما كانت الإمبراطورية العثمانية في طريقها إلى قمة ازدهارها، وتطمح إلى أن تكون زعيمة العالم الإسلامي، شأنها شأن أي دولة إسلامية كبرى.

وسرعان ما تأزم الموقف والتقى الجيشان في مرج دابق في أغسطس ١٥١٦م قرب حلب، وهزم المماليك، وتوفي السلطان المملوكي الغوري[٨٥]، وبذلك طويت صفحة المماليك في الشام.

وكان لسهولة انتصار العثمانيين على المماليك في أول لقاء أثره في سرعة اتجاه العثمانيين للتوغل جنوبًا، حتى وصلوا إلى مصر. ودارت معركة حامية الوطيس بين قوات سليم العثماني وطومان باي المملوكي – الذي خلف الغوري – وانتهت المعركة بانتصار ساحق للعثمانيين، وما لبث أن تم القبض على طومان باي، وشنق، وعلقت جثته على باب زويلة بالقاهرة، لتطوى آخر صفحة لسلطنة المماليك إلى الأبد كنتيجة مباشرة لموقعة الريدانية ١٥١٧م.

وهكذا أصبحت الشام ومصر تابعتين للدولة العثمانية، واستمرت تلك التبعية حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م.

وعندما وصل السلطان سليم في أول ديسمبر عام ١٥١٦م خارج القدس، لم تكن هناك مقاومة، وخرج العلماء للقاء السلطان، وأهدوه مفاتيح الأقصى وقبة الصخرة، وقفز سليم لفوره من على فرسه، وسجد، ثم صاح: "إني أمتلك حرم أولى القبلتين"[٨٦]. وعندما دخل القدس زار قبور الأنبياء والأماكن المقدسة والآثار القديمة[٨٧].

واستقبل أهل القدس العثمانيين بترحاب وارتياح، وكان قد تم إهمال المدينة مع أفول نجم دولة المماليك، فتراجعت هبات الأوقاف، وكسد الاقتصاد، وروّعت الطرق بهجمات البدو.

وكان العثمانيون بالفعل بناة إمبراطوريات متمرسين، فتمت السيطرة على البدو، وأصبح بالإمكان تحسين الزراعة بعد أن توقفت إغارات البدو على المناطق الريفية.

وأظهر العثمانيون كرمًا تجاه السكان العرب في السنوات الأولى، كما أدخلوا نظامًا إداريًا ذا كفاءة عالية، وتحسن الاقتصاد، وازدهرت التجارة، وقسمت فلسطين إلى ثلاثة

صناجق تشمل القدس ونابلس وغزة، وجميعها جزء من إمارة دمشق، ولم يتم تسكين الأتراك في القدس؛ فقد أرسل العثمانيون حكامًا "باشوات" ومسئولين مدنيين وقوة صغيرة تمركزت في القلعة[٨٨].

ورغم أن القدس أصبحت إداريًا تابعة لإيالة دمشق فإن العلاقات بينها وبين مصر ظلت قائمة على كافة الأصعدة كما سوف نرى.

وتحت حكم السلطان سليمان ٩٢٧-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م، تحسنت الأحوال في القدس بشكل كبير؛ حيث جدد عمارة سور القدس الذي استغرق خمسة أعوام (١٥٣٦-١٥٤٠م)، ورمم القلعة ١٥٣١م، وأنشأ سبيل السلطان سليمان الذي يعرف أيضًا بسبيل "باب العتم"، وهو مستطيل الشكل بأسفله حوض حجري وفوقه صنبور للمياه، يعلو ذلك نقش كتابي تذكاري منفذ على الرخام يتضمن اسم السلطان وألقابه وتاريخ البناء، وعمَّر قبة الصخرة ١٥٤٢م، وأعاد تبليطها، وعمَّر جدران الحرم وأبوابه، وأنشأ مسجد الطور ١٥٣٧م[٨٩].

لقد نتج عن إصلاحات السلطان سليمان أن أحاط السور بالمدينة إحاطة تامة، وكان به أربعة وثلاثون برجًا وسبع بوابات، ويقال إن مهندس البلاط العظيم سنان باشا مر بالقدس، وأنه هو الذي صمم بوابة دمشق. وبعد الانتهاء من السور أصبحت القدس محصنة لأول مرة منذ ما يربو على ثلاثمائة عام.

ولا يزال السور قائمًا حتى اليوم ليؤكد على اهتمام العثمانيين بهذه المدينة المقدسة[٩٠]. وقد زار الرحالة المدينة، وأشادوا بتلك الإنشاءات التي تمت في مطلع العصر العثماني.

وعلى أية حال كانت القدس موضع اهتمام السلاطين العثمانيين، مثلهم مثل الكثير من حكام العالم الإسلامي الذين انضوت القدس تحت حكمهم؛ مما يؤكد استمرار الاهتمام بالمدينة عبر العصور.

ونخلص مما سبق إلى أن المصادر التاريخية إلى جانب النقوش والآثار قد أكدت على عروبة القدس منذ عهد اليبوسيين؛ فهم عرب كنعانيون، وكانت " يبوس " أول أسماء القدس، وكان "ملكي صادق" أول من اختطها وبناها وحصَّنها.

ولما كان محبًا للسلام، فقد أطلق على المدينة اسم "سالم" و"شالم" وهو من ملوك اليبوسيين، ثم أصبحت المدينة تعرف باسم "أورو - سالم" أي مدينة السلام.

وترتبط مصر بالقدس منذ العصر الفرعوني عندما تقدم فرعون مصر بجيشه لحماية القدس من هجمات العبرانيين، واستمرت في بؤرة الاهتمام المصري طوال العصر الفرعوني.

وقد دخلت مصر في صراع مع البابليين حول السيادة على أورشليم، وتقدمت القوات المصرية بقيادة الفرعون نيكاو الثاني ومن بعده الفرعون بسماتيك الثاني للسيطرة على الشام بما فيها القدس. وقد شهد العصر الفرعوني تعيين حكام يدينون بالولاء لفرعون مصر؛ مما يؤكد على أن ارتباط مصر بالقدس يضرب بجذوره في أعماق التاريخ.

وبعد أن أصبحت مصر تحت الحكم الإغريقي البطلمي أصبحت القدس أيضًا ضمن أملاك البطالمة حتى وقوع سوريا تحت السيطرة الرومانية ومن بعدها مصر، حتى دخلت العلاقة بين مصر والقدس مرحلة جديدة تحت حكم الدولة الإسلامية.

وقد اهتم المسلمون بالقدس اهتمامًا كبيرًا باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومن ثم تم بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

وفي العصرين الطولوني والإخشيدي أصبحت مصر والقدس دولة واحدة، بل دفن الكثير من الإخشيديين في القدس لقدسية المدينة، حتى إذا مات الحاكم في مصر أو دمشق كان جثمانه يحمل؛ ليوارى في ثرى القدس.

وسجل الفاطميون فصلاً مهمًا في علاقاتهم بالقدس؛ حيث حاولوا صد الهجوم الصليبي الذي كتب له أن يباغت المدينة في عهدهم، ولكن هيهات، فقد وقعت المدينة في يد الصليبيين، الذين غيروا الكثير من "طبوغرافيا" العمران الإسلامي فيها.

وارتبطت مصر والقدس بروابط قوية في العصرين الأيوبي والمملوكي، بدليل كم الإنشاءات العمرانية التي تم إنشاؤها، خاصة في عصر المماليك، وكانت الأوقاف توقف في مصر على تلك المدينة الخالدة لدرجة أنه قلما نجد من السلاطين من لم يكن له بالمدينة أثر يخلد ذكره.

وكان من الطبيعي أن تكون المدينة محل اهتمام الدولة العثمانية لما لها من قدسية؛ فعندما سلَّم العلماء مفاتيح الأقصى وقبة الصخرة للسلطان سليم سجد لله شكرًا.

كما كانت القدس محل اهتمام كبير من جانب خليفته سليمان، لتبدأ مرحلة جديدة من علاقة مصر بالقدس في العصر العثماني، وهو ما ستحاول الفصول التالية أن تعرض له بشيء من التفصيل.

هوامش الفصل الأول

(١) فتحي عثمان: مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة في القدس الشريف فيما بين القرنين (٥-١٣هـ ١١-١٩م) دراسة أثارية عمرانية حضارية، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ص١٥، ١٦.

(٢) محمد إبراهيم بكر: القدس: البداية التاريخية، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٤٥؛ أحمد رمضان: بيت المقدس، بحث ضمن أبحاث ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص ص٤٧، ٤٨.

(٣) سيد فرج راشد: القدس عربية إسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٥٣.

(٤) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، ط٤، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١١.

(٥) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص٤٦؛ عارف باشا: المرجع السابق، ص١٢.

(٦) فتحي عثمان: المرجع السابق، ص ص١٧، ١٨.

(٧) حسنين محمد ربيع: القدس مدينة عربية إسلامية، بحث ضمن أبحاث كتاب ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٨؛ عارف باشا: المرجع السابق، ص١٣.

(٨) يوسف الدبس: تاريخ سوريا، بيروت ١٩٠٢م، ص٢٦٢.

(٩) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص٩؛ عارف باشا: المرجع السابق، ص ص١٥-١٧.

(١٠) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص٤٧.

(١١) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج١، العراق، ط٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠م، ص٦٢٣.

(١٢) نفس المرجع السابق، ص٦٣٠.

(١٣) نفس المرجع، ص ص٦٣٠، ٦٣١.

(١٤) نفس المرجع، ص٦٣١؛ حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٠.

(١٥) نفس المرجع، ص٦٣١، ٦٣٢.

(١٦) القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية "٣، ٤".

(١٧) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٦٣٢.

(١٨) عارف باشا: المرجع السابق، ص٢٣، ٢٤.

(١٩) فتحي عثمان: المرجع السابق، ص١٨.

(٢٠) محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص٤٧؛ لطفي عبد الوهاب: الموقع بين مصر وفلسطين في العصرين الهلينستي والروماني، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ص٢١٢، ٢١٣.

(٢١) نفس المرجع السابق، ص ص٢٧، ٢٨.

(٢٢) نفس المرجع السابق، ص ص٣٠، ٣١.

(٢٣) نفس المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢٤) القرآن الكريم: سورة الإسراء، آية "١".

(٢٥) عبد الله الأشعل: المركز القانوني للقدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ص١٦٥، ١٦٦.

(٢٦) بهاء فاروق: حكاية فلسطين بالخرائط والوثائق، دار هلا للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجيزة ٢٠٠٦م، ص١١.

(٢٧) وعلى مقام الخليل أوقف المسلمون الأوقاف، وكذلك النصارى أقباطًا وأرمن، انظر: دفاتر الالتزام: دفتر رقم ١٠٦٤ لسنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ملحق (٢٠)، وكذلك محكمة القسمة العربية، س١ مكرر، ص ص٤٦٢، ٤٦٣، م٧٨٣، ٢٠ رجب ٩٧١هـ/٤ مارس ١٥٦٤م

(٢٨) سنعالج هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

(٢٩) بهاء فاروق: المرجع السابق، ص ٢١؛ للمزيد من المعلومات عن فضائل بيت المقدس، انظر: برهان الدين ابن الفركاح الفزاري: باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، تحقيق: أحمد عبد الباسط وأحمد عبد الستار، مراجعة: نجوى مصطفى كامل، الطبعة الثانية، يصدر بمناسبة احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م.

وقد أعد الصديق الدكتور: حسام عبد الظاهر دراسة مميزة عبارة عن كشاف عام بالمخطوطات في مكتبات العالم بعنوان القدس في التراث العربي، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.

وفي نفس السياق أعد مركز الخدمات البيلوجرافية كتاباً عن المؤلفات المنشورة عن القدس وفلسطين بشكل عام، وبلغت ١٧٧ كتابًا، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م.

(٣٠) رأفت النبراوي: نقود القدس في العصر الإسلامي (العصرين الأموي والعباسي) بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م) ص١٨١.

(٣١) راجع نص وثيقة الأمان في الملحق الأول من هذه الدراسة.

(٣٢) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٣؛ عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٤٧، ٤٨.

(٣٣) مصطفى عبد الغني: الأوقاف على القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص٣٢، ٣٣، انظر: شكل "٢، ٦"، ولوحة "٢".

(٣٤) ربيع حامد خليفة: قبة الصخرة في كتابات المؤرخين والرحالة المسلمين، بحث ضمن أبحاث كتاب ندوة القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٢١؛ انظر: لوحة "٣، ٤".

(٣٥) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٣؛ انظر: لوحة (٣).

(٣٦) ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣، ص٧٨.

(٣٧) مصطفى العبادي: أضواء من برديات نصتان وخربة المرو بفلسطين في فترة الفتح العربي، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ص١١١؛ كارين أرمسترونج: القدس، مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، سطور، الكتاب الرابع، القاهرة ١٩٩٨م، ص٤٠٣.

(٣٨) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٣؛ انظر: لوحة "١، ٢".

(٣٩) مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص ص٣٣-٣٥؛ خالد عزب: عمارة المسجد الأقصى المبارك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٨م، ص٧.

(٤٠) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص٧٣؛ أحمد عبد الرازق أحمد: أضواء على المسجد الأقصى وبعض الكتابات الأثرية في زمن سلاطين المماليك، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م، ص١٣٧ وما بعدها.

(٤١) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٥٤، ٥٥.

(٤٢) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٤٢٠؛ عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٢٣٤، ٢٣٥؛ انظر: ملحق "١".

(٤٣) الكندي: كتاب ولاة مصر، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٦؛ وينتمي أحمد بن طولون إلى إحدى القبائل التي تتألف منها تركستان. أسره ابن أسد الصمامي في إحدى غزواته، وأرسله إلى بلاط الخليفة في بغداد، فأعجب به المأمون وألحقه بحاشيته، واستفاد ابن طولون من الضعف الذي أصاب الدولة العباسية بعد ذلك، فأسس الدولة الطولونية، انظر: عارف باشا: المرجع السابق، ص٥٨.

(٤٤) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٦٠، ٦١.

(٤٥) انظر: حجة تعمير دير السلطان القبطي الأرثوذكسي، ملحق "٦".

(٤٦) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٦٢، ٦٣، انظر: شكل "٢".

(٤٧) راجع ما سنذكره عن العلم والعلماء بين مصر والقدس في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٤٨) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٦٣، ٦٤.

(٤٩) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص٦٧.

(٥٠) نفس المصدر السابق، ص ص٦٧، ٦٨.

(٥١) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٦٦، ٦٧.

(٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٣، ص ١٨٩.

(٥٣) سعيد عاشور: نفس المرجع السابق، ص ص١٨٩، ١٩٠؛ حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٤.

(٥٤) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص١٩١.

(٥٥) للمزيد من المعلومات عن جهود صلاح الدين في توحيد الجبهة الإسلامية وتحرير القدس، انظر: قاسم عبده قاسم: صلاح الدين الأيوبي وحرب الاسترداد الإسلامية، تحرير القدس من الفرنج، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩، ص ص٧٣-١٠٣.

(٥٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤، ص٩٧.

(٥٧) حسنين ربيع: المرجع السابق، ص١٦؛ انظر: شكل "٣" القدس الشريف في العصر الأيوبي.

(٥٨) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣م، ص ص٣٦٠، ٣٦١؛ انظر: لوحة "١" المسجد الأقصى.

(٥٩) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٤٨٦.

(٦٠) انظر: شكل "٨" أبواب القدس.

(٦١) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٨٠، ٨١.

(٦٢) نفس المرجع السابق، ص ص٨٢، ٨٣.

(٦٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت)، ص١٩٩.

(٦٤) أمير طبلخاناه: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في مصر المماليكية، صاحبها يلي أمير مائة مقدم ألف في الدرجة. وسمي أمير طبلخاناه لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئين. ويطلق على أمير طبلخاناه أيضًا أمير أربعين، أي يكون في خدمته أربعون مملوكًا. وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو ثمانين.

انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٤م، ص٤٠٠.

(٦٥) القلقشندي: المصدر السابق، ج٧، ص١٧٠؛ انظر: شكل "٥".

(٦٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة ١٩٧٣م، ص٨١.

(٦٧) علاء طه رزق: دراسات في تاريخ عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٨م، ص١٢.

(٦٨) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص ص٤٩٨، ٤٩٩؛ علاء طه: المرجع السابق، ص١٩.

(٦٩) المقريزي: السلوك، السابق، ج١، ق٢، ص٤٩١.

(٧٠) عارف باشا: المرجع السابق، ص٨٧.

(٧١) علاء طه: المرجع السابق، ص ص٢٤، ٢٥.

(٧٢) عارف باشا: المرجع السابق، ص٨٨.

(٧٣) علاء طه: المرجع السابق، ص٢٥؛ انظر: شكل "٦".

(٧٤) المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ق٢، ص٥١٠؛ انظر شكل "٤".

(٧٥) المصدر السابق، ج٤، ق١، ص٤٢١.

(٧٦) عارف باشا: المرجع السابق، ص ص٩٦، ٩٧.

(٧٧) المرجع السابق، ص٩٨.

(٧٨) علاء طه: المرجع السابق، ص ص٢٨، ٢٩.

(٧٩) المرجع السابق، ص ص٣٥، ٣٦.

(٨٠) المقريزي: المصدر السابق، ج٤، ق١، ص٢٥٤.

(٨١) علي السيد علي محمود: مكتبات عثمانية عشية العصر المملوكي في مدينة بيت المقدس، بحث ضمن أبحاث كتاب ثقافة النخبة وثقافة العامة في مصر في العصر العثماني، منشورات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب – جامعة القاهرة، ط١، القاهرة ٢٠٠٨م، ص٢٠.

(٨٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٨٢-١٩٨٤م، ص٢٠.

(٨٣) من وثائق القدس في الأرشيف المصري، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص٢٦.

(٨٤) ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، أشرف على الطبعة الجديدة، عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ص٧٩.

(٨٥) للمزيد من المعلومات عن المعركة وأسباب هزيمة المماليك، راجع: محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠م، ص١١٠ وما بعدها؛ Holt, P. M., Egypt and the Fertile Cresent, 1516-1922, School of Oriental and African Studies, Univ. of London, 1966, pp. 38-40.

(٨٦) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٥٢٣.

(٨٧) عارف باشا: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٨٨) نفس المرجع السابق، ص٥٢٥.

(٨٩) خالد عزب: المرجع السابق، ص١٣؛ ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ج٢، ترجمة: نبيل صلاح الدين، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص ص٣٢، ٥٥؛ انظر شكل "٧".

(٩٠) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٥٢٦.

الفصل الثاني

المقدسيون في مصر والمصريون في القدس

لم ينتشر المقدسيون في مصر في العصر العثماني في كافة أنحاء البلاد، بل استقروا في مناطق معينة، وكانت القاهرة أهمها؛ حيث استوعبت غالبيتهم، وقد انتشروا في العديد من المناطق في القاهرة، وكان خان الحمزاوي أهمها، وتركز فيه التجار المقدسيون والشوام بعامة.

وكان حي الجمالية من المناطق المهمة، والذي أصبح مركزًا تجاريًا مهمًا، خاصة لتجارة البن والصابون، اللذين لعب المقدسيون دورًا مهمًا في تجارتهما، وسيطروا على عدد من الحواصل في وكالة الصابون.

وانتشر البعض من المقدسيين-خاصة النصارى منهم- في حارة البنادقة بالموسكي، وحازوا فيها عقارات، وسكن الكثير من النصارى المقدسيين في درب الجنينة بالموسكي كذلك؛ ولعل ذلك يرجع لأهمية تلك المنطقة آنذاك كمنطقة تجارية وحرفية سكنها الكثير من الحرفيين المقدسيين.

وبالقرب من تلك المنطقة كان استقرار البعض من المقدسيين في ميدان الغلة وخط البيمارستان المنصوري وحارة الشيخ الرملي، كما استقر العديد من مسلمي القدس في منطقة باب الفتوح والدرب الأحمر وبين القصرين ومنطقة الأزهر؛ لوجود رواق الشوام الذي استقر فيه البعض من الطلبة المقدسيين.

واستقرت أعداد من المقدسيين في الإسكندرية ودمياط باعتبارهما من الموانئ المهمة التي استوعبت بعض التجار من القدس.

وقد سكن المقدسيون – في الغالب – بالقرب من أماكن عملهم أو بجانبها لظروف الانتقال في ذلك العصر.

وفي مقابل وجود المقدسيين في مصر كان هناك مصريون بالقدس؛ بعضهم من العلماء، وزوار مسلمون، استقر البعض منهم في المدينة، إلى أن مات ودفن بها.

وكان الوجود القبطي في القدس أكثر وضوحًا بل وأقدم، ويرجعه البعض للقرن الرابع الميلادي، كما وُجد للأقباط كنائس وأديرة بالقدس، وكان من الطبيعي إشراف الكنيسة المصرية بالقاهرة على الأملاك القبطية في القدس الشريف.

وقد كان لوجود المقدسيين في مصر والمصريين في القدس، أثر في تقوية العلاقات بين مصر والقدس في العصر العثماني على النحو التالي:

المقدسيون في مصر:

نزح العديد من المقدسيين إلى مصر، واستقروا بها، وكانت القاهرة أهم المناطق التي استقروا بها.

القاهرة:

كانت القاهرة أكبر مدن الدولة العثمانية بعد إستانبول، تعيش فيها مجموعة متنوعة من الناس على اختلاف شرائحهم الاجتماعية، وقد استرعى ذلك انتباه الرحالة الأجانب الذين زاروا القاهرة، ورصدوا أنواعًا مختلفة من سكانها؛ منهم الشوام[١] بما فيهم المقدسيين. وكان الناس الذين ينتمون إلى أصل عرقي واحد أو دين يميلون لأن يعيشوا ويعملوا معًا في أماكن متجاورة أو أحياء[٢].

وقد انتشر المقدسيون في القاهرة بصفة خاصة على اعتبار أنها حاضرة الولاية، وتتمتع بوضع اقتصادي متميز في الدولة العثمانية بأسرها؛ ولذلك استقطبت أعدادًا من المقدسيين؛ إما لمزاولة أنشطة اقتصادية متنوعة، خاصة التجارة التي برز فيها الشوام بشكل عام؛ أو أنشطة حرفية أخرى، إلى جانب المجاورة في الأزهر لطلب العلم بالنسبة للمقدسيين من المسلمين.

ويأتي خان[٣] الحمزاوي على رأس المناطق التي تركز فيها الشوام وبخاصة المقدسيون؛ حيث أصبح الخان مركزًا لتجارة القاهرة والمركز الرئيسي للتجار المقدسيين يمارسون فيه أنشطتهم الاقتصادية المختلفة خلال السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر[٤].

وقد وُجد العديد من تجار الأقمشة المقدسيين بالخان، وقد زارهم الرحالة النابلسي[٥] في نهاية القرن السابع عشر[٦]، وكان من أهم هؤلاء التجار تجار الجوخ الذي انتشر في ذلك العصر " الجوخي بالحمزاوي الكبير"[٧].

وكان حي الجمالية من المراكز المهمة والأساسية التي مارس فيها الشوام بشكل عام- والمسلمون من فلسطين وخاصة المقدسيون - أنشطتهم التجارية، وقد احتل هذا الحي المرتبة الأولى من حيث الأهمية خلال القرن الثامن عشر بعد تضاؤل دور خان الحمزاوي؛ حيث أصبح مركزًا لتجارة البن والمنتجات الشامية الرئيسية، ولاسيما التبغ والصابون، ويذهب ريمون إلى أن هذا الحي كان يعمل به ربع عدد الشوام بين عامي ١٦٧٩ و١٧٠٠م.

وكان هناك العديد من الوكالات[٨] التي يترددون عليها دائمًا؛ مثل وكالة الأسيوطي، ووكالة ذي الفقار كتخدا، ووكالة بكير، ووكالة التفاح بصفة خاصة، التي صارت مركزًا لتجارة الشام حتى نهاية القرن التاسع عشر، وأخيرًا وكالة الصابون[٩].

ولعب المقدسيون دورًا مهمًّا في تجارة الصابون، خاصة في وكالة الصابون بخط باب النصر، وكان أكثر التجار الذين يتحكمون في هذه التجارة من "القدس ونابلس"، وكان لهؤلاء التجار شيخ "شيخ وكالة الصابون"، وكان من أغنياء التجار.

وحفظت لنا المصادر أسماء البعض من مشايخ تلك الوكالة؛ مثل الشيخ موسى بن الحاج محي الدين بن أحمد السكري المقدسي، الذي كان يستأجر وكالة الصابون بأجرة مقدارها ١٨,٠٠٠ بارة سنويًا[١٠].

والملاحظ أن شيخ تجار الصابون هو نفسه شيخ وكالة الصابون ويحظى بمكانة كبيرة، وقد دفعت أهمية إنتاج الصابون السلطات إلى تحديد سعر هذه السلعة، وإثقال كاهل منتجيها بالضرائب المختلفة[١١].

وقد تأثر اختيار أماكن بيع الصابون والتبغ بكون هذه السلع من المنتجات الدولية التي لعب فيها الشوام والأتراك دورًا مهمًّا بالقاهرة بين خان الحمزاوي وباب النصر، داخل الإطار الجغرافي لتجارة البن والتوابل.

وقد تمركزت تجارة الصابون بجوار مدخل القاهرة بمنطقة باب النصر/الجمالية التي يتركز فيها الشوام، وقد وجد اثنان من كبار تجار الصابون من القدس[١٢].

وقد سيطر المقدسيون بشكل كبير على هذه التجارة، وامتلكوا الكثير من الحواصل: مثل حاصل درويش بن محمد المقدمي، وحاصل عبد الرحمن المقدسي، وحاصل خليل بن أحمد المقدمي، وكان هذا الحاصل مجاورًا لحاصل يمتلكه نقيب الأشراف بالقدس الشريف، وحاصل لتاجر يدعى محمد بن بزون المقدسي، وكان الشريف عبد اللطيف بن عبد القادر المقدسي "شيخ الحرم القدسي" يمتلك بمفرده خمسة حواصل بالوكالة[١٣].

ولم تكن مساكن تجار وكالة الصابون المقدسيين بعيدة عن الوكالة، بل كانوا يمتلكون مساكن تقع في الشوارع الصغيرة التي تؤدي إلى شوارع الحي الرئيسية: مثل درب القرمز، ودرب العصفر، ودرب البيضة: أي أنهم كانوا يسكنون دائمًا بالقرب من محال عملهم؛ نظرًا لظروف الانتقال في ذلك العصر، وإن كان البعض منهم قد أقام في منطقة باب الشعرية التي لا تبعد كثيرًا عن الجمالية[١٤].

وتعد حارة البنادقة من أهم المناطق التي استقر فيها المقدسيون في قاهرة العصر العثماني؛ حيث وجدنا العديد من المقدسيين الذين امتلكوا عقارات بها؛ مثل عائلة حنا الأرمني القدسي رسام الأيقونات الشهير في القرن الثامن عشر[١٥]، وخاصة ابنه الأكبر أروتين الذي كان يعمل بدار الضرب – دار سك العملة؛ حيث اشترى عقارًا بالحارة بثمن قدره ثلاثمائة ريال حجر بطاقة[١٦].

وكان أروتين بن عطا الله النصراني القدسي يسكن بحارة البنادقة كذلك[١٧]. وكان أحد الأرمن المقدسيين ساكنًا بالحارة، ولدى وفاته أشارت الوثيقة لأموال له بالقدس "سوى ما يظهر للهالك بمدينة القدس الشريف"[١٨].

وكان عازار بن بولص الأرمني القدسي الخياط من أشهر الشخصيات المقدسية التي امتلكت عقارات بحارة البنادقة[١٩]، وكذلك في حارة النصارى التي تقع بالقرب من حارة البنادقة[٢٠].

وكان يعقوب بن مرقص النصراني القدسي الصائغ يسكن في منزل بالإيجار تملكه سيدة أرمنية داخل حارة النصارى[٢١].

أمّا درب الجنينة أو "درب الجنينة المعروف بالأرمني سودون"[٢٢] – وكان درب جنينة سودون ضمن خطط حي الموسكي[٢٣]– والذي استقر به العديد من نصارى القدس، كان منهم عازار الأرمني وأخوه سركيس وصوفية ابنة عازار. وقد امتلك عازار القدسي عدة عقارات في درب الجنينة[٢٤].

وكان حنا الأرمني القدسي يسكن بدرب الجنينة مع زوجه القبطية، وكذلك ابنه الأكبر أروتين وجرجس الذي كان يعمل رسامًا كوالده، وكذلك ابنة حنا التي تدعى منكشة[٢٥].

وكان للمرأة المقدسية وجود قوي في درب جنينة سودون: فعلى سبيل المثال نجد مريم ابنة ميخائيل النصراني القدسي تشتري عقارًا بثمن قدره تسعة آلاف نصف فضة[٢٦]. واشترت هورية وأنة ابنتا صليب القدسي عقارًا بدرب الجنينة بتسعين ريالاً حجرًا بطاقة[٢٧]، وكانت كاسية ابنة حنا القدسي من سكان درب الجنينة كذلك[٢٨].

وفي حارة التركماني نجد استقرار البعض من المقدسيين، منهم نساء[٢٩].

ويُعد ميدان الغلة من المناطق المهمة التي استقطبت أعدادًا من المقدسيين: حيث امتلك جرجس بن حنا الأرمني القدسي عقارًا كان في الأصل "زريبة" ثم حوله إلى دكان[٣٠]، ثم باع جرجس هذا الدكان لأخيه أروتين، وسجلا حجة شرعية تؤكد ملكية أخيه أروتين لهذا العقار[٣١]. كما كان أروتين يمتلك حصة في عقار قدرها أربعة عشر قيراطًا بميدان الغلة، وكان العقار ذا قيمة عالية: حيث اشتراه بمبلغ خمسمائة ريال حجر بطاقة[٣٢].

وحاز الصائغ عازار الأرمني المقدسي عقارات بخط ميدان الغلة؛ حيث نجده يشتري حصة قدرها عشرون قيراطًا في عقار يطل على دار دواب الطاحون بثمن قدره مائة وإحدى وستون ريالاً حجرًا[٣٣].

كما كانت صوفية ابنة عازار تمتلك عقارًا بميدان الغلة اشترته بثمن قدره ستمائة وخمسة وتسعون ريالاً حجرًا بطاقة[٣٤]. وكانت منكشة زوج سركيس الصائغ القدسي وابنة حنا الأرمني القدسي تمتلك حصة في عقار بميدان الغلة بثمن قدره ستة وستون ريالاً حجرًا بطاقة[٣٥].

وفي خط البيمارستان المنصوري حيث وكالة آقاش الصغرى وحارة المقاصيص، نجد استقرار العديد من المقدسيين خاصة من يعمل منهم بالصياغة؛ حيث تردف الوثائق أسماءهم بـ"الصائغ بوكالة آقاش"[٣٦]؛ مثل عازار الأرمني وأخيه سركيس[٣٧].

واستقر عدد من المقدسيين - خاصة النصارى منهم - في منطقة القلعة؛ حيث العمل في دار الضرب[٣٨] – سك العملة – أو "الضربخانة" كما تطلق عليها الوثائق، وقد اشتغل بها البعض من المقدسيين، فكان منهم "الجواهرجي بدار الضرب خاناه"[٣٩]، و"الحلال بدار الضرب خاناه"[٤٠]، والرسام بدار الضرب[٤١].

وكان خط الشيخ الرملي – بالقرب من الموسكي – من المناطق التي استقر بها بعض المقدسيين من خلال حيازتهم لعقارات؛ حيث وجدنا مادالينا زوج أروتين الأرمني القدسي وبناتها الثلاث وردة ولطيفة ومريم يملكن نصف عقار "بخط الشيخ الرملي"[٤٢].

كما كان أروتين بن حنا وأخوه جرجس يملكان عقارًا "بخط حارة الشيخ الرملي" اشترياه من خالتهما "حنة ابنة تادرس القبطية" بثلاثمائة ريال حجر بطاقة[٤٣].

وتركزت أوقاف بعض المقدسيين في مصر والموقوفة على أديرة في القدس بحارة الشيخ الرملي، وكان من أهم تلك الأوقاف أوقاف دير مار يعقوب الأرمني[٤٤].

وتُعد منطقة باب النصر من المناطق التي استقر فيها المقدسيون- وبخاصة المسلمون - حيث تجمع بعض المقدسيين الذين يعملون فتالين في الحرير وصناعة الأقمشة الحريرية

خاصة في حارة الجوانية، داخل عطفة تعرف بعطفة الشوام: مثل الزيني شعبان بن مؤيد المقدسي[٤٥].

وفي منطقة باب الفتوح حيث الشارع الأعظم الذي يخترق القاهرة ويصل بين باب الفتوح شمالاً وباب زويلة جنوبًا بشارع المعز لدين الله الفاطمي[٤٦]: استقر بعض المقدسيين مثل شمس الدين محمد بن زين الدين يعقوب المقدسي الحنبلي[٤٧].

وفي خارج باب الفتوح نجد بعض المقدسيين الذين يعملون في تجارة وصناعة وغزل الصوف في "حارة الصوافين" مثل شمس الدين ابن إبراهيم المقدسي[٤٨].

وفي خط الحسينية نجد "وكالة القدس والخليل". ولا شك في وجود العديد من المقدسيين الذين عملوا في وكالتهم، وعاشوا بالقرب منها: مثل الحاج محمد المقدسي[٤٩]، كما استقر البعض من الأشراف – من آل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصولهم من القدس[٥٠].

وفي الدرب الأحمر نجد الشيخ الورع الناسك أحمد نور الدين المقدسي إمام جامع قجماس[٥١] وخطيبه بالدرب الأحمر، وهو أخو الشيخ حسن المقدسي مفتي السادة الحنفية، وشارك أخاه الشيخ حسن في الشيوخ الذين أخذ عنهم واشتغل بالعلم.

ويذكر الجبرتي أنه "كان شيخًا وقورًا بهي الشكل مقبلاً على شأنه منجمعًا على الناس". وقد توفي في ١٦ ربيع الأول ١١٩٠هـ/ ٥ مايو ١٧٧٦م[٥٢].

ويضيف الجبرتي أن الشيخ حسن المقدسي تفقه على شيخ وقته الشيخ سليمان المنصوري والشيخ عبد العزيز الرمادي، واشتغل بالتدريس في الجامع الأزهر في حياة شيوخه، وأصبح خطيبًا وإمامًا لمسجد الأمير عثمان كتخدا بالأزبكية، وسكن في منزل بجوار المسجد[٥٣].

ويذكر الجبرتي عن علاقة الشيخ حسن المقدسي بالأمير عبد الرحمن كتخدا أنه "كان له به ألفة". وبنى الشيخ حسن منزلاً نفيسًا يطل على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء، واشتهر أمره[٥٤].

وفي منطقة بين القصرين[٥٥] كان هناك وجود للمقدسيين خاصة النساء؛ حيث كانت ستيتة ابنة أحمد المقدمي تسكن هناك.

وفي منطقة الجودرية كان للمقدسيين وجود؛ مثل الحاج إبراهيم بن شخيص المقدسي، وكذلك أبو الجود أحمد بن شهاب الدين الشهير بابن قطيباني المقدسي الأنصاري[٥٦].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى استقرار عدد لا بأس به من المقدسيين في رواق الشوام بالأزهر الشريف، وهذا الرواق خصص للطلبة الوافدين من بلاد الشام، ويقع إلى يمين الداخل من باب الشوام، أما بابه ففي المقصورة القديمة، ويشتمل على إيوانين متسعين غطيت أرضهما بالبلاط، وشيدت في أعلاهما مساكن للطلبة، وقد بلغ عددها زهاء ثلاثين مسكنًا.

ويُعد رواق الشوام أكبر أروقة الأزهر وأكثرها ازدحامًا بالطلبة. وقد أنشأ هذا الرواق السلطان الأشرف قايتباي (١٠٩-٨٧٢هـ=١٤٦٨-١٤٩٦م)، وهو أحد سلاطين دولة المماليك الشراكسة[٥٧].

وفي خط الكعكيين كان هناك وجود كبير للشوام بشكل عام؛ حيث أشارت الوثائق إلى "قهوة الشوام"[٥٨]، ولا شك في وجود البعض من المقدسيين الذين يترددون على تلك القهوة.

وإيمانًا منا بضرورة الحيدة والموضوعية في الدراسات التاريخية؛ كان من الواجب الإشارة لليهود "المقدسيين"، وهل لهم وجود في مصر – آنذاك – أم لا؟

وباستقراء الوثائق – التي اطّلعنا عليها – لم نجد سوى يهودي "مقدمي" واحد، وكان يعمل جزارًا بحارة اليهود[٥٩]. كما أشارت دراسة حديثة إلى يهودي يدعي نسيال بن باروخ الربان القدسي، وكان يعمل مؤدبًا لأطفال اليهود[٦٠]. وكان أصلان بن سعدية بن ميمون اليهودي القدسي الربان يعمل صرافًا بالديوان العالي[٦١].

وعلى أية حال كانت القاهرة أهم منطقة انتشر فيها المقدسيون في العصر العثماني؛ حيث انتشروا – كما رأينا – في العديد من الحارات والخانات والوكالات، مشتغلين بالعديد

من الحرف والصناعات التي عرفت في ذلك العصر، كما وجد العديد منهم من العلماء والذين انتشروا للتدريس في مساجد القاهرة، وقطنوا بجوار تلك المساجد.

الإسكندرية:

كانت الإسكندرية أهم موانئ مصر في العصر العثماني[٦٢]. ووصفها الوزان بأنها "مدينة مصر الكبرى"[٦٣]. وقد عاش الكثير من الشوام بشكل عام فيها بما فيهم المقدسيون، ومارسوا كافة الأنشطة الاقتصادية باعتبارهم رعايا دولة واحدة، وهي الدولة العثمانية.

دمياط:

كانت دمياط الميناء الرئيسي للسفن المتجهة إلى شرق البحر المتوسط لموقعها بالقرب من مناطق زراعة الأرز بالدلتا؛ حيث احتل الأرز مكانة مهمة بين الصادرات المصرية آنذاك، وكانت دمياط من المناطق المهمة التي تركز فيها المقدسيون في العصر العثماني لأهميتها التجارية؛ حيث اتخذوها كمحطة للاستقرار والتجارة[٦٤].

وقد استقر بعض العلماء المقدسيين في دمياط؛ مثل الشيخ محمد حافظ القدسي الحنفي القاضي بدمياط، وكذلك الشيخ أحمد القدسي الحنفي القاضي بمحكمة دمياط كذلك، إلى جانب الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ محمد السعدي القدسي الحنفي، إمام الحنفية بالمدرسة المعينية بثغر دمياط[٦٥].

ووجد يهودي مقدسي يعمل صرافًا بديوان دمياط[٦٦]. وبالتالي كانت دمياط من المناطق التي عاش فيها المقدسيون.

تجمعات ومساكن المقدسيين:

يمكن استخلاص بعض الحقائق عن تجمعات ومساكن المقدسيين؛ فبعض هذه التجمعات الخاصة بالنصارى المقدسيين تتركز داخل المناطق التي تعلو فيها نسبة النصارى بشكل عام؛ مثل حارة البنادقة، ونجد بعض هذه العقارات أغلب حدودها نصارى[٦٧]، وتشترك بعض هذه العقارات في حد من هذه الحدود مع مساكن مسلمين، بل نجد أحيانًا عقارًا لنصراني مقدسي، وينتهي أحد حدود هذا المنزل لمسجد[٦٨].

ونجد استغلال بعض المقدسيين لعقارات تابعة في الأصل لأوقاف إسلامية سواءً بالاستئجار أو شراء حق الانتفاع[٦٩].

وهناك تجمعات تجمع بين المقدسيين مسلمين ونصارى خاصة تجمعات العمل التجاري والحرفي؛ فنجد خان الحمزاوي الذي كان من أهم المناطق التي تجمع فيها تجار الأقمشة خاصة الجوخ، من الشوام بعامة مسلمين ونصارى[٧٠]، وكذلك وكالة الصابون التي جمعت المسلمين والنصارى من المقدسيين والشوام بشكل عام، وقد مر بنا أن شيخ التجار بوكالة الصابون كان الحاج محيي الدين السكري المقدسي. وكان للمقدسيين العديد من الحواصل بالوكالة[٧١].

وكانت منطقة درب الجنينة ضمن المناطق المهمة التي تجمع فيها البعض من المقدسيين خاصة من النصارى من ذوي أصول أرمنية مقدسية[٧٢].

ونستنتج من ذلك ميل المقدسيين للعيش معًا في حارات أو أحياء؛ ولكن – كما يرى ريمون – أنه من غير الملائم أن نطلق على المسلمين منهم لفظ الأقلية كجماعة أجنبية مسلمة؛ لأنهم لم يشعروا باغتراب حقيقي في مصر، بل سرعان ما تحقق لهم الاندماج مع أفراد الرعية الذين كانوا يماثلونهم من حيث الدين والثقافة، فلم يكن هناك ما يفصل بين الشوام عن الأهالي المسلمين، باستثناء الرجوع إلى الأصل الجغرافي أحيانًا، بينما كان أفراد الجماعات المسيحية من غير المصريين يعاملون معاملة الأجانب، إلا أن السلطات كانت تميل نحو دمج الشوام المسيحيين الناطقين بالعربية في إطار الأقلية المحلية، بل منحهم وضعًا مماثلا[٧٣].

وقد تمسكت المقدسيات بالإقامة في مصر؛ حيث اشترطت خديجة ابنة زين الدين المقدسية على زوجها موسى بن إبراهيم بن عبد الله أنه "متى سافر بها إلى أي جهة خارج القطر المصري تكون طالقًا على ربع دينار"[٧٤].

ومعنى ذلك أن المقدسيين تفاعلوا مع جيرانهم سواء في السكن أو العمل، ولم يشعروا باغتراب في المجتمع المصري الذين عاشوا بين ظهرانيه.

العلاقة بين السكن ومحل العمل:

تُعد دراسة العلاقة بين سكن المقدسيين ومحال عملهم من النقاط الجديرة بالدراسة. وتشير الأدلة التاريخية للتنوع في هذه النقطة، بمعنى أنه لم يكن هناك خط واحد يحكمها؛ فنجد على سبيل المثال الشيخ علي بن موسى بن مصطفى المقدمي الذي كان يُدرِّس بجامع الحسين، ومنزله بالقرب من "المشهد الحسيني"، ثم انتقل إلى منزل واسع في طرف القاهرة، وكان يرتحل إلى إسلامبول ويعود[٧٥]. وسكن الشيخ أحمد نور الدين المقدسي بالدرب الأحمر، وكان يعمل خطيبًا بمسجد في ذات المنطقة[٧٦].

وإذا انتقلنا إلى نقطة أخرى تتعلق بالسكن في مكان والعمل في مكان آخر، ولكن ليس بعيدًا عن السكن لظروف الانتقال في ذلك العصر، نجد الصائغ عازار الأرمني القدسي الذي كان يسكن في درب جنينة سودون بالموسكي، ويعمل في وكالة آقاش بخط البيمارستان المنصوري بالقرب من الموسكي[٧٧]، وحنا بن أروتين الرسام القدسي الذي كان يسكن في جنينة سودون، ويعمل رسامًا للأيقونات في كنائس مصر القديمة، كما أن له أعمالاً في دير السريان بوادي النطرون[٧٨]، وأروتين بن حنا كان يعمل حلالاً بدار الضرب بالقلعة، ويسكن في جنينة سودون بالموسكي[٧٩].

وعمل الكثير من المقدسيين بتجارة الصابون، وسكنوا بالقرب من الوكالة التي يعملون بها؛ حيث كانوا يمتلكون مساكن تقع في الدروب التي تؤدي إلى شوارع الحي الرئيسية؛ أي أنهم كانوا يسكنون دائمًا بالقرب من محال عملهم؛ وإن أقام بعضهم في منطقة باب الشعرية، وهي ليست بعيدة عن منطقة الجمالية إحدى أهم بؤر نشاطهم الاقتصادي[٨٠].

ونستدل من ذلك على أن الكثير من المقدسيين - وبخاصة المستقرون بأسرهم في مصر- يعملون في مكان، ويتخذون مسكنًا لهم في مكان آخر مع أسرهم، ويكون السكن بالقرب من محل العمل، والنادر من يعمل في مكان بعيدًا عن سكنه لظروف وسائل الانتقال التي كانت سائدة في ذلك العصر.

تعداد المقدسيين في مصر في العصر العثماني:

تواجه الباحث في تاريخ مصر في العصر العثماني بعض الصعوبات، لعل أهمها مسألة تعداد السكان؛ ويرجع ذلك لغياب سجلات للتعداد في ذلك العصر، بعكس القرن التاسع عشر "سجلات تعداد النفوس"، إلى جانب صمت المصادر العربية – في حدود علمنا – عن الخوض في هذه المسألة.

وربما تنفرد المصادر الأجنبية - ونقصد كتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في ذات الفترة، وكتابات علماء الحملة الفرنسية "وصف مصر" - بذكر تعداد "الشوام" بشكل عام: حيث لم تشر المصادر لتعداد المقدسيين بمفردهم، وقد قدر جومار وشابرويل عدد الشوام المسلمين بـ ٢٠,٠٠٠، والشوام المسيحيين بـ ٥,٠٠٠[(٨١)].

ونحن من جانبنا لا نملك من المصادر ما يمكننا من الوصول إلى رقم معين لتعداد المقدسيين بشكل خاص.

- المصريون في القدس:

كانت مصر وبلاد الشام تحت حكم سلطنة المماليك لأكثر من قرنين ونصف من الزمان (١٢٥٠-١٥١٧م)، وكانت القاهرة هي قاعدة السلطنة، ومن ثم كان المصريون والشوام رعايا لسلطنة واحدة؛ ولذلك قويت العلاقات بين مصر والقدس، وكما مر بنا استقر الكثير من المقدسيين في مصر، واتخذوها وطنًا لهم؛ لأنهم من رعايا سلطنة واحدة.

وفي العصر العثماني، وعندما فتح العثمانيون الشام (١٥١٦م) بعد موقعة مرج دابق، ثم مصر بعد موقعة الريدانية (١٥١٧م)، أصبحت مصر والقدس في ظل سلطنة واحدة، هي السلطنة العثمانية، ومن هنا ظل الوجود القدسي في مصر قائمًا، وكذلك الوجود المصري في القدس، وإن كان الوجود القدسي في مصر أكثر بحكم وضع القاهرة الاقتصادي الذي أغرى الكثير من الأسر المقدسية للعيش فيها، والتعلم في معاهدها وعلى رأسها الأزهر. كما لم تخل مدينة القدس من الوجود المصري سواء الإسلامي أو المسيحي بحكم قدسية المدينة.

وكانت القدس في طريق قافلة الحج المصري الذي كان يضم معه قافلة الحج المغربي، ومن هنا استقرت أعداد من المصريين والمغاربة في القدس[٨٢]. كما استقر بالمدينة إلى جانب المسلمين، مسيحيون متنوعون: اللاتين، والسريان، واليونان، والأرمن، والأحباش، والأقباط المصريون، وشعوب أخرى تعتنق المسيحية[٨٣].

وقد هاجر الكثير من العلماء المصريين إلى بيت المقدس؛ مما كان له آثاره العلمية في القدس، ومن هؤلاء أسرة بني القلقشندي التي تنتسب إلى الشيخ تقي الدين القلقشندي (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) [٨٤] والذي دفن بالقدس. ودفن بها كذلك شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم (٨١٥هـ/١٤١٢م). ودفن بها أيضًا الشيخ عثمان الحطاب المصري من أعيان الصالحين بمصر (٨٩٢هـ/١٤٨٦م) [٨٥].

وقد زار الكثير من العلماء العظام القدس؛ حيث تردد الإمام الشافعي مؤسس المذهب الشافعي المعروف كثيرًا على القدس، وكانت تجذبه قدسية المدينة[٨٦].

ومن العلماء الذين زاروا بيت المقدس الشيخ عبد الرحمن الحسيني العلوي العيدروسي الذي ينتهي نسبه للإمام علي كرم الله وجهه؛ حيث يذكر الجبرتي "ثم رجع إلى بيت المقدس وزار وعاد إلى مصر"[٨٧]، وقد زار بيت المقدس الإمام الفاضل المحدث السيد محمد بن أحمد الحسيني الذي " زار بيت المقدس فأكرم بها "[٨٨].

ويُعد الوجود المصري المسيحي "القبطي" في القدس من أهم مظاهر الوجود المصري في المدينة المقدسة، وترجع معظم الدراسات نشأة الوجود القبطي في القدس إلى زيارة الأماكن المقدسة في المدينة، منذ اكتشاف الإمبراطورة هيلانة الصليب المقدس في عام ٣٢٥م، وتأسيسها كنيسة القيامة، وليس أدل على ذلك من اشتراك البطريرك القبطي أثناسيوس في تدشين هذه الكنيسة مع بطريركي إنطاكية والقسطنطينية، وكذلك قصة القديسة مريم المصرية التي حضرت إلى القدس في عام ٣٨٢م، حيث استقرت هناك وشاع صيتها، حتى إنه بعد وفاتها، تم تشييد كنيسة على اسمها مجاورة لكنيسة القيامة[٨٩].

واستمر الوجود القبطي في القدس مع الفتح العربي له؛ فقد نص عهد الأمان الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب للطوائف المسيحية بما فيهم الأقباط على أن يدفعوا الجزية طالما استمروا على دينهم وبقوا في المدينة[٩٠].

واستمر بناء الكنائس والأديرة القبطية في القدس بعد ذلك؛ ففي القرن التاسع الميلادي تم إنشاء كنيسة المجدلانية، وهي كنيسة قبطية في القدس[٩١].

ويُعد دير السلطان أهم مظاهر الوجود القبطي في القدس، ويقع هذا الدير على سطح كنيسة المجدلانية وكنيسة الملاك والممر الموصل من كنيسة هيلانة إلى سور كنيسة القيامة، ولهذا الدير أهمية خاصة عند الأقباط؛ لأنه طريقهم المباشر للوصول من دير مار أنطونيوس حيث البطريركية المصرية إلى كنيسة القيامة، ومعنى فقدانه عند الأقباط أن تصبح كل أملاكهم لا تساوي شيئًا، ويضطر الحجاج والزوار إلى المرور في طرق عمومية طويلة ليصلوا إلى كنيسة القيامة[٩٢].

وقد أكدت الوثائق أحقية الأقباط في دير السلطان: فلدينا وثيقة ترجع لعام ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م تطلق على دير السلطان "دير طائفة نصارى القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديمًا بدير السلطان بمحلة النصارى"، وهي صادرة باسم "المعلم سالم البنا المتكلم على أوقاف نصارى القبط بمحمية القدس"[٩٣].

وينقسم الدير إلى جزئين: جزء خاضع لقوانين "الاستاتس كيو Status Que"؛ أي الحفاظ على الوضع القديم، وجزء خارج عن هذه القوانين.

ويشمل الجزء الأول وسط الدير تقريبًا؛ لأنه عبارة عن سطح مغارة الصليب الذي هو جزء من كنيسة القيامة، لذلك يخضع لقوانين الاستاتس كيو. أما الباقي فهو كائن في الجهة الشرقية والقبلية، وبه بعض المباني القديمة، وهي عبارة عن حجرات أقيم معظمها في الجزء الخارجي من الاستاتس كيو، وبعضها داخله. وللوصول من هذا الدير إلى كنيسة القيامة يجب الدخول من باب كنيسة الأربع حيوانات والنزول منها إلى كنيسة الملاك والخروج من بابها إلى ردهة كنيسة القيامة[٩٤].

وكان الأقباط في القدس تحت نظارة الأرمن وحمايتهم، وكانت طائفة الأحباش في القدس تتبع الأقباط؛ فرئيس ديرهم كان يعينه بطريرك الأقباط في مصر؛ لذلك امتازت علاقاتهم فيما بينهم بالود، فعاشوا معًا في دير السلطان، وكان يتبعهم أيضًا طائفة السريان؛ حيث أشارت المصادر إلى القس جرجس القبطي مطران السريان[٩٥].

وقد عني الأقباط طوال تاريخهم في القدس بالمحافظة على هذا الدير، وظل في حوزتهم حتى القرن السابع عشر، عندما استضافوا الإثيوبيين بعد تخليهم عن أملاكهم بسبب عجزهم عن دفع الضرائب المقررة عليهم ولجوئهم إلى الأرمن لمساعدتهم، فاستولوا على أملاكهم، فلو كان دير السلطان هذا ملكًا للإثيوبيين لاستولى عليه الأرمن، ولما آلت ملكيته إلى الأقباط.

وقد ظل الإثيوبيون يقطنون الدير مع الأقباط حتى سنة ١٨٢٠، عندما اقتضت الضرورة ترميم الدير في أكتوبر من هذا العام، وضرورة إخلاء الغرف التي يقيم فيها الرهبان الإثيوبيون، على أنهم عادوا مرة أخرى إلى الدير بعد انتهاء الترميمات، بل تزايد عددهم أكثر مما كان من قبل؛ مما يدل على أن خروجهم من الدير لم يكن له سبب آخر سوى الإصلاح والترميم[٩٦]. وقد نشأت مشكلة بين الأقباط والإثيوبيين حول دير السلطان[٩٧].

وعلى أية حال قام أبو المكارم بعمل أول حصر دقيق للكنائس القبطية في القدس في تاريخه عن الكنائس في عام ١٢٨١م؛ حيث يذكر وجود هيكل داخل كنيسة القيامة[٩٨]، وكنيسة باسم المجدلانية، وكنيسة ثالثة هي التي دخلت في دير السلطان[٩٩].

وقد أشار Meinardus إلى تلك الأملاك، وإن اعتبر الأقباط فئة فقيرة في القدس، وأنهم كانوا يستعملون الألواح الخشبية للدعوة إلى الصلاة بدلاً من الأجراس[١٠٠]. كما انتقدهم البعض واصفًا إياهم "بمظهرهم الخارجي غير المهندم"[١٠١].

وتشير دراسة حديثة إلى وجود دير مار جرجس للراهبات، ويقع بالقرب من باب الخليل[١٠٢].

وكان أهم تحول في تاريخ الوجود القبطي في القدس حتى النصف الأول من القرن الثالث عشر، هو ما تم في عصر البابا كيرلس الثالث الذي أنشأ إيبارشية الكرسي الأورشليمي للأقباط الأرثوذكس؛ فحتى ذلك الوقت كان الوجود القبطي - ليس في القدس فحسب بل في الشام بأكمله- تحت رعاية بطريرك إنطاكية. لكن البابا كيرلس الثالث خطا خطوة مهمة في هذا الشأن؛ حيث أنشأ لأول مرة مطرانية للقدس والشام، ورَسَمَ لها أحد الأساقفة الأقباط.

ولعل هجرة بعض الأقباط من مصر واستقرارهم في القدس وبعض المدن الشامية وحاجتهم إلى راع قبطي، كان السبب الرئيسي في إنشاء هذه المطرانية، ومنذ ذلك الوقت - وحتى الآن - أصبح لمطرانية القدس مركز مهم في الإكليروس القبطي[١٠٣].

ولم يعد نفوذ هذا الكرسي يقتصر على القدس أو حتى الشام فحسب، بل شمل القليوبية والشرقية والدقهلية والغربية والسويس ودمياط وبورسعيد حتى القرن العشرين؛ وإن خرجت هذه بعد ذلك في أوقات متفرقة لتشكل وحدات مستقلة، لاسيما مع تغير الأوضاع الإدارية للمطرانيات القبطية في فترة لاحقة.

وقد أشارت الوثائق إلى "تقليد" صادر من البطريرك القبطي برسامة مطران الكرسي الأورشليمي، وتحديد مهامه وواجباته على أن يكون "رئيسًا بالقيامة المعظمة والأماكن المقدسة والإثارات السيدية، والبيع والديورة داخل القيامة المعظمة وخارجها، المختصة بجماعة النصارى طائفة القبط بمدينة القدس الشريف". ومن مهامه "التكلم والتحدث في إصلاح ما يتعلق بالقيامة وخدامها من الكهنة والشمامسة والحبش والزوار"، وأيضًا "التحدث والنظر على موجود القيامة المقدسة والأماكن المقدسة وعلى وقوفاتها "أوقافها" وتعلقاتها الداخلة فيها والخارجة عنها، وعليه حفظ ذلك وصونه وجمعه وحوزه كما يجب ويسعى عليه وينميه ويثمره، ولا يُمكِّن أحدًا من التفريط، ولا من إضاعة شيء منه، إلا في وجهه الذي ينبغي صرفه فيه، وليس لأحد أن يعمر منازل أو مساكن إلا بمعرفته. وإن كان ضروريًا؛ بحيث لا يخالفونه فيها ولا يردون له أمرًا.. ويجب على الرئيس المذكور أن لا ينال من رزق الأماكن المقدسة إلا ما هو كفاف، ولحياته قوام"[١٠٤].

وقد أشارت المصادر للمهام الفعلية للأنبا باسيليوس مطران القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر " فلما صار الأنبا باسيليوس مطرانًا على القدس بدأت فضائله في الظهور، ولم يكن للطائفة القبطية في فلسطين شأن يذكر فرفع شأنها بما أحسنه من العلائق الودية مع الطوائف الأخرى وإنشاء الكنائس"[١٠٥].

وقد حرص بطريرك الأقباط المقيم في القاهرة على الوقوف إلى جانب الأقباط في القدس في نزاعاتهم الدينية مع الطوائف الأخرى، وبخاصة مع طائفة الروم الأرثوذكس[١٠٦].

وقد بنى الأقباط في القدس خانًا لإيواء الحجاج الذين كانوا يصلون من مصر إلى القدس سنويًا. وقد استغرق بناء هذا الخان عامًا كاملاً وتكلف بناؤه ٥٠٠,٠٠٠ قرش، وكان ذلك عام ١٨٣٩م على يد الأنبا إبراهام، وبني فوقه دير لزائري القدس من القبط[١٠٧].

وفي عصر محمد علي وعقب استيلائه على الشام تم إلغاء التقسيمات الإدارية التي سادت في العصر العثماني الأول، وأصبحت القدس تتبع باشوية الشام من الناحية الإدارية، وقام محمد علي بنقل أحد البلوكات العسكرية من يافا إلى القدس، وكان الهدف من ذلك هو تأمين المدينة بشكل تام، وقام محمد علي ببناء طابية جديدة بجوار النبي صالح عليه السلام، واهتم بوضع الذخيرة اللازمة للقلاع المحيطة بالقدس، وأصدر أوامره بضرورة الاهتمام بإرسال التقارير أولاً بأول عن أحوال المدينة[١٠٨].

وعندما احتاجت الكنائس والأديرة القبطية في القدس إلى الترميم، تدخل بعض كبار الموظفين الأقباط لدى محمد علي، واستصدروا منه رسالة إلى والي دمشق بالسماح للأقباط بإجراء الترميمات اللازمة، وأصدر الوالي قرارًا بالتعمير، وبالفعل تم ترميم معظم الكنائس والأديرة القبطية آنذاك[١٠٩].

ومن النقاط الجديرة بالذكر تعداد الأقباط في القدس، وكلها تقديرات لا تعبر بالضرورة عن العدد الحقيقي للوجود القبطي في القدس؛ فقد ذكر البعض تعداد الأقباط في القدس عام ١٨٠٠م بخمسين قبطيًا[١١٠]، ولم يتغير العدد في عام ١٨٠٦م، في حين ارتفع إلى مائة قبطي في عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م[١١١].

وكان الأقباط يدفنون موتاهم في البداية في مقبرة الروم الأرثوذكس، وعلى أثر تبعيتهم للأرمن احتج الروم الأرثوذكس، وطالبوا بأن يدفن الأقباط موتاهم في مقبرة الأرمن "وإذا هلك منهم أحد يدفن في مقبرة الأرمن؛ لأنهم صاروا تبعًا لهم"[١١٢].

ويكفن الميت قبل وضعه في التابوت بكفن أبيض، ويكسي التابوت بنسيج أحمر وزهري للأحداث، وأسود للكهول، وإذا كان الميت شابًا، فإن التابوت يكون مكشوفًا من البيت إلى المقبرة، ومن سواه يغطي[١١٣].

وتجرى للميت مراسم في الكنيسة، وبعدها ينقل محمولاً، ويسير موكب الجنازة يتقدمه الكهنة بحللهم الكهنوتية، وأمامهم الصليب، ثم النعش، ويتولى الكاهن الدفن[١١٤].

ومن العرض السابق يمكن استخلاص بعض النتائج عن المقدسيين في مصر والمصريين في القدس؛ حيث استقر معظم المقدسيين في مدينة القاهرة باعتبارها مركزًا تجاريًا وحرفيًا على مستوى الدولة العثمانية بأسرها.

وقد استقر نصارى القدس في أماكن بعينها؛ لأن سمة تلك الفترة أن الجماعات التي تنتمي إلى أصول عرقية أو دينية معينة أو حتى جغرافية، تميل لأن تعيش وتعمل معًا، واتضح ذلك في المراكز التجارية والحرفية في القاهرة.

كما استقر مسلمو القدس في مناطق معينة بدورهم، وليس معنى ذلك وجود خط فاصل بين المقدسيين مسلمين ونصارى، كما أن البعض من المسلمين المقدسيين كانوا من العلماء، ومن ثم تركزوا بجوار المساجد الكبرى كالجامع الأزهر، خاصة رواق الشوام الذي كان أكبر أروقة الأزهر الشريف، وغيره من المساجد الكبرى.

وعلى الجانب الآخر، استقر العديد من المصريين مسلمين ونصارى في القدس؛ لأهمية المدينة كمركز ديني تهوي إليه أفئدة الجميع، فاستقر فيها البعض من العلماء، وعاشوا فيها هم وأسرهم، كما أن الوجود القبطي في القدس كان على جانب كبير من الأهمية لتعدد الأماكن المقدسة المسيحية في المدينة بشكل عام، والأملاك القبطية فيها بشكل خاص.

ولا شك في أن وجود عناصر من كلا البلدين في البلد الآخر ساعد بشكل أو بآخر على تدفق الدماء في الشرايين التي ربطت بين البلدين؛ مما ساهم في تقوية العلاقات بينهما على مر العصور، وحتى الآن.

هوامش الفصل الثاني

(1) Jhistele. J. Voyage en Égypte, 1482-1483, IFAO, Le Caire, 1976, T.1, p. 20; Lithgow, W., Voyages en Égypte des anneés, 1611 et 1612, IFAO, Le Caire, 1973, T.2, pp, 292, 293.

(٢) ميكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة: إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص٣٣٣.

(٣) يعود أصل كلمة خان إلى اللغة الفارسية، وقد ظهرت لأول مرة في النقوش العربية بالشام مع "خان العقبة" المشيد في سنة ٦١٢هـ/١٢١٣م، وفي البداية كانت الخانات محطات لإيواء الغرباء مجانًا، وأقيمت مثل هذه المنشآت على طريق البريد؛ حيث كان بإمكان الرحالة أن يجدوا في كنفها ملاذًا يؤويهم، وأماكن لتخزين بضائعهم، وكان أول ظهور لكلمة خان في النقوش المصرية نحو عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩-١٣٣٠م. انظر: أندريه ريمون: الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، ترجمة: ناصر إبراهيم وباتسي جمال الدين، مراجعة: رءوف عباس، ج١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥، ص٤٢٦.

(٤) ريمون: المرجع السابق، ج٢، ص٧٠٦.

(٥) هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي من أفاضل علماء دمشق عند نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر. وهو حنفي المذهب، عالم، أديب، ناظم، صوفي مشارك في أنواع العلوم. انظر: محمد عفيفي: صورة مصر عند الرحالة المسلمين في العصر العثماني، حوليات إسلامية، حولية رقم ٥٣٣، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة ١٩٩٩، ص٧٠.

(٦) ريمون: المرجع السابق، ج١، ص٥٠٤.

(٧) محكمة الباب العالي: س٣١١، ص٣٩٠، ٣٩١، م٧١٩، ١٦ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/١٦ أغسطس ١٧٩١م.

(٨) كانت الوكالات تستخدم للتجارة الكبيرة بالقاهرة وكانت تستعمل لتخزين البضائع والمنتجات قبل توزيعها على دكاكين البيع بالتجزئة أو تخزين المنتجات التي كان يعاد تصديرها للخارج أو إلى بقية أنحاء البلاد. انظر: ريمون: المرجع السابق، ج١، ص٤٢٧.

(٩) ريمون: ج٢، ص ص٧٠٦، ٧٠٧.

(١٠) السيد سمير عبد المقصود: الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٤٢.

(١١) ريمون: المرجع السابق، ج٢، ص٧٠٧.

(١٢) نفسه، ج١، ص٥٢١.

(١٣) السيد سمير: المرجع السابق، ص٤٣.

(١٤) ريمون: المرجع السابق، ج١، ص ص٧٠٧، ٧٠٨.

(15) Yohana, Yossef, "The Iconwriter Hanna Al-Armani according to an Ottoman Legal Document" Annales Islamologiques, Analsi 37, IFAO, Le Caire, 2003, pp. 443-445.

(١٦) الصالحية النجمية: س٥٣٠، ص٣٧٦، م٦٦٢، ١٦ محرم ١١٩٤هـ/٢٣ فبراير ١٧٨٠م. والريال حجر عملة قدرت بـ٩٠ بارة، وهو السعر الذي ثبت عليه علي بك الكبير قيمته وهو التالر النمساوي، انظر: صمويل برنارد: الحياة الاقتصادية في القرن الثامن عشر، الموازين والنقود، ج٣، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة ١٩٨٠، ص٩٠.

(١٧) القمسة العربية: س٩٣، ص٣٠٢، ٣٠٣، م٤٦٢، ٢٢ جمادى الأولى ١١٤٠هـ/٥ يناير ١٧٢٨م. انظر: ملحق "١٤".

(١٨) القسمة العربية: س٦٤، ص٩٣، ٩٤، م١١٧، ٢٨ صفر ١٠٩٨هـ/١٤ يناير ١٦٨٧م.

(١٩) الباب العالي: س٢٧٩، ص٤٨٩، ٤٩٠، م٨٩٧، ٢٧ ذو القعدة ١١٨٦هـ/٢٠ فبراير ١٧٧٣م.

(٢٠) نفسه: س٢٩٩، ص٢١٩، ٢٢٠، م٣٣٣، ٩ محرم ١١٩٦هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٧٨١م؛ الصالحية النجمية: س٥٣٣، ص١، م١، ٢٠ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٨١م.

(٢١) قسمة عربية: س١٠٦ مكرر، ص١٦٣، م٣٧٠، غرة ذو القعدة ١١٥٩هـ/ ١٥ نوفمبر ١٧٤٦م.

(٢٢) نفسه: س٧٥، ص٢٠٢، م٣٠٢، ٢٧ جمادى الآخرة ١١١٧هـ/ ١٥ أكتوبر ١٧٠٥م.

(٢٣) ينسب الموسكي إلى الأمير عز الدين موسك، قريب صلاح الدين الأيوبي، انظر: علي مبارك: الخطط التوفيقية لمصر القاهرة وبلادها القديمة والشهيرة، ج٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٤، ص١٢٣.

(٢٤) القسمة العربية: س١٢٩، ص٢٥٥، م٢٥٣، ١٢ ذو القعدة ١٢٠٨هـ/ ١١ يونيو ١٧٩٤م. انظر: ملحق "٢١، ٢٢".

(٢٥) الزاهد: س٦٩٨، ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الآخرة ١١٨٠هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م؛ صالحية نجمية: س٥٢٧، ص٩٢٨، م١٨، ١٢ شوال ١١٨٤هـ/ ٢٩ يناير ١٧٧١م.

(٢٦) باب الشعرية: س٦٢٩، ص٢٣٨، م٥٩١، ٢٦ ذو القعدة ١١٠٨هـ/ ١٦ يونيو ١٦٩٧م.

(٢٧) الزاهد: س٦٩٨، ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الآخرة ١١٨٠هـ/٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م.

(٢٨) صالحية نجمية: س٥٣٥، ص٦٠، م١٠٣، ٢٠ المحرم ١٢٠٧هـ/٨ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٢٩) القسمة العربية: س١٢٣، ص٥٨، ٥٩، م١٠٢، ١٣ ذو القعدة ١١٨٤هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٧١م؛ صالحية نجمية: س٥٢٧، ص٨، ٩، م١٨، ١٢ شوال ١١٨٤هـ/٢٩ يناير ١٧٧١م.

(٣٠) صالحية نجمية: س٥٢٩، ص٧٤، م١٤٧، ٨ محرم ١١٩١هـ/ ١٦ فبراير ١٧٧٧م.

(٣١) نفسه: ص٧٤، ٧٥، م١٤٩، ٨ محرم ١١٩١هـ/ ١٦ فبراير ١٧٧٧م.

(٣٢) نفسه: س٥٣٤، ص٣٤٠، م٦٩٠، ٢ شوال ١٢٠٥هـ/٤ يونيو ١٧٩١م.

(٣٣) نفسه: س٥٢٩، ص٣٦١، م٦٦٥، ٢٠ذو القعدة ١١٩١هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٧٧٧م.

(٣٤) نفسه: س٥٣٠، ص٥٧، م١٠٣، ١٦ ذو القعدة ١١٩٢هـ/٦ ديسمبر ١٧٧٨م.

(٣٥) نفسه: س٥٢٩، ص٤٠٢، م٧٣٦، ٣ محرم ١١٩٢هـ/١ مارس١٧٧٨م. انظر: ملحق "١٦".

(٣٦) نفسه: س٥٣٥، ص٦٠، م١٠٣، ٢٠ محرم ١٢٠٧هـ/٩ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٣٧) نفسه: س٥٢٩، ص٧٤، م١٤٧، ٨ محرم ١١٩١هـ/١٦ فبراير ١٧٧٧م.

(٣٨) زار الرحالة التركي أولياجلي دار الضرب في القلعة ووصفها قائلاً بأنها "عرض الدولة وشرفها وخاضعة لأمر الدفتردار، والكلمة فيها لصاحب العيار، الذي يخضع له الدفتر دار في المسائل الفنية، وهو المسئول عن عيار العملة وصحتها وسلامتها من الغش، فإذا وجدت سكة مغشوشة بادر أولو الأمر إلى قطع يد صاحب العيار الذي ضربها". ويضيف أولياجلبي بأن هؤلاء الموظفون يتجردون من ملابسهم بعدما يحضرون من بيوتهم ويلبسون ثوبًا من ثياب الميري، وذلك لتفادي ضرب السكة المغشوشة" ويعقب على ذلك بقوله "من لم يشاهد ضربخانة مصر فكأنه لم ير شيئًا من ضربخانات البلاد الأخرى". انظر: أولياجلبي: سياحتنامة مصر، ترجمة: محمد علي عوني، تحقيق: عبد الوهاب عزام وأحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة: أحمد فؤاد متولي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩، ص٢٠١.

(٣٩) صالحية نجمية: س٥٣٠، ص٥٧، م١٠٣، ١٦ ذو القعدة ١١٩٢هـ/٦ ديسمبر ١٧٧٨م.

(٤٠) نفسه: س٥٣٤، ص٣٤٠، م٦٩٠، ٢ شوال ١٢٠٥هـ/٤ يونيو ١٧٩١م.

(٤١) محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص٢٣٣.

(٤٢) صالحية نجمية: س٥٣٤، ص٣٣٩، م٦٨٧، ٢ شوال ١٢٠٥هـ/٤ يونيو ١٧٩١م.

(٤٣) نفسه: س٥٢٩، ص٤٩، ٥٠، م٩٣، ٢٦ ذو القعدة ١١٩٠هـ/٧ يناير ١٧٧٧م.

(٤٤) الباب العالي: س٢٧٩، ص٧٥، ٧٦، م١١٧، ١ محرم ١١٩١هـ/٩ فبراير ١٧٧٧م. انظر: ملحق "٨" وللمعلومات عن الدهر، انظر: الفصل الأخير من هذه الدراسة.

(٤٥) الباب العالي: س١٧٢، ص١٢٦، م٣٥٧، غرة رجب ١٠٩٨هـ/١٣ مايو ١٦٨٧م.

(٤٦) جومار: وصف مدينة القاهرة، قلعة الجبل، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، ط١، القاهرة ١٩٨٨، ص٣٥.

(٤٧) الباب العالي: س٨٥، ص١٨٨، م٩٨١، ٥ ربيع الأول ١٠١٤هـ/ ٢١ يوليو ١٦٠٥م.

(٤٨) نفسه: س٩٨، ص٢٧، م١٩٣، ١٤ صفر ١٠٢٥هـ/٤ مارس ١٦١٦م.

(٤٩) نفسه: س٨٥، ص٤٦، م٢٢٨، ٢٥ ذو الحجة ١٠١٣هـ/ ١٤ مايو ١٦٠٦م.

(٥٠) نفسه: س١٥٥، ص١٢٧، م٣٩٨، ٨ محرم ١٠٨٣هـ/ ٦ مايو ١٦٧٢م.

(٥١) أنشأ هذا الجامع الأمير قجماس الإسحاقي ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، ويعرف بجامع أبي حريبة، ويقع بالقرب من باب زويلة. انظر: الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣، ص٤، حاشية "٣".

(٥٢) الجبرتي: المصدر السابق، ج٣، ص٤.

(٥٣) كان عبد الرحمن كتخدا من بيت قازدغلي، وهو أحد كبار الأمراء في عصره. وقد تميز بكثرة إنشاءاته المعمارية، للمزيد من المعلومات انظر:

Hathaway, J., The Politics of Households in Ottoman Egypt, C-U-P, London, 1997, pp. 88-89.

(٥٤) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٥.

(٥٥) تقع منطقة بين القصرين تجاه البيمارستان المنصوري. انظر: قسمة عسكرية: س١٤٦، ص٢٨٩، م٣٨٣، ٢٣ رمضان ١١٥١هـ/٤ يناير ١٧٣٩م.

(٥٦) السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص٤٠.

(٥٧) عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعًا وجامعة، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣، ص ص٢٦٠-٢٦١.

(٥٨) الصالحية النجمية: ميكروفيلم ٢١٣، سجل ٤٧٥مكرر، ص٣٦٧، م١٥٢١، ٢٥ شعبان ١٠٠٨هـ/ ١١مارس ١٦٠٠م، وكان خط الكعكيين عبارة عن عطفة تتفرع من شارع درب الإبراهيمي. انظر: الجبرتي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٢٢.

(٥٩) الصالحية النجمية: س٥٣٤، ص١٨٦، م٣٩٣، ٢٧ ذو الحجة ١٢٠٤هـ/٨ أغسطس ١٧٩٠م.

(٦٠) السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص٢٦٦.

(٦١) نفسه: المرجع السابق، ص١٥٠.

(٦٢) فارتيما: رحلات فارتيما (١٥٠٩-١٥٠٣م) ترجمة وتعليق: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، ص٢٣.

(٦٣) الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ج٢، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ص١٩٣.

(٦٤) نللي حنا: تجار القاهرة في العصر العثماني، سيرة أبو طاقية شاهبندر التجار، ترجمة: رءوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ص١٠٠، ١٠١.

(٦٥) السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص٢٦٩.

(٦٦) محسن شومان: اليهود في مصر حتى القرن التاسع عشر، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٧٢.

(٦٧) القسمة العربية: س٦٤، ص٩٣، ٩٤، م١١٧، ٢٨ صفر ١٠٩٨هـ/١٣ يناير ١٦٨٧م.

(٦٨) محكمة الزاهد: س٦٩٩، ص١٠٧، م٣٠٨، ١١ ذو القعدة ١١٨٣هـ/٧ مارس ١٧٧٠م.

(٦٩) قسمة: س٩٨، ص ص١٨٨، ١٨٩، م٤١٩، ١٢ شوال ١١٤٧هـ/٦ مارس ١٧٣٥م.

(٧٠) الباب العالي: س٣١١، ص٣٩٠، م٧١٩، ١٦ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/١٦ أغسطس ١٧٩١م.

(٧١) ريمون: المرجع السابق، ج١ ص ص٧٠٧، ٧٠٨.

(٧٢) باب الشعرية: س٦٢٩، ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الآخرة ١١٨٠هـ/٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م: صالحية نجمية: س٥٢٧، ص٩٢٨، م١٨، ١٢ شوال ١١٨٤هـ/٢٩ يناير ١٧٧١م.

(٧٣) ريمون: المرجع السابق، ج٢، ص٦٧٣.

(٧٤) من وثائق القدس في الأرشيف المصري، كتاب نشرته دار الكتب والوثائق بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص٢٦.

(٧٥) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢ ص٥٨٢-٥٨٤.

(٧٦) نفسه: ج٣، ص٤.

(٧٧) الزاهد: س٦٩٨، ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الآخرة ١١٨٠هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م.

(٧٨) القسمة العربية: س١٢٧، ص١٥٩، م١٩٥، ٦ جمادى الأولى ١٢٠٠هـ/ ٧ مارس ١٧٨٦م.

(٧٩) صالحية نجمية: س٥٢٩، ص٤٩، ٥٠، م٩٣، ٢٩ ذو القعدة ١١٩٠هـ/ ٧ يناير ١٧٧٧م.

(٨٠) ريمون: المرجع السابق، ج١، ص٧٠٧، ٧٠٨.

(٨١) جومار: المصدر السابق، ص ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٨٢) ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: نبيل صلاح الدين، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص ص٥٤، ٥٥.

(٨٣) الحاج بوشارد: وصف الأرض المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، مراجعة: مصطفى الحياري، دار الشروق، عمان ١٩٩٥م، ص١٧١.

(٨٤) علي السيد علي: المرجع السابق، ص٢٢.

(٨٥) مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص ص٤٤، ٤٥.

(٨٦) كارين أرمسترونج: ص٤٢٩.

(٨٧) الجبرتي: المصدر السابق، ج٣، ص٤٥.

(٨٨) نفسه: ص ص١٨٨، ١٨٩.

(٨٩) محمد عفيفي: الوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م، ص١٥٤.

(٩٠) بهاء فاروق: حكاية فلسطين بالخرائط والوثائق، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة ٢٠٠٢م، ص٥٦، انظر: ملحق "١".

(٩١) محمد عفيفي: المرجع السابق، ص١٥٤.

(٩٢) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الإثيوبية (١٨٥٥-١٩٣٥م) ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٨٨.

(٩٣) مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٢٢٧. انظر: ملحق "٦".

(٩٤) أنتوني سوريال: المرجع السابق، ج٢، ص٢٨٨، ٢٨٩.

(٩٥) أحمد حامد إبراهيم: نصارى القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٩.

(٩٦) أنتوني سوريال: المرجع السابق، ج٢، ص٢٨٩.

(٩٧) للمزيد من المعلومات عن مشكلة دير السلطان، راجع: سوريال: المرجع السابق، ٢٩٠ وما بعدها.

(٩٨) الجدير بالذكر إيقاف الأقباط في مصر العديد من الأوقاف على كنيسة القيامة بالقدس. انظر: ملحق "٥، ١٠، ١٨" وسوف نعالج هذا الموضوع بالتفصيل في إطار دراستنا هذه في الفصل الأخير.

(٩٩) محمد عفيفي: المرجع السابق، ص١٥٥.

(100) Meinardus, Otto, The Copts in Jerusalem, Cairo: (commission on Ecumenical Affairs of the see of Alexandria, 1960, p. 94.

(١٠١) الأمير رودلف: رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (مصر والقدس)، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص٣٥.

(١٠٢) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٨٥.

(١٠٣) محمد عفيفي: المرجع السابق، ص١٥٥.

(١٠٤) نفسه: ص١٥٦.

(١٠٥) محمد عفيفي: الأوقاف والوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، عمان ٢٠٠٦م، ص٢.

(١٠٦) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابقن ص١١٦.

(١٠٧) نفس المرجع السابق، ص٤٤٩.

(١٠٨) صبري العدل: سياسة محمد علي تجاه القدس (١٨٣١-١٨٤١م) بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩، ص ص٢٣٠، ٢٣١.

(١٠٩) محمد عفيفي: الوجود القبطي، المرجع السابق، ص١٦٦.

(110) Yehoshua Ben-Arieh, "The Popolation of the Large Twins in Palestine during the First Eigty Years of the Nineteenth Century Acording to Western Sources" in Studies on Palestine during the Ottoman Period, (ed.) Moshe Maoz, Jerusalem Magnes Press, 1975, p. 51.

(111) Ibid, pp. 51-52.

(١١٢) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٤٢٦.

(١١٣)أسعد منصور: تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، مطبعة الهلال، القاهرة ١٩٢٣، ص٢٨٠.

(١١٤)أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٤٢٧.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية

تُعد العلاقات الاقتصادية من أهم الروابط بين الشعوب، خاصة إذا كانت تخضع – في غالب الأحيان – لحكم دولة واحدة؛ حيث يساعد ذلك على دفع العلاقات الاقتصادية إلى التطور، وتقوية وشائج القربى بين تلك الشعوب. وقد مر بنا – في الفصل الأول – كيف كانت العلاقات بين مصر والقدس قديمة قدم التاريخ. وما إن أصبحت مصر والقدس في إطار دولة واحدة حتى قويت العلاقات بينهما على كافة الأصعدة.

وفي العصر العثماني تطورت العلاقات بينهما خاصة التجارة، ومما ساعد على تطورها أن القاهرة مركز تجاري مهم، وكذلك القدس، كما أن وجود جالية شامية بشكل عام - ومقدسية بشكل خاص - قد ساعد على تطور التجارة، خاصة في ظل احتياج كل طرف لبعض منتجات الطرف الآخر. ومن ثم وجدت بعض منتجات القدس طريقها إلى مصر وبخاصة الصابون ذو الشهرة الواسعة، وكذلك زيت الزيتون وغيرها.

وفي نفس الوقت وجدت بعض السلع المصرية طريقها للشام بشكل عام - والقدس بشكل خاص - ويأتي على رأسها القمح، رغم أنه سلعة "إستراتيجية" - إذا جاز القول – إلا أن حدوث أزمات اقتصادية في الشام كان يدفع الإدارة إلى التخفيف من حدتها بتصدير كميات من القمح، وكذلك العدس والفول وغيرهما.

وشكلت الزيارة الدينية لأقباط مصر إلى القدس مناسبة جيدة لتنشيط التجارة بين البلدين. وساعد وجود العديد من القبائل التي تتخذ من نقل البضائع وسيلة لإعاشتها على انتقال البضائع بينهما.

وقد نتج عن استقرار المقدسيين في مصر وتحقيق البعض منهم فائضًا ماليًا أن اتجهوا لاستثماره في شراء العقارات وبيعها سواء للسكن أو التجارة، خاصة الحواصل الخاصة بتجار الصابون، إلى جانب الخانات الخاصة بتجار الأقمشة والسلع الأخرى.

ومن الملاحظ دخول بعض المقدسيات مجال الاستثمارات العقارية، ونرى بعضهن يقمن بالبيع والشراء وغير ذلك، كما أن طوائف الحرف لم تكن بعيدة عن المقدسيين الذين عملوا ببعض الحرف الهامة: كصائغين، وجواهرجية، ورسامين، مما أدى إلى تشعب علاقات المقدسيين في مصر بشكل كبير من ناحية، وتحقيق البعض منهم وضعًا اقتصاديًا مكنه من تجميع ثروات تعد كبيرة في بعض الأحيان من ناحية أخرى، وجعلهم يحققون مراكز متقدمة في سلم الهرم الاجتماعي في مصر في ذلك العصر على نحو ما سيأتي شرحه:

- تجارة مصر مع القدس :

تمثل التجارة أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في ذلك العصر، لاسيما التجارة الخارجية بين مصر والولايات العثمانية خاصة بلاد الشام؛ للموقع الجغرافي المتاخم لمصر، وبصفة أخص مع مدينة القدس التي – كما رأينا – ترتبط بوشائج قربى مع مصر تضرب بجذورها في أعماق التاريخ.

وكان مما ساعد على نمو التجارة بين مصر والقدس في العصر العثماني وقوعهما تحت حكم دولة واحدة؛ مما أزال بعض العوائق التي قد تعوق التجارة.

وإلى جانب ذلك نجد الخانات التي انتشرت في ذلك العصر؛ حيث أشار جوزيف بتس إلى وجود بضع مئات من الخانات التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة طوابق[1]. ولاشك في أن هذه الخانات – وكذلك شبكة الوكالات – كان لها دورها في تسهيل عملية التجارة، وساعدت التجار على تخزين بضائعهم وبيعها بالجملة، وقد ذكرت نللي حنا وجود الكثير من مظاهر الرأسمالية التجارية التي عرضها المؤرخون في المدن الإيطالية؛ كالبندقية وجنوة – مثلاً – سائدة فعلاً في القاهرة[2].

وقد كان الشوام بشكل عام والأروام واليهود وسطاء يعملون لحسابهم الخاص، ويحصلون على حماية من الممثلين الدبلوماسيين الأجانب[٣]. ونتج عن سوء استعمال الامتيازات الأجنبية تمكن التجار الشوام من وضع شبه احتكاري للتجارة مع مصر[٤].

وإذا كانت القاهرة مركزًا تجاريًا مهمًا – كما رأينا – فقد كانت القدس مركزًا تجاريًا رئيسيًا كدمشق وحلب، ومن بين عينة الدراسة التي اعتمد عليها ريمون ذكر أربعة تجار مقدسيين يعيشون في القاهرة من بين ثلاثة عشر تاجرًا[٥].

وقد أشارت الوثائق للعلاقات التجارية بين مصر والقدس؛ فنجد أحد التجار يموت غرقًا، وهو في طريقه من مصر إلى القدس في "بحر القلزم"، وتم حصر تركته، وخص بعض أقاربه جزء من التركة في مصر، والجزء الآخر لباقي الورثة خارج مصر[٦]. ونجد آخر يموت في مصر، في حين أن أسرته "بمدينة القدس الشريف"[٧]. ويموت مقدسي في مصر، وله أموال بالقدس "سوى ما يظهر بمدينة القدس الشريف"[٨].

وقد ادعى شخص على أحد الأوصياء على أولاد قُصَّر بأن الوصي "يريد السفر إلى بيت المقدس"، وكان معه مبلغ من التركة، ولكن يأتي الوصي بضامن يضمنه مدة سفره إلى القدس، وتنتهي المشكلة[٩].

وسجل أحد المقدسيين - ويدعى الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين المقدسي - حجة بيع للحاج محمود بن محمد المقدسي تتعلق بثلاثة بساتين مزروعة بأشجار التين والزيتون والتوت الشامي والمشمش بظاهر مدينة القدس، وهي مملوكة للبائع بحجج محررة من محكمة مدينة القدس الشريف، وتم تسجيل حجة البيع الجديدة بمحكمة الباب العالي بالقاهرة[١٠].

وقد وجد عدد من الشوام، خاصة النصارى، بعضهم من القدس؛ في المراكز التجارية المصرية الرئيسية، وتزايدت أعدادهم في نحو ثلاثينيات القرن الثامن عشر؛ حيث استقروا في مدينتي دمياط ورشيد اللتين كانتا بمثابة معبر التجارة السورية[١١].

كما وجدت جماعات من القدس بالقاهرة، بعدة مناطق منها سوق الغورية، وقد حافظت تلك الجماعات على خصوصيتها الثقافية أو الدينية أو اللغوية[١٢].

وكون المقدسيون أقلية ذات حيوية ونشاط تجاري واسع، ويرجع ذلك للتقارب الجغرافي والتبادل التجاري[١٣].

وكما يقولون "الحج زيارة وتجارة"؛ حيث شكل الحج لدى النصارى موسمًا تجاريًا؛ إذ تقام الأسواق قرب كنيسة القيامة؛ حيث تستخدم الباحة الصغيرة الواقعة أمام مدخل كنيسة القيامة باستمرار كسوق صغيرة لمجموعة من التحف التي يرجع بها الحجاج إلى أوطانهم، وهناك يعطونها إلى أسرهم وأصدقائهم الذين يعتبرونها هدايا قيمة ونفيسة؛ نظرًا لأن أي شيء يأتي من القدس كان الناس يعتقدون أنه مقدس، وامتلاكها يمنح البركة[١٤].

ويُحضر الحجاج النصارى معهم بضائع مختلفة تدرّ عليهم أرباحًا تغطي نفقات الزيارة. وتباع في موسم الحج الصدفيات التي تحمل شارات مسيحية: كرسم الصليب والمسابح والتحف الصغيرة المصنوعة من خشب الزيتون، والبخور الذي يستخدم في المراسيم الدينية داخل الكنائس، وكانت هذه التجارة موردًا مهمًا للأديرة.

كما استفاد النصارى من قدوم الحجاج لزيارة الأماكن المقدسة ماديًا، وكانت العائلات تعيش على ما ينفقه الحجاج؛ فمنهم بائع الشاي والسكر والجبن واللحوم، ويربحون الأموال الطائلة التي تكفيهم طيلة السنة. وكانت العربات والخيل والبغال تقدم ما يلزم لهذه الألوف من البشر من الغذاء والمؤن[١٥].

ولم يقتصر ذلك على الحجاج النصارى فقط، بل اتجه بعض الحجاج المراكشيين شرقًا للتجارة أو الحج من الطريق البحري إلى مصر، وبعض هؤلاء كانوا يستقرون للدراسة في القدس، ومن هؤلاء عائلة العلمي في القدس الذين يعتقد أنهم من نسل عالم صوفي من جبل علم في شمال مراكش[١٦].

وفي المقابل كثرت أعداد النصارى الشوام خاصة في ميناء دمياط؛ حيث عملوا كوسطاء في العلاقات التجارية بين مصر والشام، ومن ناحية أخرى مكنتهم دمياط من الولوج داخل البلاد تدريجيًا[١٧].

وقد استحوذ الكاثوليك الشوام على التجارة القائمة عبر البحر الأحمر مع الهند والجزيرة العربية، والنموذج الأكثر دلالة في هذا الصدد أندريا بن فرنسيس القدسي – وهو

تاجر أقمشة بالحمزاوي توفي حوالي عام ١٧٨٥م – الذي كرس جهوده في المضاربات التجارية بالحجاز، تلك المضاربات التي كانت قبل ذلك حكرًا على التجار المسلمين وحدهم.

وعلى ذلك فإن اقتحام النصارى الشوام لعالم تجارة البن قد مثل لهذه الطائفة نجاحًا كبيرًا؛ بيد أن بروز الفرنسيين على مسرح الأحداث فجأة في عام ١٧٩٨م حال بين الشوام واستثمارهم لهذا النجاح بصورة كاملة[١٨].

- طرق نقل البضائع :

انتشرت القوافل التجارية الصغيرة نسبيًا، والتي يصل عدد الجمال فيها نحو مائة جمل، وكان للتجار الذين لهم في تلك القوافل بضائع تخصهم يكلفون من قبلهم شخصًا معينًا يطلق عليه "وكيل التجارة"، الذي تركزت مهامه في اصطحاب القافلة حتى وصولها للجهة المحددة لها، بينما عهد إلى شيوخ القبائل البدوية بإقليمي القاهرة والعريش بنقل تلك البضائع.

وأقام التجار الشوام بشكل رئيسي في القاهرة، وارتبطوا بمصالح تجارية مع مواطنيهم، وفي أحيان أخرى مع أقربائهم بدمشق والقدس ونابلس، وهؤلاء التجار هم الذين تخصصوا في هذه التجارة.

ومن ناحية أخرى كانت المنتجات الرئيسية التي يتم استيرادها من الشام عن طريق البر، ولاسيما التبغ والصابون والأقمشة؛ تعد احتكارًا تجاريًا بالفعل للتجار السوريين بالقاهرة[١٩].

وكانت السلع التي تخزن في ميناء دمياط تنقل عبر بحيرة المنزلة إلى صان والطينة؛ حيث كانت تأخذها قوافل من العرب الشوام، وكذلك ثمة عرب آخرون يقومون بمهمة نقل البضائع من مدن القاهرة وبلبيس وزفتى وميت غمر إلى بلاد الشام، وكانوا يسلكون الطرق المعتادة للقوافل، ويمرون بالصالحية؛ إذا كانت رسوم البضائع التي يحملونها قد سددت، أما أولئك العرب الذين كانوا يخاطرون بتمرير هذه البضائع بطريق التهريب، فقد كانوا يبتعدون عن طريق الصالحية[٢٠].

وفي بعض الأحيان كان شيوخ هذه القوافل يشاركون تجارًا من القاهرة أو من أية مدينة أخرى، وفي هذه الحالة كان شيوخ القوافل هؤلاء يأتون ليأخذوا من هذه الخانات السلع التي تعهدوا بنقلها إلى الشام، ثم يعودون ليخزنوا في هذه الخانات السلع التي جلبوها عند عودتهم.

وفي بعض الأحيان كان الشيوخ يمارسون التجارة لحسابهم الخاص، وفي هذه الحالة كانوا يخزنون بضائعهم في خيامهم[٢١].

وقبل نهايات القرن الثامن كان دور العربان يقتصر على نقل البضائع بجمالهم، وهذا لم يكن يعود عليهم إلا بربح ضئيل، وكان على التجار أن يتوخوا الحذر الشديد في اختيار القوافل التي تقوم بنقل البضائع؛ لأنهم يتعرضون أحيانًا للسلب من قبل قبائل أخرى معادية؛ حيث انتشرت العديد من القبائل التي كانت تهاجم القوافل، وكذلك الريف في ذلك العصر[٢٢]. وأحيانًا تكون القبائل التي تقوم بالنقل على اتفاق مع القبائل التي تقوم بسلب القوافل، ويتم تقسيم المنهوبات بعد ذلك[٢٣].

وعلى سبيل المثال استأجر أحد التجار ثمانية جمال؛ لتنقل له الأرز من مصر إلى القدس، وكانت أجرة كل جمل ٢٥ ريالاً مصريًا، بالإضافة إلى جمل يركبه التاجر نفسه بأجرة قدرها ٧ ريالات[٢٤].

وعلى أية حالة لعبت القوافل دورًا مهمًا في نقل البضائع من مصر إلى القدس والعكس، والتي قام بها العربان على طول الطريق بين مصر والقدس؛ مما ساعد على التبادل التجاري بينهما.

- صادرات مصر إلى القدس:

تكاملت كل من مصر والشام بشكل عام حال حدوث أزمات اقتصادية في أي منهما، وبالتالي تعتبر مصر من المنافذ المهمة لإنقاذ أهل الشام من تلك الأزمات[٢٥].

لكن ذلك كان بضوابط: حتى لا تحدث الاضطرابات التي قد تنشأ عن نقص الغلال بسبب تصديرها، وما يترتب على ذلك من ارتفاع أسعارها داخل البلاد. قد تدفعها أحيانًا إلى منع تصديرها: كما حدث عام ١٢٠١هـ/١٧٨٦-١٧٨٧م؛ حيث احتج الناس على كثرة تصدير الغلال إلى بلاد الشام، واضطرت الإدارة الممثلة في الباشا إلى إصدار بيورلدى[٢٦] منع فيه "جميع من كان يتاجر بالحبوب وينقلها إلى البر المذكور" - أي إلى بلاد الشام – ويتم بيع الحبوب في بولاق "شفقة على أهل مصر من اشتداد الأسعار، فإن سمعنا أن أحدًا نقل حبوبًا من الثغر إلى بر الشام يحصل لكم مزيد الضرر"[٢٧].

ولكن أمدتنا الوثائق بحالة تؤكد تصدير القمح للشام في حالة حدوث أزمة اقتصادية بها، وبالتالي فجزء من هذه الكمية يوجه للقدس؛ حيث أصدر الباشا أمرًا من الديوان العالي بالقاهرة بناءً على الفرمان الذي وصل من السلطان العثماني رأسًا، والذي يشير إلى حدوث قحط وغلاء بالشام "وحصل العذر للمسلمين بسبب ذلك". فصدر الأمر بتجهيز عشرة آلاف وخمسمائة أردب من القمح والشعير بالكيل المصري وقد تم شحن هذه الكمية إلى الشام بحرًا، وقد أشارت الوثيقة إلى رويسا المراكب الذين سينقلون هذه الكمية "الكبيرة" بسفنهم إلى بلاد الشام كل حسب حصته، كما أشارت لأجرة "المراكب والشغالين والكيالين"[٢٨]. وهذا يؤكد تصدير القمح، وإن كان في حالة حدوث أزمات اقتصادية بالشام.

ويصدر الأرز كذلك إلى القدس؛ حيث تم نقل كمية كبيرة على عدة جمال إلى مدينة القدس[٢٩]، كما يصدر العدس والحمص والزعفران والكتان، وكذلك البن وبذور النيلة والتمر هندي والسمسم وصدف الأحجار الكريمة وحبوب المسابح المصنوعة من نواة ثمرة الدوم والفلفل والزنجبيل.

وتصدر مصر للقدس كذلك كمية من السكر، وكذلك تصدر من ١٠٠ إلى ٢٠٠ ألف من أصداف الزينة التي تصنع بشكل خاص في بيت المقدس؛ حيث تصنع منها المسابح وأشياء أخرى من هذا القبيل يشتريها الحجاج من العالم المسيحي، وتصدر كذلك حبة تسمى بذريات – لم يحدد جيرار المقصود بها – وتستخدم كذلك في صناعة المسابح وأشياء أخرى، وتبلغ تلك الكمية نحو ٥٠٠ قنطار، زنة القنطار ١٥٠ رطلاً[٣٠].

وكانت مصر تستورد الرقيق من قوافل وسط أفريقيا، وقدر أحد الرحالة عدد العبيد الذين يدخلون مصر ما بين ألف وخمسمائة وألفين من الرقيق معظمهم من النساء[٣١]، وجزء من هؤلاء الرقيق يعاد تصديره إلى القدس[٣٢]. وتصدر مصر للقدس كميات من الأقمشة[٣٣]، وترسل أحيانًا كميات من الفول والحلبة والكمون والبلح[٣٤].

تلك كانت أهم صادرات مصر إلى القدس، وفي المقابل تصدر القدس إلى مصر العديد من السلع كالتالي:

- صادرات القدس إلى مصر:

كما صدَّرت مصر إلى القدس بعض السلع استوردت منها بعض السلع، وكان في مقدمة هذه السلع الصابون[٣٥]، وكان يعبأ في فردات وبالات وصناديق، وكان في كل صندوق نحو سبعمائة رطل من الصابون[٣٦].

ولعب المقدسيون دورًا مهمًّا في تجارة الصابون، خاصة في وكالة الصابون بخط باب النصر؛ إذ كانت هذه الوكالة تضم عددًا كبيرًا من التجار الذين ارتبطت بهم هذه التجارة منذ زمن بعيد، وبخاصة الوافدون منهم من القدس[٣٧]. وقد ارتبط بعض المقدسيين بالعسكر، الذين لقب البعض منهم بالصابونجي نتيجة مصاهرة الشوام[٣٨].

وقد سيطر المقدسيون على تجارة الصابون، ولهم "حواصل": مثل حاصل درويش بن محمد المقدسي، وحاصل عبد الرحمن المقدسي، ونجد كذلك الخواجا خليل بن أحمد عبد القدوس المقدسي التاجر بالوكالة يشتري حاصلاً بين حاصل نقيب الأشراف بالقدس الشريف وحاصل الخواجا محمد بن بزون المقدسي.

وباع الشريف عبد اللطيف بن زين الدين المقدسي شيخ الحرم القدسي خمسة حواصل بالوكالة إلى مصريين.

وكان لتجار الصابون شيخ يدعى شيخ وكالة الصابون، وكان من أغنياء التجار وهو الشيخ موسى بن الحاج محيي الدين بن أحمد السكري المقدسي الذي كان يستأجر وكالة الصابون بأسرها وما بها من حواصل، وقد وصل المبلغ إلى ١٨,٢٠٠ بارة[٣٩]، وهذا يؤكد ارتباط أعيان القدس وحيازتهم حواصل تجارة الصابون في وكالة الصابون بالقاهرة.

وكان معظم التجار الشوام - بما فيهم المقدسيون - يقطنون الوكالات الكبيرة بحي الجمالية "وكالة الصابون والتفاح"، وقد تأثر اختيار أماكن بيع الصابون وكذلك التبغ بكون هذه السلع من المنتجات الدولية؛ حيث كانت تقع في نطاق نشاط التجار الشوام والأتراك بالقاهرة بين خان الحمزاوي وباب النصر، داخل الإطار الجغرافي لتجار البن والتوابل، وقد تمركزت تجارة الصابون بصفة أساسية بجوار مدخل القاهرة بمنطقة باب النصر/ الجمالية التي يغلب عليها وجود "الشوام"[٤٠].

وقد دفعت أهمية إنتاج الصابون السلطات إلى تحديد سعر هذه السلعة وإثقال كاهل منتجيها بالضرائب المختلفة، وكان شيخ الوكالة الذي كان في الوقت ذاته شيخ تجار الصابون يحظى بمكانة كبيرة، وقد تدخل الشيخ يوسف المقدسي شيخ طائفة التجار بوكالة الصابون بالقاهرة في النزاع حول تحديد أسعار الصابون؛ حيث تشير الوثائق إلى حضوره ومعه أخوه الخواجة محمد والخواجة خليل المقدسي من التجار بالوكالة، وعرضوا على القاضي أن الصابون القدسي قليل والموجود منه بالوكالة شيء يسير، وأن بائعي الصابون بالأسواق والحارات الذين يأتون لشراء الصابون من الوكالة يطلبون منهم كميات ليست عندهم، وإذا وجدوا صابونًا عند أحد تجار الوكالة أخذوه "بالغلظة والفظاظة" بأقل من سعره الذي سعره به ناظر الحسبة الشريفة السلطانية، وقد أدى ذلك إلى ضرر كبير بتجار الصابون بالوكالة، وأن السعر الذي وضعه ناظر الحسبة عشرة قروش أبو كلب[٤١]، وطلبوا من القاضي إرسال من يثق بهم من شهود المحكمة إلى الوكالة وتحرير ما بها من الصابون بحضور التجار وسماعهم وكتابة حجة بذلك، وقد كان؛ حيث توجه اثنان من المحكمة، وحصرا الصابون الموجود بالوكالة، فوجداه ثلاثين حملاً من

الصابون القدسي في ستة حواصل لعدد من التجار، وكان من ضمن التجار تاجر يدعى إبراهيم جلبي مباشر مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنه بالقدس والحاصل مغلق منذ سنين، ثم عاد الشاهدان إلى القاضي الذي أقر تسعير الصابون بعشرة قروش أبو كلب "بغير زيادة على ذلك"[٤٢].

ولم يكن ارتفاع أسعار الصابون وبعض السلع الأخرى يستمر طويلاً؛ لأن بعض القوافل الشامية كانت تأتي لتخفف من غلاء الأسعار؛ حيث يذكر الجبرتي ما نصه "ووصلت قافلة شامية بها بضائع وصابون ودخان، وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلي والدخان"[٤٣].

والجدير بالذكر أن بعض التجار المصريين كانوا يعيدون تصدير جزء من واردات الصابون إلى بلاد السودان.

وتستورد مصر من القدس إلى جانب الصابون زيت الزيتون وبذور النيلة والسمسم والقطن[٤٤]. وتستورد كذلك الأقمشة. وقد وجد العديد من تجار الأقمشة المقدسيين في مصر في خان الحمزاوي خاصة تجار الجوخ[٤٥].

وتستورد مصر من القدس المسابح[٤٦]، وبالإضافة إلى ذلك القِرب التي تباع في وكالة القِرب التي يأتي بها التجار من القدس[٤٧].

ولم يقتصر عمل التجار الشوام - بما فيهم المقدسيون- على التجارة بين الشام ومصر فحسب، بل حرصوا على استثمار رأسمالهم المتنامي نتيجة العمل بالتجارة في أعمال أخرى[٤٨].

وقد رحب الأقباط بإخوانهم في الدين الشوام بما فيهم المقدسيون، وأوقف بعض الأثرياء من الأقباط الأوقاف لصالح الفقراء من المسيحيين الشوام، ودعمهم اقتصاديًا لبعض المسيحيين الشوام الأرثوذكس الفارين من اضطهاد الكاثوليك لهم بالشام[٤٩].

وهكذا تعددت صادرات القدس إلى مصر، وكان أهمها الصابون الذي كانت وكالة الصابون أهم مناطق بيعه في مصر، كما أن المقدسيين كانوا أهم تجاره بل كانت مشيخة

الوكالة في أيديهم لفترات طويلة، كما استوردت مصر الأقمشة وزيت الزيتون وغيرهما من القدس.

- دور المقدسيين في الاستثمارات العقارية في مصر:

نتج عن استقرار المقدسيين في مصر وتحقيق العديد منهم فائض أموال نتج عن اشتغالهم بالتجارة أو الحرف وغيرها أن اتجهوا لاستثمار فائض أموالهم في أوجه متنوعة، كان من أهمها الاستثمارات العقارية خاصة في القاهرة، وكان أول استثمار للمقدسيين في مصر هو شراء وبيع حواصل بوكالة الصابون السلعة التي رأينا أن المقدسيين قد برز دورهم فيها[٥٠].

ونجد أحد المقدسيين يشتري طاحونًا في منطقة بين الحارات بخط قنطرة الموسكي بالقرب من حارة القنصل داخل درب بهادر بثمن قدره ١٨٧ ريالاً حجرًا بطاقة[٥١]، وهنا نجد هذا المقدسي يشتري طاحونًا مما يدل على اهتمامه باستثمار المبلغ الذي دفعه.

واشترى أروتين بن حنا الأرمني الرسام القدسي نصف عقار بخط الشيخ الرملي بالقاهرة بـ٣٠٠ ريال حجر بطاقة[٥٢]. واشترى عازار الصائغ الأرمني القدسي كوكيل شرعي عن ابنته صوفية حصة قدرها السدس في عقار داخل درب الجنينة بالموسكي[٥٣]. واشترى أحد المقدسيين - وكان يعمل في دار الضرب؛ أي دار سك العملة – وأخوه- وكان يعمل نقاشًا - عقارًا بحارة الشيخ الرملي بالقاهرة بثلاثمائة ريال حجر بطاقة[٥٤].

واشترت إحدى المقدسيات حصة في عقار بالقرب من حارة الشيخ الرملي بـ١٦٠ ريالاً حجرًا بطاقة[٥٥]. كما اشترى مقدسي يعمل نقاشًا حصة في عقار داخل جنينة سودون، ولم تشر الوثيقة للثمن[٥٦].

واشترى أحد المقدسيين ثُمن عقار داخل درب الجنينة بالموسكى بـ١٠٥ ريالاً حجرًا بطاقة[٥٧]. وباعت منكشة ابنة حنا الأرمني الرسام القدسي حصة في عقار داخل درب بسوق جنينة سودون بـ٦٦ ريالاً حجرًا بطاقة[٥٨].

واشترى نصراني مقدسي عقارًا بحارة الإفرنج البنادقة بـ٣٠٠ ريال حجر بطاقة من أحد الأرمن[٥٩]. وباع أروتين الأرمني القدسي عقارًا داخل جنينة سودون لنصراني حلبي بـ٥٠٠ ريال حجر بطاقة[٦٠].

وقد أسقط أروتين القدسي حقه في عقار بخط الشيخ الرملي لزوجه مادالينا وبناته الثلاث منها وهن وردة ولطيفة ومريم "بالسوية بينهن"[٦١].

وأقر أخوان مقدسيان بملكية كليهما لعقارات دون الآخر، وعلى تحويل قطعة أرض "خربة" إلى دكان[٦٢].

وأسقط مقدسي حقه في "منفعة الخلو والتواجر" في عقار بالموسكي بـ٢٢٠٠ ريالاً حجرًا[٦٣]، وهو مبلغ كبير بمقياس العصر؛ إذ يعادل ١٩٨,٠٠٠ بارة، وفي المقابل أسقط لهذا المقدمي قطعة أرض بالموسكي كذلك تشتمل على طاحون، وقطعة أرض خالية مقابل ٣٢٧ ريالاً حجرًا[٦٤]. كما أجر نفس الشخص عقارًا بدرب جنينة سودون بإيجار سنوي قدره عشرة ريالات[٦٥].

ولعبت المقدسيات دورًا مهمًا في الاستثمارات العقارية في ذلك العصر؛ حيث اشترت قدسية ابنة مخائيل القدسي عقارًا بالموسكي بثمن قدره ٩٠٠٠ بارة[٦٦]. واشترت قدسية ابنة صليب النصراني القدسي وأختها أنا من صائغ قدمي عقارًا بجنينة سودون بـ٩٠ ريالاً حجرًا بطاقة[٦٧].

كما باعت نفس المقدسيتين ومعهما والدتهما التي تدعى سمية وأخ يدعى أنطون عقارًا بحارة التركماني لأحد البنادقة بثمن قدره ٣٠٠٠ ريال حجر بطاقة[٦٨]. وباعت الوالدة عقارًا لأولادها بحارة التركماني كذلك بثمن قدره ١٣٧ ريالاً حجرًا بطاقة[٦٩].

واشترت مقدسية عقارًا بحارة النصارى بـ١٤٠ ريالاً حجرًا بطاقة من مقدسي[٧٠]. واستأجرت مقدسية عقارًا بحارة التركماني، وكان العقار تابعًا لوقف القاضي عبد اللطيف القرافي بإيجار سنوي قدره ٢٢ نصف فضة[٧١]. وباعت كاسية ابنة حنا القدسي حصة في عقار – لم تحدد الوثيقة موقعه – بـ٧٠ ريالاً حجرًا بطاقة[٧٢].

وعلى أية حال تنوعت استثمارات المقدسيين العقارية في مصر من بيع، وشراء، واستئجار، وتأجير، وإسقاط. وكانت نسبة من هذه الاستثمارات داخل إطار المقدسيين أنفسهم - أي استثمارات بينية - ونسبة منها مع باقي الطوائف في مصر: مما أدى إلى تشعب علاقات المقدسيين الاقتصادية.

- علاقات المقدسيين الاقتصادية في مصر:

تشعبت علاقات المقدسيين في مصر مع الكثير من الطوائف آنذاك، ويأتي الشوام - بشكل عام - في مقدمة الطوائف التي ارتبط بهم المقدسيون، وكانت القدس من أهم المدن التي ارتبط بها المقدسيون في مصر بطبيعة الحال، حيث الوطن الذي نشأ فيه "الكثير" منهم، على اعتبار أن بعض المقدسيين ولد في مصر.

وقد تنوعت العلاقات الاقتصادية للمقدسيين، وكان على رأسها علاقات البيع، وكانت "أغلب" حالات البيع – التي اطلعنا عليها - تتم بين المقدسيين وبعضهم البعض من ذلك بيع عقارات للسكن[٧٣]. ولعل أهم علاقات المقدسيين الاقتصادية في مصر كانت داخل الإطار التجاري، خاصة تجارة الصابون، وبصفة أخص داخل "وكالة الصابون"، وكما مر بنا بيع حواصل داخل الوكالة من جانب مقدسيين لهم وضع مهم بالنسبة للمقدسيين: مثل السيد الشريف عبد اللطيف المقدسي، وكان شيخ الحرم القدسي، والذي باع عدة حواصل لمصريين.لك

ما أن سيطرة المقدسيين بالفعل على تسويق وتجارة الصابون مكنهم من إقامة شبكة علاقات اقتصادية مع تجار ومتسبي – تجار التجزئة – هذه السلعة. وكان الحلبيون في مقدمة الشوام الذين ارتبط بهم المقدسيون في مصر[٧٤]. ويأتي الشوام بشكل عام بعد الحلبيين: حيث لم تحدد الوثائق هوية الكثير من الشوام: أي إلى أي المدن الشامية ينتمون، وكان منهم تجار جوخ بالحمزاوي الكبير[٧٥].

وارتبط البعض من المقدسيين بعلاقات اقتصادية مع الصفوة العسكرية: حيث استأجر أحد الأمراء المماليك عقارات من مقدسيين[٧٦]، وأفراد من خارج العسكريين[٧٧].

وارتبط البعض من المقدسيين - خاصة من النصارى - بالبعض من الأقباط؛ حيث يجمع بين الطرفين الانتماء للمذهب الأرثوذكسي، كما تجمعهم المزارات الدينية المقدسة في القدس؛ مثل كنيسة القيامة وغيرها[٧٨]، ولذلك نجد علاقات بيع وشراء من جانب مقدسيين وأقباط من الصعيد[٧٩].

كما ارتبط البعض من المقدسيين بالبعض من الأرمن الذين أسلموا، ولعبوا دورًا مهمًّا في تاريخ مصر في نهايات القرن الثامن عشر[٨٠].

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات بين النصارى الشوام – وبخاصة المقدسيون- والمسلمين قد توقفت على الأوضاع العامة التي تحكم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر[٨١]، كما أن الاقتصاد لم يعرف إلى حد كبير الحساسيات بين أصحاب الديانات المختلفة.

وهكذا ارتبط المقدسيون بعلاقات اقتصادية متشعبة مع كافة الطوائف – تقريبًا – في مصر، ومما ساعد على ذلك اشتغال بعضهم بالحرف.

- المقدسيون وطوائف الحرف :

اشتغل عدد من المقدسيين بالحرف المختلفة، وكانت الصياغة على رأس الحرف التي اشتغل بها النصارى الشوام بشكل عام، وشاركهم الأرمن في هذه الحرفة، كما كانت الصياغة الحرفة الأولى للأقباط[٨٢].

والصياغة من الفنون التي ازدهرت في العصر العثماني، وقد استقر الصائغون – مثلهم مثل الكثير من الحرفيين – في أحياء خاصة بهم، فكان حي الصاغة[٨٣] أهم ماطق تركز الصائغين.

وكان لحي الصاغة هذا خصوصية لارتفاع أسعار الذهب والفضة، ولا عجب في أن يلقى عناية كبيرة؛ حيث يذكر جيرار أنه "يحرس ويقفل هذا الحي بحرص وعناية أكثر مما يحدث في الأحياء الأخرى"[٨٤].

ويعمل بهذه الصناعة ذات الخامات الثمينة، والتي يتطلب العمل بها معرفة أكبر ومهارة أفضل، الكثير من المسيحيين الشوام الذين كانوا يعملون في محلات داخل الصاغة[٨٥].

وقد انتشر الصائغون المقدسيون في خط البيمارستان المنصوري، خاصة في وكالة آقاش، ووكالة أبي طاقية، وخط الصاغة، وكذلك الموسكي، وسوق السلاح، ووكالة قاسم كتخدا، والضربخانة[٨٦]. ولعل أبرز من اشتغل بالصياغة من المقدسيين عازار الصائغ الأرمني القدسي، والذي مر بنا دوره كأحد أهم الشخصيات المقدسية من النصارى.

ويعد العمل في الجواهر "جواهرجي"[٨٧] من الحرف التي اشتغل بها البعض من المسحيين الشوام[٨٨]، وكان بعضهم من القدس، وقد تركز بعض الجواهرجية المقدسيين بخط الصاغة، وكان أبرز الجواهرجية المقدسيين أروتين بن حنا الأرمني القدسي، والذي كان له نشاط اقتصادي واسع كما مر بنا.

ومارس بعض المقدسيين الرسم، وكان حنا الأرمني القدسي رسام الأيقونات أشهر الرسامين المقدسيين، وأحيانًا تشير الوثائق إليه بالنقاش، وقد كان يقوم بالرسوم الجدارية والزخرفية، وكان من هذه الأعمال مذبح كنيسة مار جرجس بدير مار مينا بمصر القديمة. وقد ارتبط حنا الرسام بفنان مصري يدعى إبراهيم الناسخ،والذي ترك تراثًا ضخمًا من الأيقونات والمخطوات منتشرة في كنائس وأديرة مصر، وكان زميلاً لحنا الأرمني في العمل، وارتبط اسماهما معًا؛ حيث اشتركا في إنجاز أعمال معًا خلال الفترة ما بين ١٧٤٢ إلى ١٧٥٥م[٨٩].

والجدير بالذكر أن مثال حنا الأرمني القدسي وإبراهيم القبطي الناسخ لخير دليل على العلاقات بين المقدسيين والمصريين، خاصة في المجال الاقتصادي.

وتؤكد الدراسة المتأنية لأيقونات كنيسة أبي السيفين قيام حنا الأرمني بعمل معظم أيقونات القرن الثامن عشر بهذه الكنيسة بالاشتراك مع إبراهيم الناسخ، وقد استعان كلاهما ببعض أقاربه في إنجاز العديد من الأيقونات، وكان جرجس بن حنا الأرمني نقاشًا كوالده، ولاشك في استعانة الوالد به في بعض تلك الأعمال: حيث تشير العديد من الوثائق إلى "حنا النقاش وولده الذمي جرجس النقاش"[٩٠].

وفي نفس الوقت استعان حنا بابن أخيه جرجس بن صليب، كما استعان إبراهيم الناسخ ببعض أقاربه الذين يعملون في نفس المجال[٩١].

ولقد أكد إنجاز هذه الأعمال بالتعاون بين المقدسين والمصريين داخل مصر على امتزاج المقدسي والمصري وتقاليد فنهما، وكان لذلك أثره في تخليد ذكر الفنانين معًا القدسي والقبطي.

وقد أنجز حنا الأرمني القدسي مجموعة كبيرة من الأيقونات ليس في مصر القديمة فحسب، بل امتد نشاطه لأديرة وادي النطرون[٩٢].

واشتغل بعض المقدسيين في صناعة البكسماط -الخبز الجاف[٩٣]، كما امتلك البعض منهم ورشًا لصناعة الحرير[٩٤].

وعلى أية حال كان للمقدسيين دور مهم في بعض الحرف في العصر العثماني، وارتبطوا مع نظرائهم من المصريين؛ مما كان له أثره على العلاقات بين الطرفين من ناحية، وإثراء طوائف الحرف ذاتها من ناحية أخرى.

- الوضع الاقتصادي للمقدسيين في مصر:

مارس بعض المقدسيين تقديم القروض، وقد شاركوا الأقباط واليهود والأروام في هذه المهنة[٩٥].

وقد قدم المقدسيون هذه القروض لشوام؛ فعلى سبيل المثال قدمت نصرانية مقدسية تدعى هوري قرضًا قدره ثلاثون دينارًا ذهبًا محبوبًا لحنا ابن فضل الحريري النصراني الشامي الدمشقي[٩٦]. وأقرض المعلم إيليا ابن موسى بن حنين اليهودي الربان القدسي قرضًا صغيرًا قدره أربعون نصف فضة لأحد النصارى[٩٧].

وأمدتنا المصادر بقروض؛ ولكن هذه المرة في القدس ذاتها؛ حيث أقرض جريس القبطي عبد المسيح القبطي أيضًا ٦٠٠ قرش[٩٨]. وأقرض محمد بن عمارة المغربي يوسف بن حنا القبطي ٥ ليرات فرنسية[٩٩]. وقد عمل يهودي ربان مقدسي صرافًا بالديوان العالي[١٠٠].

ويشير ريمون إلى قيامه بحصر نحو ٢٣ تاجرًا من نابلس ومن القدس في الفترة من ١٦٦٠-١٧٩٨م، وبلغ إجمالي ثروتهم ١٩,٤٧٨,٩٩٣ بارة[١٠١]، ومعنى ذلك أن متوسط ثروة كل تاجر منفرد تزيد على ثلاثة أرباع مليون بارة.

وفي دراسة أخرى لنفس المؤلف في نهايات القرن الثامن عشر، وجد أن متوسط ثروة أحد عشر نصرانيًا شاميًا تقدر بـ٢٢٩,٢٤٨ بارة؛ أي قرابة ربع مليون بارة، ولاحظ أنها تتجاوز إلى حد بعيد متوسط ثروة نفس العدد من الشوام المسلمين التي وصلت إلى ١٦٢,٣٥٥ بارة[١٠٢].

وعلى أية حال توضح هذه الدلائل أن البعض من المقدسيين تمتع بوضع اقتصادي مكنه من تقديم قروض متوسطة وصغيرة، وبعضها كبيرة إلى حدٍ ما، كما أن بعضهم جاوزت ثروته ثلاثة أرباع المليون بارة، وهذا مؤشر ذو دلالة على أن شريحة من هؤلاء المقدسيين تمتعت بوضع اقتصادي جيد، بالقياس بالكثير من الطوائف الأخرى في مصر بما فيهم المصريون أنفسهم.

ونخلص مما سبق عرضه إلى أن تجارة مصر مع القدس شهدت نموًا بعض الشيء في ذلك العصر، وأن القاهرة كانت مركزًا تجاريًا مهمًا، كما كانت القدس كذلك.

وانتشر العديد من المقدسيين - خاصة النصارى - في المراكز التجارية المصرية الرئيسية، وشكل هؤلاء أقلية ذات حيوية ونشاط تجاري واسع.

وكان الحج بالنسبة للنصارى موسمًا تجاريًا؛ حيث تتم عمليات البيع بالقرب من كنيسة القيامة؛ مما شكل سوقًا للتحف التي يعود بها الحجاج إلى أوطانهم، كما أن الحجاج كانوا يحملون معهم بضائع تساعد في تسديد نفقات الرحلة.

وكان البعض من الحجاج المسلمين يمرون بالقدس في طريق رحلتهم للحجاز، وكان بعضهم يستقر بالقدس للدراسة.

وقد انتشرت القوافل التي تنقل البضائع عبر البلدين، وكان عمادها الجمال، ولعب شيوخ القبائل دورًا مهمًا في نقل البضائع. وكان الصابون أحد أهم تلك السلع التي كاد المقدسيون يحتكرون تسويقه في مصر بمشاركة شوام آخرين.

وقد رأينا صادرات مصر إلى القدس، والتي كانت متعددة، خاصة القمح في أوقات الأزمات الاقتصادية، ويخضع تصديره لرقابة من الباشا وفي بعض الأحيان من السلطان العثماني رأسًا. ويصدر كذلك العدس والأرز وكمية من السكر، وتعيد مصر تصدير أعداد من الرقيق الذي تستورده من قوافل وسط أفريقيا إلى جانب كميات من الفول وغيرها.

وكان الصابون على رأس السلع التي تستوردها مصر من القدس، ولعل وجود وكالة الصابون وسيطرة المقدسيين عليها خير دليل على ذلك، كما استوردت زيت الزيتون وبذور النيلة والمسابح وبعض أنواع من الأقمشة.

وقد لعب المقدسيون دورًا مهمًا في الاستثمارات العقارية في مصر: مثل شراء عقارات للسكن أو حوانيت للتجارة، كما ضربت المرأة المقدسية بسهم وافر في تلك الاستثمارات؛ مما يؤكد أهلية المرأة في ذلك العصر.

وتشعبت علاقات المقدسيين في مصر مع العديد من الطوائف نصارى، ومسلمين، وأفراد من الصفوة العسكرية، وأحيانًا يهود، وإفرنج.

كما كان للمقدسيين دور واضح في طوائف الحرف؛ مثل الصائغين والجواهرجية والرسامين، وكان بعضهم من أبرز من اشتغل بالحرف في مصر في ذلك العصر.

وقد تمتع البعض من المقدسيين بوضع اقتصادي جعلهم من بين الطبقة العليا والمتوسطة من ناحية الثروة.

هوامش الفصل الثالث

(١) جوزيف بتس: رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٤؛ يونان لبيب ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٠٨.

(٢) نللي حنا: ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق١٦-ق١٨م) ترجمة: رءوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ص٦٣، ٦٤.

(3) Soboul, Le Siècle Des Lumieres, Liver III, Presses Universitaires des France, Paris, 1977, p. 886; Halil Inalcik, The Middle East and the Blakns under Ottoman Empire, Indiana Univ. Turkish Studies, vol. 9, U.S.A, 1994, p. 272.

(٤) علي بركات: رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص٢٦؛

Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French, Revolution, Harvard, 1964, p. 129.

(٥) أندريه ريمون: الحرفيون، المرجع السابق، ج٢، ص ص٧٠٢-٧٠٤.

(٦) محكمة القسمة العربية: س١١٦، ص ص٢٤١، ٢٤٢، م٤٦٩، ٢٢ ذو القعدة ١١٧٣هـ/٧ يوليو ١٧٦٠م؛ محكمة الإسكندرية: س٨٦، ص١٣٤، م١٦٩، ١٠ شوال ١١٧٧هـ/ ١٢ أبريل ١٧٦٤م.

(٧) القسمة العربية: س١٠٨، ص٣٢٤، م٧٦١، ٦ محرم ١١٦٣هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٤٩م.

(٨) نفسه: س٦٤، ص ص٩٣، ٩٤، م١١٧، ٢٨ صفر ١٠٩٨هـ/٢٤ ديسمبر ١٦٨٦م.

(٩) نفسه: س٨٨، ص ص٢٧٥، ٢٧٦، م٢٩٣، ٨ جمادى الأولى ١١٣٢هـ/١٨ مارس ١٧٢٠م.

(١٠) من وثائق القدس، المرجع السابق، ص ص٢٨، ٢٩.

(١١) ريمون: المرجع السابق، ج٢، ص٧١٠.

(١٢) من وثائق القدس: المرجع السابق، ص٥٦؛ نللي حنا: تجار القاهرة في العصر العثماني، سيرة أبو طاقية شاهبندر التجار، ترجمة: رءوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧، ص٦١.

(١٣) عراقي يوسف: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٨١؛

Browne, W., G., Nouvau Voyage Dans La Haute et Basse Égypt, La Syrie, Le Darfour, Paris, 1800, p. 105.

(١٤) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص ص٣٢٠، ٣٢١.

(١٥) نفسه، ص٣٢١.

(١٦) ألبرت حوراني: المرجع السابق، ج٢، ص ص٦٤، ٦٥.

(١٧) ريمون: المرجع السابق، ج١، ص٣٠٤.

(١٨) نفسه: ج٢، ص ص٢٨٦، ٢٨٧.

(١٩) نفسه: ج١، ص٣١١.

(٢٠) جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، وصف مصر، ترجمة: زهير الشايب، ج٤، دار الشايب للنشر، القاهرة ١٩٧٨، ص ص٢٦٧، ٢٦٨.

(٢١) نفسه: ج٤، ص٢٦٨.

(٢٢) للمعلومات عن هجمات العربان، انظر: جمال كمال محمود: هجمات البدو وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في ريف الدلتا في العصر العثماني، بحث ضمن أبحاث ندوة البدو في الوطن العربي عبر العصور، والتي عقدتها الجمعية التاريخية بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة في الفترة من ٦-٨ أبريل ٢٠١٠ "تحت النشر".

(٢٣) جيرار: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٨.

(٢٤) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٩.

(٢٥) عبد الحميد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٧٣.

(٢٦) أي أمر أو مرسوم يصدره الباشا، انظر: محمد علي الأنسي: قاموس الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت ١٩٠٠م، ص١٣٦؛ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م، ص ص٤٩، ٥٠.

(٢٧) سحر علي حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٦٥.

(٢٨) انظر تفاصيل ذلك في ملحق "١١".

(٢٩) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٩.

(٣٠) جيرار: المصدر السابق، ج٤، ص ص٢٦٥، ٢٦٦.

(31) Sonini, C. S., voyage Dans La Haute Et Basse Égypte Tom III, Paris (W.D), p. 381.

(٣٢) الصالحية النجمية: س٤٩٥، ص٢٠٨، م٨٣٩، ٤ رمضان ١٠٣٩هـ/ ١٧ أبريل ١٦٣٠م: جيرار: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٦.

(٣٣) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٩.

(٣٤) سحر حنفي: المرجع السابق، ص ص١٦٩، ١٧٠.

(35) Chohe, Amnon, Palestin in the 18 Century, Jerusalem, 1973, p. 265.

(٣٦) سحر حنفي: المرجع السابق، ص١٩٤.

(٣٧) سليمان حسانين: تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٦٩.

(٣٨) عراقي يوسف: المرجع السابق، ص٣٥٨.

(٣٩) السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص ص٤٢، ٤٣.

(٤٠) ريمون: المرجع السابق، ج١، ص٥٢١.

(٤١) القرش أبو كلب هو الريال الهولندي وكان أقل قيمة من الريال الحجر وكلها كانت تقدر بقيمة العملة التركية والنصف ديواني، انظر: أحمد شلبي بن عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشاوات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٨م، ص١٠٩.

(٤٢) انظر تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع في الملحق "١٣".

(٤٣) الجبرتي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٠٩.

(٤٤) جيرار: المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٧.

(٤٥) محكمة الباب العالي: س٣١١، ص ص٣٩٠، ٣٩١، م٧١٩، ١٦ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/١٦ أغسطس ١٧٩١م: محكمة الزاهد: س٦٨١، ص١٣٢، م٣٣١، ١٣ رجب ١٠٩٣هـ/١٣ يوليو ١٦٨٢م.

(٤٦) جيرار: المصدر السابق، ج٤ ص٢٦٥.

(٤٧) السيد سمير: المرجع السابق، ص٤١.

(48) Masters, Bruce: The Origins of Western Economic Dominance in the Middle East, p. 68 in (Mercantilism and the Islamic Economy in Alleppo 1600-1750), New York Univ. Press, New York, 1988.

(٤٩) محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ص١٤٢، ١٤٣.

(٥٠) السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص ص٤٢، ٤٣.

(٥١) محكمة الصالح: س٣٦٧، ص٥٦، م١٣٤، ٢٤ صفر ١١٩٥هـ/ ٩ فبراير ١٧٨١.

(٥٢) محكمة الزاهد: س٧٠٠، ص٩٤، م٢٤٣، ١٥ شوال ١١٨٩هـ/١٠ ديسمبر ١٧٧٥م.

(٥٣) جمال كمال محمود: عازار الأرمني: صائغ في القاهرة في القرن الثامن عشر، بحث ضمن أبحاث مؤتمر العلاقات الاقتصادية العربية الأرمنية، مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠١٠م، ص٣.

(٥٤) صالحية نجمية: س٥٢٩، ص ص٤٩، ٥٠، م٩٣، ٢٦ ذو القعدة ١١٩٠هـ/٧ يناير ١٧٧٧م.

(٥٥) نفسه: ص١، م١، ٢٠ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٨١م.

(٥٦) نفسه: ص٧٤، م١٤٧، ٨ محرم ١١٩١هـ/١٦ فبراير ١٧٧٧م.

(٥٧) نفسه: س٥٣٥، ص٦٠، م١٠٣، ٢٠ محرم ١٢٠٧هـ/٨ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٥٨) نفسه: س٥٢٩، ص٤٠٢، م٧٣٦، ٣ محرم ١١٩٤هـ/ ١٠ فبراير ١٧٨٠.

(٥٩) جمال كمال محمود: حارة البنادقة بالقاهرة في العصر العثماني، ضمن الكتاب التذكاري لتكريم الدكتور/ لطيفة سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٥٠.

(٦٠) صالحية نجمية: س٥٣٤، ص٣٤٠، م٦٩٠، ٢ شوال ١٢٠٥هـ/٤ يونيو ١٧٩١م.

(٦١) نفسه: ص٣٣٩، م٦٨٧، ٢ شوال ١٢٠٥هـ/ ٤ يونيو ١٧٩١م.

(٦٢) نفسه: س٥٢٩، ص ص٧٤، ٥٧، م١٤٩، ٨ محرم ١١٩١هـ/ ١٦ فبراير ١٧٧٧م.

(٦٣) الباب العالي: س٢٧٩، ص٤٩٠، م٨٩٨، ٢٧ ذو القعدة ١١٨٦هـ/ ٢٠ فبراير ١٧٧٣م.

(٦٤) صالحية نجمية: س٥٢٧، ص٢٦١، م٥٥٧، ١٠ شعبان ١١٨٥هـ/ ١٨ نوفمبر ١٧٧١م.

(٦٥) الباب العالي: س٢٩٩، ص٢٢٠، م٣٣٥، ٩ محرم ١١٩٦هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٧٨١م.

(٦٦) باب الشعرية، س٦٢٩، ص٢٣٨، م٥٩١، ٢٦ ذو القعدة ١١٠٨هـ/١٦ يونيو ١٦٩٧م.

(٦٧) الزاهد: س٦٩٨، ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الآخرة ١١٨٠هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م.

(٦٨) قسمة عربية: س١٢٣، ص ص٥٨، ٥٩، م١٠٢، ١٣ ذو القعدة ١١٨٤هـ/٢٨ فبراير ١٧٧١م؛ نفسه: ص ص٧٢، ٧٣، م١٢٧، غرة ذو الحجة ١١٨٤هـ/ ١٦ فبراير ١٧٧١م.

(٦٩) جمال كمال محمود: حارة البنادقة، السابق، ص١٠.

(٧٠) صالحية نجمية: س٥٣٣، ص١، م١، ٢٠ ذو الحجة ١١٩٥هـ/٧ ديسمبر ١٧٨١م.

(٧١) نفسه: س٥٢٧، ص ص٨، ٩، م١٨، ١٢ شوال ١١٨٤هـ/ ٢٩ يناير ١٧٧١م.

(٧٢) نفسه: س٥٣٥، ص٦٠، م١٠٣، ٢٠ المحرم ١٢٠٧هـ/ ٨ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٧٣) الباب العالي: س٢٩٩، ص ص٢١٩، ٢٢٠، م٣٣٣، ٩ محرم ١١٩٦هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٧٨١م.

(٧٤) الزاهد: س٦٩٩، ص ص١٢٧، ١٢٨، م٣٧٣، ٢٠ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ١٤ يوليو ١٧٧٠م؛ صالحية نجمية: س٥٣٠، ص٥٧، م١٠٣، ١٦ ذو القعدة ١١٩٢هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٧٨م.

(٧٥) نفسه: س٥٢٧، ص٢٦١، م٥٥٧، ١٠ شعبان ١١٨٥هـ/١٨ نوفمبر ١٧٧١م.

(٧٦) الباب العالي: س٢٩٩، ص٢٢٠، م٣٣٥، ٩ محرم ١١٩٦هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٧٨١م.

(٧٧) صالحية نجمية: س٥٢٩، ص٣٦١، م٦٦٥، ٢٠ ذو القعدة ١١٩١هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٧٧م.

(٧٨) ماجد عزت إسرائيل: الأبعاد الثقافية للجالية الأرمنية في القدس، بحث ضمن أبحاث ندوة العلاقات الثقافية العربية الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٩م، ص٢٥٤؛ انظر: لوحة (٧).

(٧٩) صالحية نجمية: س٥٣٣، ص١، م١، ٢٠ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٨١م؛ نفسه، ص ص١٠، ١١، م١٧، ٢٥ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٨١م.

(80) Crecelius, D., "The Mamluk beylicate of Egypt in the Last decades before its destruction by Muhammad Ali Pash in 1811" in the Mamluks in Egyptian Politics and Society, edited by Thomas Philip and Ulrich Haarman, Cambridge Univ. Press, London, 1998.

(81) Philip Thomas, The Syrians in Egypt 1725-1975, Berlin, 1985.

(82) Gabriel Baer, Egyptian Guilds in Modern Times, Jeruslem, 1964.

(٨٣) نشر المعهد الفرنسي بالقاهرة دراسة قيمة عن الصاغة لميشيل توشرار. انظر:

Michel Tuchscherer, Evolution Toponymique et Topographique de la Sãga du Caire á l'epoque Ottomane, Annales Islamologiques Analsi XXV, IFAO, Le Caire 1991.

(٨٤) جيرار: المصدر السابق، ج٤، ص٢١٦.

(٨٥) أندريه ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٠٥.

(٨٦) جمال كمال محمود: الأرمن في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٥م، ص٩٨.

(٨٧) الجواهرجي أو الجوهري هو صانع الجواهر، والجوهر لفظ معرب والواحدة جوهرة. انظر: محمد علي عبد الحفيظ: أشغال المعادن في القاهرة العثمانية في ضوء مجموعات متاحف القاهرة وعمائرها الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٥م، ص١١٦.

(88) Pascale Gazaleh, Masters of the Trade Crafts and Crafts People in Cairo, 1750-1850, A.U.C, Egypt, 1999.

(٨٩) مجدي جرجس: يوحنا الأرمني وأيقوناته القبطية، فنان في القاهرة العثمانية، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٨، ص ص١٠٩، ١١٠.

(٩٠) صالحية نجمية: س٥٢٩، ص٢٠٤، م٧٣٦، ٣ محرم ١١٩٢هـ/١ فبراير ١٧٧٨م.

(٩١) مجدي جرجس: المرجع السابق، ص١١٤.

(٩٢) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، دراسة تاريخية وثائقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م.

(٩٣) عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٦٢.

(٩٤) أندريه ريمون: الحرفيون، السابق، ج١، ص٣٣٧.

(٩٥) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦، ص١٥٣٧؛

Charles Issawi, Egypt at Mid Century, An Economic Survey, Oxford Univ. Press, London; 1954; P.24.

(٩٦) صالحية نجمية: س٥٣٢، ص٣٦٨، م٥٦٨، ٧ شعبان ١١٩٥هـ/ ٢٩ يوليو ١٧٨١م.

(٩٧) باب الشعرية: س٥٩٦، ص٦٧٨، م١٢٣٩١، ٢٨ ربيع الأول ١٠٠٥هـ/ ١٩ نوفمبر ١٥٩٦م.

(٩٨) أحمد حامد إبراهيم: نصارى القدس، ص٥٠٧.

(٩٩) نفسه: ص٥١١.

(١٠٠) السيد سمير: المرجع السابق، ص١٥٠.

(١٠١) أندريه ريمون: الحرفيون، السابق، ج١، ص٣٥٣.

(١٠٢) أندريه ريمون: المصريون والفرنسيون في القاهرة ١٧٩٨-١٨٠١م، ترجمة: بشير السباعي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ص٦١، ٦٢.

الفصل الرابع

العلم والعلماء بين مصروالقدس

يلعب العلم والعلماء دورًا كبيرًا في تقوية الروابط بين الشعوب وبعضها البعض، ولا يقل دور العلم عن السياسة والاقتصاد في ذلك الأمر، بل ربما يتفوق عليهما في بعض الأحيان.

وقد كان الأزهر – ولا يزال – رابطًا قويًا بين مصر والقدس منذ إنشائه وحتى الآن. وقد ساعد على ذلك أن الدراسة في الأزهر لا تعترف بالتفرقة بين الشعوب من حيث الأصل أو اللغة بل الكل سواء، طالما أنهم مسلمون، وتقوى تلك الرابطة إذا كانت مصر والقدس تحت حكم دولة واحدة، وهو ما تحقق في أغلب عصور التاريخ، خاصة العصر العثماني الذي نحن بصدد دراسة العلاقات بين الجانبين خلاله.

وساعد وجود الأزهر على نزوح عدد ليس بالقليل من المقدسيين للدراسة به، وآثر البعض من هؤلاء الاستقرار في مصر والتدريس في الأزهر وغيره من المساجد والمدارس، وتبوأ بعض هؤلاء مكانة متميزة في عصره؛ حيث اشتغل العلماء المقدسيون في وظائف التدريس والإفتاء بالأزهر، ومن المقدسيين من جمع بين التدريس والإفتاء معًا. كما تولى بعض العلماء المقدسيين وظائف القضاء في مصر.

وارتبط الكثير من العلماء المقدسيين بكبار العلماء في مصر سواءً أكانوا مصريين أو نازحين إلى مصر من بلدان العالم الإسلامي، وكان لبعض العلماء المقدسيين علاقات قوية بالعديد من كبار الأمراء، أي ارتبطت الصفوة العلمية بالصفوة الحاكمة أو بمعنى آخر ارتبط العلم بالسياسة.

وعلى الجانب الآخر وُجد العديد من العلماء المصريين بالقدس سواءً للزيارة أو الاستقرار، وهؤلاء كانوا حلقة الوصل كسابقيهم بين مصر والقدس.

ومما ساعد على ذلك وجود المكتبات، وهي أهم أدوات العلم والمعرفة؛ حيث احتوت كثير من المساجد والمدارس على خزائن الكتب؛ مما سهل على الطلبة والدارسين بشكل عام المادة العلمية اللازمة لبحوثهم، ولم يقتصر وجود المكتبات على المسلمين فحسب، بل وجد العديد من المكتبات داخل الكنائس والأديرة، ولا شك في أن ذلك كله ساعد بشكل أو بآخر على دعم العلاقات بين مصر والقدس.

- دور الأزهر في تقوية الروابط العلمية بين مصر والقدس :

يعد الأزهر أقدم جامعة – لا تزال تؤدي دورها منذ إنشائها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى الآن – على وجه الأرض. وإن كانت هناك جامعات أو معاهد علمية وتعليمية أقيمت في مصر قبل الأزهر؛ مثل جامعات منف، وهليوبوليس، وسايس وغيرها في العصر الفرعوني، وأكاديمية الإسكندرية ومكتبتها في العصرين البطلمي والروماني.

وأقيمت في بعض أقاليم منطقة الشرق مؤسسات علمية ذات مستوى رفيع؛ مثل أكاديمية أثينا وغيرها في العصر الهليني. ولكن لم تعمر جميع هذه المؤسسات طويلاً، وطويت صفحتها، واندثرت معالمها، وانتقلت من مسرح التاريخ إلى كتب تروي قصتها للأجيال المتعاقبة.

وعلى ذلك إذا قلنا إن الأزهر الشريف هو أقدم جامعة في العالم، فإننا نعني أنه أقدم جامعة مضى من عمرها أكثر من ألف سنة، ولا يزال بصرحه الشامخ وامتداداته الإقليمية يواصل مسيرته الحضارية، ولا يزال بحيويته المتجددة الرمز الحي المجسد للتراث الفكري الإسلامي العربي.

وقد قيل في هذا الصدد إن للمسلمين قبلتين، قبلة دينية، وأخرى علمية؛ أما القبلة الدينية فهي المسجد الحرام في مكة المكرمة، وأما القبلة العلمية فهي الأزهر الشريف في القاهرة[1].

لقد قدر للأزهر منذ أن بدأ الفاطميون إنشاءه عام ٣٥٩هـ/٩١٩م. أن يكون حدثًا مهمًا؛ فمنذ بداية الصلاة فيه عام ٣٦١هـ/٩٢١م كان كعبة العلم والعلماء في مصر، والحصن الحصين لعلوم الإسلام واللغة العربية، للحفاظ عليها والعمل على إنمائها وتطورها.

ورغم أن الفاطميين استغلوا الأزهر لنشر المذهب الشيعي فإن ذلك لم يستمر طويلاً؛ حيث أغلقه السلطان صلاح الدين الأيوبي لكونه من أهم مراكز نشر المذهب الشيعي، ثم قام بإنشاء المدارس التي تهتم بالمذهب السني، ورصد الأوقاف عليها.

وما إن قامت سلطنة المماليك حتى أعادوا فتح الأزهر مرة أخرى، ولكن هذه المرة؛ ليكون قلعة لنشر المذهب السني. ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر وأزهرها قبلة للعلم والعلماء.

واستمر ذلك الوضع حتى العصر العثماني، وتطور الأزهر أكثر، ولم يتدخل العثمانيون في شئونه التعليمية[٢]، ومما ساعد الأزهر على الاستمرار الأوقاف التي أرصدت على الأزهر وأروقته المتعددة.

ولعب الأزهر دورًا مهمًا في احتفاظ مصر بالريادة العلمية؛ حيث حسمت المنافسة بين القاهرة وبغداد عاصمة الخلافة العباسية لصالح القاهرة منذ أوائل عصر سلاطين المماليك على أثر الهجمة المغولية على بغداد، كما حسمت أيضًا المنافسة بين القاهرة ودمشق، بعد الغزوات الصليبية على العالم الإسلامي، والتي تركزت على الشام بخاصة، وما لبثت الشام نفسها أن أصبحت إقليمًا تابعًا لدولة المماليك، وعاصمتها القاهرة؛ وبالتالي ظلت القاهرة "العاصمة" مركز الصدارة، ليس للسلطة فحسب، بل كملتقى للعلماء من كل مكان. واستمرت تلك الريادة خلال العصر العثماني، وظل الأزهر قبلة للطلاب والعلماء من أنحاء العالم الإسلامي، وفي مقدمتها بلاد الشام.

- رواق الشوام بالأزهر الشريف :

أقبل الشوام - بما فيهم المقدسيون - على مصر للتعليم بأزهرها؛ ويرجع ذلك للعلاقات القوية التي تربط بينهما، وتضرب بجذورها في أعماق التاريخ؛ حيث كانت مصر والشام دولة واحدة في فترات طويلة من التاريخ[٣].

ونتيجة ازدياد عدد الوافدين من الشام للدراسة بالأزهر تم تخصيص رواق لهم عرف برواق الشوام. ويقع إلى يمين الداخل من باب الشوام، وبابه في المقصورة القديمة، ويشتمل على إيوانين متسعين غطيت أرضهما بالبلاط. وشيدت في أعلاهما مساكن للطلبة، وقد بلغ عددها ثلاثين مسكنًا. وبالرواق خزانة كتب يشرف عليها قيّم، وبلغ عدد محتوياتها ٢١٠٠ مجلد، وكانت الاستعارة الخارجية للكتب متاحة لطلبة جميع الأروقة بالأزهر بالشرط التقليدي: أي بعد أن يستوفي طلبة الرواق حاجاتهم من الكتب أولاً. وفي الرواق بئر وصنابير داخلية وخُلوة للتعبد ومطبخ. وكان يعمل فيه جابٍ لتحصيل إيراد الأوقاف المحبوسة على الرواق، كما عين فيه كاتب وبواب وسقاء. وهو أكبر أروقة الأزهر وأكثرها ازدحامًا بالطلبة. وبلغ مقدار الجراية التي تصرف لهم كل يومين ثمانمائة وستة وخمسين رغيفًا. كما كانت تصرف لهم مرتبات نقدية في أول كل شهر هجري. وقد أنشأ هذا الرواق السلطان الأشرف قايتباي (٩٠١-٨٧٢هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)، وهو أحد سلاطين دولة المماليك الجراكسة. وزاد فيه الأمير عثمان كتخدا القازدغلي، ثم الأمير عبد الرحمن كتخدا، وهما من الأمراء البارزين في العصر العثماني[٤].

- تنظيم أروقة الأزهر في العصر العثماني:

خضعت أروقة الأزهر لنظام إداري دقيق في العصر العثماني؛ فقد سجلت الأروقة التي يقيم فيها الطلبة وبعض مدرسي الأزهر تسجيلاً تفصيليًا دقيقًا في سجلات قاضي القضاة العثماني بمحكمة الباب العالي بالقاهرة، بأسمائها وأوصافها ومواقعها وتقسيماتها.

وخضع تقسيم الأروقة إلى نظام الخلوات – غرف معزولة للتعبد – فالمقيم في الرواق، سواءٌ أكان مدرسًا أم طالبًا، يتبع خلوته طبقًا للتحديد الوارد في قرار قاضي القضاة الصادر بإسكانه.

ويلاحظ أن معظم الخلوات كان يسكنها المدرسون في الأزهر؛ لأن النظام السائد وقتذاك أن تظل إقامتهم فيها. أما الطلبة فكانوا يتبعون مساكن الخزانات – صيوان كبير – والطاقات.

وعلى الرغم من أن قرار إسكان المدرس أو الطالب بالأروقة يقتضي أن يكون صادرًا من قاضي القضاة في مصر ومسجلاً في سجلاته؛ فإنه لم يكن ينفذ إلا بعد أن يعتمد بخاتم اثنين من كبار علماء الجامع الأزهر(٥).

وقد ارتبط العلماء المقدسيون بالأزهر: حيث نجد أن الكثيرين منهم قد عاد إلى بلاده بعد تحصيله العلم، ونيل الإجازة العلمية من علمائها، وصار في مصافّ العلماء وأهل الإفتاء والتدريس؛ ولكنه يحرص على الاستزادة من العلم، فيكرر زيارته لمصر أكثر من مرة، وكان لهذا أثره في الترابط الثقافي بين مصر والقدس(٦).

ولعل أهم خصائص أروقة الأزهر أنها لم تطبق سياسة التمييز العنصري على الطلبة الراغبين في سكناها، ولم تأخذ بنظام الطبقية، فكانت الأروقة تستقبل بني الإسلام، ولم تؤثر فريقًا على فريق بسبب الفروق الاجتماعية أو الاقتصادية، فكانت المساواة بأشمل معانيها هي سمة نظام القبول بالأروقة. وقد قامت أروقة الأزهر بدور بارز في دعم الترابط بين الشعوب الإسلامية في الشرق والغرب(٧).

- العلماء المقدسيون في مصر:

رأينا كيف نزح الكثير من الشوام للدراسة في الأزهر، وكانت أعدادهم كبيرة بدليل وجود رواق كبير لهم، وكان من بين الشوام العديد من المقدسيين.

وقد تصدى الكثير من المقدسيين الذين أتموا علومهم بالأزهر للتدريس والإفتاء فيه بعد أن أجيزوا من علمائه، ونعتوا بأنهم "من أعيان أهل الإفادة والتدريس بالجامع الأزهر"، بل إن هناك علماء مقدسيين جمعوا بين وظيفتي التدريس والإفتاء في نفس الوقت؛ مثل الشيخ حسن المقدمي الحنفي؛ فقد أشارت المصادر إلى أنه كان من أعيان أهل الإفادة والإفتاء والتدريس بالجامع الأزهر(٨).

وكان له أخ يدعى أحمد بن نور الدين المقدمي الحنفي، وكان إمام جامع قجماس(٩)، وخطيبه بالدرب الأحمر، وشارك أخاه الشيخ حسن المقدمي في شيوخه، واشتغل بالعلم، "وكان شيخًا وقورًا بهي الشكل مقبلاً على شأنه منجمعًا على الناس". توفي في ٢٦ ربيع الأول ١١٩٠هـ/٥ مايو ١٧٧٦م(١٠).

واشتغل الشيخ حسن المقدسي بالتدريس في المدرسة الصرغتمشية[١١] التي كانت مشروطة لشيخ الحنفية. وكان الشيخ حسن المقدسي شيخًا للشيخ محمد بن حسن الجزايرلي، وأعطاه تدريس الحديث بهذه المدرسة[١٢]. ودرّس كذلك بالمدرسة المحمودية[١٣]، والأكثر من ذلك أنه اشتغل بالتدريس في الجامع الأزهر ذاته[١٤].

وكان الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني الحنفي المقدسي من العلماء المقدسيين، وتعلم في مصر وغيرها؛ حيث قرأ بمكة على الإمام زين العابدين بن عبد القادر الطبري، وبمصر على الشيخ الشبراملسي، والشمسي البابلي، والشمسي الشوبري، والفقيه علي الشهابي الشوبري الحنفي، وحسن الشرنبلالي، وعبد الكريم الحموي الطرابلسي، وبدمشق علي السيد محمد بن علي الحسيني المقدسي الدمشقي، وتوفِّي بأدرنة سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م[١٥].

وكان شيخ الإسلام نور الدين علي المقدسي الحنفي أحد القضاة، وكان ممن أفتوا بعدم تعدي طائفة من اليهود على طائفة أخرى عندما عرض عليه نزاع بين اليهود القرائين والربانيين[١٦].

ويعد مرعي بن يوسف المقدسي من العلماء، وله كتاب "قلائد العقيان في فضائل آل عثمان"[١٧].

ونجد الشيخ شمس الدين بن محمد بن الشيخ موسى المقدسي، مدرس الفقه الحنبلي بمدرسة السنقرية ببولاق، وكذلك الشيخ علي بن محمد المقدسي، مدرس الفقه الحنبلي كذلك بالمدرسة الصلاحية[١٨].

ونبغ العديد من العلماء المقدسيين في الفقه؛ مثل الشيخ علي بن محمد المقدسي الحنفي، رأس الحنفية في عصره، وإمام أئمة الدهر على الإطلاق، وكان عبد الله المقدسي الأزهري ممن اهتموا بعلم التنجيم.

كما كان السيد علي بن موسى المقدسي المعروف بابن النقيب ممن نبغوا في النثر، ولم يكن يتكلف في كتاباته النثرية السجع، ويسترسل على سجيته[١٩].

وكان الشيخ علي بن موسى المقدسي من كبار علماء عصره، وكان شيخًا للجبرتي، ويذكر عنه الجبرتي ما نصه "شيخنا السيد علي المقدسي"[٢٠]. وارتبط الشيخ علي المقدسي بكبار علماء عصره؛ مثل السيد مرتضى الزبيدي[٢١]؛ حيث يذكر الجبرتي "واجتمع به شيخنا السيد مرتضى في منزل السيد علي المقدسي"[٢٢].

وقد أفرد الجبرتي للشيخ علي بن موسى ترجمة وافية؛ حيث ذكر أنه ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي كرم الله وجهه. ويلقب بـ"الحسيني المقدسي الأزهري المصري" ويعرف بالنقيب؛ لأن أجداده تولوا النقابة ببيت المقدس، ولد نحو سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م ببيت المقدس، وبها نشأ، وقرأ القرآن على الشيخ مصطفى الأعرج المصري وغيره، وأخذ العلم عن أبي بكر بن أحمد العلمي مفتي القدس، ووصل إلى الشام، وأخذ عن عدد من الشيوخ: منهم الشيخ عبد الغني النابلسي[٢٣]، وعاد إلى بيت المقدس، فاجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي أيضًا، وبالسيد مصطفى البكري بحلب حينما كان راجعًا من بغداد، فأخذ عنه الطريقة، ورغَّبه في مصر، فوصلها، وحضر مجالس العديد من العلماء: مثل الشمسي السجيني، ومصطفى العزيزي وغيرهما، ويضيف الجبرتي "ورأس في المذهب وتمهر في الفنون، ودرَّس في المشهد الحسيني في التفسير والفقه والحديث واشتهر أمره، وطار صيته، وكان فقيهًا في المذهب بارعًا في معرفة فنونه، عارفًا بفروعه وأصوله، يستنبط الأحكام بجودة ذهنه وحسن حافظته"[٢٤].

وتمتع الشيخ علي بن موسى المقدسي بوضع اجتماع متميز؛ حيث كان منزله الذي يقع قرب المشهد الحسيني "موردًا للآملين، ومحطًا لرحال الوافدين، مع رغبة في الخيل المنسوبة، وحسن معرفة لأنسابها، وعزوة لأربابها، وكان إسطبله دائمًا لا يخلو من اثنين أو ثلاثة يركب عليها، ويضمرها ويعتني بأحوالها، ويرغب في شرائها لمعرفته بالفروسية في رمي السهام، واستعمال السلاح واللعب بالرماح وغير ذلك"[٢٥].

وتطور وضعه أكثر وانتقل إلى منزل واسع بالحسينية، فسكنه، وعمَّر زاوية كانت بالقرب من منزله، ثم توجه إلى عاصمة الدولة العثمانية سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م، وكان لا يزال يدرّس في المشهد الحسيني، وعزم عبد الرحمن كتخدا على هدمه وإنشائه، وانتهز فرصة سفر الشيخ علي إلى دار السلطنة، ومكث هناك مدة، وأقبلت الناس عليه، وأحبه

الأمراء وأرباب الدولة، وتزوج سيدة رومية هناك، ثم عاد إلى مصر، واستقر في منزله، وعاد إلى دروسه في المشهد الحسيني، وكان ذلك سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وكان معتادًا إكرام الضيوف وبذل المعروف، وكان متزوجًا من ثلاثة نساء، شامية ومصرية ورومية[٢٦].

وارتبط الشيخ علي المقدسي ببعض كبار الأمراء في عصره، وكان محمد بك أبو الذهب أحد هؤلاء؛ حيث ذهب إليه الشيخ، وكان في ضائقة مالية، فتحدث معه أبو الذهب، وسأله عن أهل إسلامبول، فقال له "لم يبق بسلامبول ولا بمصر خير، ولا يكرمون إلا شرار الخلق، وأما أهل العلم والأشراف فإنهم يموتون جوعًا". وفهم الأمير الأمر، وأمر له بمائة ألف نصف فضة، فقضى منها ديونه، وأنفق منها على الفقراء، وعاش بعدها أربعين يومًا، ثم "تعلل بخرّاج فجاءه رجل يهودي فقصده بمشتر – أي مشرط – وتعني موس الحلاقة – قيل أنه مسموم فكان سببًا لموته". وتوفي عصر الأحد ٦ شعبان ١١٨٦هـ/٢ نوفمبر ١٧٧٢م[٢٧].

وجُهّز وصُلّي عليه بالأزهر في مشهد حافل، وأحضر له الأعيان عدة أكفان، وأصرَّ كل منهم على أن يكفَّن في كفنه، فترضية للجميع أخذوا من كل كفن قطعة، وكفنوه في كل ذلك "جبرًا لخواطرهم". وأعطى الأمير محمد بك لأخيه السيد بدر الدين خمسمائة ريال لتجهيزه ودفنه[٢٨].

ويعد أخوه السيد بدر بن موسى المقدسي أحد كبار علماء عصره، وجلس مكان أخيه في الدار، وتصدر مكانه لإملاء درس الحديث النبوي الشريف بمسجد المشهد الحسيني، وسار السيد بدر على منوال أخيه "وسار سيرًا حسنًا، وجرى على نسقه وطبيعته في مكارم الأخلاق، وإطعام الطعام وإكرام الضيفان، والتردد على الأعيان والأمراء والسعي في حوائج الناس". وعقب الاحتلال الفرنسي وقيام ثورة القاهرة الأولى جمع السيد بدر المقدسي الجموع من أهل الحسينية وما جاورها، وشارك في الثورة، وعقب فشل الثورة خرج فارًا إلى بيت المقدس، وتتبع الفرنسيون أخباره، ولما لم يصلوا إليه نهبوا داره، وهدموا جزءًا منها وخربوا المسجد، وبعد خروج الفرنسيين من مصر عاد، وأعاد بناء داره مرة أخرى، وسكن بها وعاد إلى سيرته الأولى في التدريس[٢٩].

وكان الشيخ زين الدين محمد بن محرد المقدسي من العلماء الذين قاموا بالتدريس في الأزهر، وكان الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد المقدسي عالمًا كذلك، وتذكر المراجع أنه "الشيخ العلامة مفتي المسلمين مفيد الطالبين وكان يدرِّس بالأزهر كوالده".

واشتغل البعض من العلماء المقدسيين بالمدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان قايتباي؛ مثل الشيخ علي بن محمد بن علي بن غانم المقدسي الأصل الخزرجي القاهري المولد والسكن، وكان يشترط فيمن يقوم بالتدريس في هذه المدرسة أن يكون أعلم علماء الحنفية، وتولى مشيخة القراء بمدرسة السلطان حسن، ودرَّس بمدرسة الصرغتمشية. كما كان الشيخ عبد الرحمن نور الدين المقدسي " مدرسًا للفقه بمدرسة السلطان الملك المؤيد"[٣٠].

وكان الشيخ حسن بن نور الدين المقدسي الحنفي الأزهري من كبار علماء عصره، وتفقه على شيخ وقته الشيخ سليمان المنصوري، والشيخ محمد بن عبد العزيز الزبادي، ودرَّس بالجامع الأزهر في حياة شيوخه، ولما بنى الأمير عثمان كتخدا مسجده بالأزبكية جعله خطيبًا، وإمامًا به، وسكن في منزل قرب الجامع، وراج أمره، وأصبح شيخًا للحنفية خلفًا لشيخه الشيخ سليمان المنصوري، وكانت له علاقات طيبة بالأمير عبد الرحمن كتخدا، ثم بنى له منزلاً نفيسًا مطلاً على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء، وذاع صيته[٣١].

وفي دمياط نبغ الشيخ شهاب الدين أحمد السعدي المقدمي الحنفي، وكان إمامًا للحنفية بالمدرسة المعينية بدمياط[٣٢].

ولم يقتصر دور المقدسيين على التدريس والإفتاء، بل تولى العديد منهم القضاء؛ حيث " كان الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد المقدسي قاضيًا لمحكمة جامع الحاكم، والشيخ حافظ الدين المقدمي قاضيًا بالمنصورة، ومحمد حافظ المقدمي الحنفي قاضيًا بدمياط، وأحمد القدسي الحنفي قاضيًا بنفس المحكمة"[٣٣].

وعلى ذلك نبغ العديد من المقدسيين، وبرعوا في العديد من العلوم، وتصدوا للإفتاء والتدريس بالجوامع الكبيرة، وعلى رأسها الأزهر، بل ترأس البعض منهم المذهب الحنفي –

المذهب الرسمي للدولة العثمانية – كما اشتغل العديد منهم بالقضاء، وارتبطوا بالعديد من كبار الأمراء في العصر العثماني.

- العلماء المصريون في القدس:

تردد العديد من العلماء المصريين على القدس، ودرَّسوا بها العلوم الدينية، ومن أشهر العلماء الذين ترددوا على القدس الإمام الشافعي مؤسس أحد المذاهب الأربعة، والذي كان كثير التردد على المدينة التي كانت تجذبه قدسيتها[٣٤].

وقد استمرت القدس مركز جذب للمتصوفين والعلماء من مصر وغيرها. وقد رأينا كيف هاجر كثير من العلماء إلى بيت المقدس؛ مما أدى إلى نشوء الكثير من الأسر العلمية التي أثرت الحياة العلمية في القدس بما أنجبته من علماء، وبما كان لهؤلاء من جهود علمية ومؤلفات، ومنهم على سبيل المثال أسرة بني القلقشندي التي تنتسب إلى الشيخ تقي الدين القلقشندي (٦٧٨هـ/١٣٧٦م)[٣٥]. وقد دفن القلقشندي في القدس، وكذلك شهاب الدين أحمد المصري المقدسي الشهير بابن الهائم (ت٨١٥هـ/١٤١٢م)، وكذلك الشيخ عثمان الحطاب المصري من أعيان الصالحين بمصر[٣٦].

ومن العلماء الذين زاروا القدس الشيخ عبد الرحمن الحسيني العلوي العيدروسي التريمي الذي ينتهي نسبه للإمام علي كرم الله وجهه "ثم رجع إلى بيت المقدس وزار وعاد إلى مصر"[٣٧]. وزار الإمام المحدث الفقيه السيد محمد بن أحمد الحسيني الشهير بالبخاري مصر، واجتمع بعلمائها، ثم زار بيت المقدس فأكرم بها[٣٨].

ومن العلماء من نزح إلى مصر، ودرس بها، ثم انتقل إلى بيت المقدس؛ مثل الشيخ شامل أحمد بن رمضان بن سعود الطرابلسي، وكان صديقًا للجبرتي، وكان قد نزح إلى مصر سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م، وجاور بالأزهر، وتولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر الشريف، وكان من أصدقاء الشيخ حسن العطار كذلك، وعندما هاجم الفرنسيون مصر خرج مع من خرجوا، وذهب إلى بيت المقدس، وظل بها إلى أن مات في نفس السنة ١٢١٤هـ/١٧٩٨م[٣٩].

وكان الشيخ محمد بن سيرين الشافعي المقدسي ممن درسوا في مصر؛ حيث قدم به والده إلى مصر، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم، وحضر دروس بعض كبار علماء عصره،

واتصل بالشيخ محمود الكردي، فلقنه الذكر ولازمه، وحصلت له من الأنوار، وانجمع عن الناس، ولاحت عليه لوائح النجابة، وألبسه التاج، وجعله من جملة خلفاء الخلوتية – إحدى الطرق الصوفية – وأمره بالتوجه إلى بيت المقدس، فوصلها وسكن بالحرم، وبدأ في تعليم الطلبة العلوم، ويعقد حلقة الذكر، وكان من العلماء المشهورين، وأقبل عليه الناس، وحج من بيت المقدس، وأصيب في العقبة بجراحة في عضده، ورجع إلى مصر، فزار شيخه الشيخ محمود الكردي، ومكث مدة، ثم عاد إلى بيت المقدس، وكان ممن طلب إجازة السيد مرتضى الزبيدي، ويختم الجبرتي حديثه عنه بأنه "لم يزل يملي ويفيد، ويدرّس ويعيد، واشتهر ذكره في الآفاق، وسطعت أنواره وعمّت أسراره، وانتشرت في الكون أخباره، وازدحمت على سدته زواره" إلى أن توفيّ في ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م[٤٠].

ويعد الشيخ محمد بن بدير الشافعي المقدسي – صديق الجبرتي – من أهم العلماء المقدسيين الذين زاروا مصر، وارتبط بالسيد مرتضى الزبيدي كذلك، ومن أهم مؤلفات الشيخ محمد بن بدير "قلنسوة التاج"، ونبغ في الشعر، ويعد من كبار علماء عصره؛ حيث يذكره الجبرتي أنه "فريد عصره في الديار المقدسة، يبدي ويعيد ويدرّس ويفيد"[٤١].

والجدير بالذكر أن علماء مصر أجازوا بعض المقدسيين "بالمراسلة"؛ حيث أجازوا الشيخ بدر الدين بن محمد بن بدر الدين القدسي[٤٢].

وهكذا تبادل علماء مصر والقدس التدريس والتعليم في كلا البلدين، فأضاءوا ذلك العصر بمؤلفاتهم التي لا يزال بعضها باقيًا يشهد على دور هؤلاء في إثراء الحركة العلمية.

- مكتبات القدس :

نتج عن نزوح عدد من علماء "العالم الإسلامي" إلى بيت المقدس، وتعلُّم الكثير من أبناء بيت المقدس في الكثير من البلاد الإسلامية أن انتشرت المكتبات في القدس، ويرجع ازدهار المكتبات في القدس إلى عصر سلاطين المماليك؛ حيث كانت خزانة الكتب في الحرم القدسي الشريف من أهم المكتبات، ليس في القدس فحسب، بل في بلاد الشام بأسرها؛ لما تحويه من كنوز المعرفة؛ ففيها نصف مصحف قديم بخط كوفي كتب عليه "كتبه محمد بن الحمد بن الحسين بن بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم"، وبعض نسخ من القرآن الكريم أحضرها السلطان صلاح الدين الأيوبي من مكتبة دمشق عقب فتحه بيت المقدس،

كما حرص سلاطين المماليك على تزويد تلك المكتبة بالكتب النفيسة، بل شاركهم هذا الاهتمام بعض ملوك المغرب العربي؛ مما يدل على مكانة بيت المقدس لديهم، وكانت محتويات تلك المكتبات في تزايد مستمر طوال عصر سلاطين المماليك، بحيث تضخمت بشكل ملحوظ، مما يرجح أن هذا التضخم كان وراء نقلها، وبخاصة الوثائق، والتي أصبحت تعرف فيما بعد بوثائق الحرم القدسي الشريف، إلى مكان خصص لها في الجزء الجنوبي من ساحة الحرم، والذي عرف فيما بعد باسم المتحف الإسلامي[٤٣].

ولم يقتصر وجود المكتبات على الحرم القدسي الشريف أو المسجد الأقصى، بل انتشرت المكتبات في المدارس، بحيث لا تخلو مدرسة في القدس من خزانة للكتب باعتبارها أحد أهم متطلبات العلم، وكانت كل مدرسة – في الغالب – تحتوي في تصميمها المعماري على خزانة الكتب في علوم الدين وغيرها؛ لتساعد المدرسين والمعيدين وطلبة العلم، ومن أمثلة مكتبات المدارس في القدس مكتبة أو خزانة المدرسة الأشرفية التي نسبت إلى السلطان الأشرف قايتباي، والتي عمرَّها السلطان خشقدم بالقدس. وكان بها خزائن كتب جليلة. وكانت المكتبات محل اهتمام السلاطين، ولم تكن مجرد مخازن للكتب تترك مغلقة على ما فيها من كتب، بل كانت محور النشاط التعليمي في تلك المؤسسات التعليمية، والتي لم تكن للتعليم فقط، ولكن أيضًا للتعلم وتحصيل العلم بالبحث والدراسة في الكتب نفسها، والنقل مما تحويه من مادة علمية ثمينة، وكانت مهمة المدرس في ذلك العصر هي أن يُسهل على الطلبة الفهم، ويحثهم على الاشتغال بالعلم الشريف، ويعد الطلبة ويدربهم على البحث بأنفسهم، ومن ثم كانت المكتبات وثيقة الصلة بروح التعليم[٤٤].

لقد كانت المكتبة عنصرًا مهمًا وأساسيًا في التربية في المدارس؛ حيث كانت بمثابة مؤسسة اجتماعية تعليمية لا تتقيد بمنهج محدد أو برنامج معين، ويغلب عليها مناخ الحرية، وقد ساعد ذلك على نبوغ الكثير من الطلبة في مختلف ميادين المعرفة السائدة آنذاك، وكان لتلك المكتبات أثرها في تطوير الحركة العلمية عامة إبان ذلك العصر، كما كان لها دورها في إرساء قواعد النهضة الثقافية في القدس، كما كان لتلك المكتبات أثرها في حركة التأليف التي ازدهرت كذلك كنتيجة من نتائج تشجيع الحكام على العلم والمعرفة.

- **مكتبات أهل الذمة في القدس :**

ساعد وجود الطوائف المسيحية المتعددة في بيت المقدس سواءً أرثوذكس أو كاثوليك على تعدد الكنائس والأديرة، والتي لعبت دورًا مهمًّا في الحياة العلمية باعتبارها مراكز للتعليم، وحوت تلك الكنائس والأديرة مكتبات ضخمة؛ فعلى سبيل المثال وجد بجوار كنيسة القبر المقدس مكتبة رائعة[٤٥].

وتُعد مكتبة البطريركية الأرثوذكسية الواقعة بالقرب من كنيسة القيامة[٤٦] من أغنى المكتبات في الشرق، وكانت نواة تلك المكتبة مجموعة القبر المقدس، ثم أضيف إليها مكتبة دير مارسابا، ثم مكتبة المصلبة الواقعة غربي القدس وغيرها، ويبلغ عدد مخطوطاتها ٢٤٠٠ مخطوط بلغات مختلفة، منها اليونانية والعربية والسريانية، وهذه المخطوطات تغطي فترة طويلة في تاريخ بيت المقدس[٤٧].

وفي حارة الشرف – تقع بين حارتي الأرمن واليهود – توجد مكتبة السريان الأرثوذكس في دير مار مرقص، وتعتبر من أقدم المكتبات في القدس، ويقدر ما بقي من مخطوطاتها بـ ٣٦٢ مخطوطًا. وإلى جانب ذلك نجد مكتبة الرهبان الفرنسيسكان في دير صهيون الخاص بهم، وقد انتقلت هذه المكتبة إلى دير اللاتين أو دير المخلص ودير الإفرنج في الشمال الغربي من حارة النصارى نتيجة طرد العثمانيين لهم من علية صهيون الذي كان مقرًا لهم منذ سنة ١٢١٩م وحتى سنة ١٥٥٩م، وهو عام طردهم من صهيون، وتعد هذه المكتبة من أغنى مكتبات العالم بما تحويه من الوثائق التي تتعلق بالأرض المقدسة. وقد حافظ عليها أولئك الرهبان محافظة شديدة، وتفرغ بعض علمائهم منذ سنة ١٩٢٢م لنشر فهرس مستوفٍ لتلك الوثائق بلغتها العربية الأصلية مع ترجمتها إلى الإيطالية. وتحتوي خزائن مكتبة الرهبان الفرنسيسكان على ألفين وستمائة وأربع وأربعين وثيقة بعضها يرجع لعصر سلاطين المماليك[٤٨].

وتُعد مكتبة دير مار يعقوب من أهم المكتبات في القدس، والجدير بالذكر أن دير مار يعقوب لا يُعد مركزًا دينيًا فحسب، بل مركزًا ثقافيًا وتربويًا كذلك؛ فبعد إنشاء الدير عام ١١٦٥م بدأ شيئًا فشيئًا يلعب دورًا ثقافيًا، فكان يحتوي على مكتبة هامة في عصر سلاطين المماليك، حيث يوجد بالدير أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية القديمة، وفيه عدد كبير

من الوثائق والمراسيم التي أصدرها الحكام المسلمون لجماعة الأرمن بالقدس الشريف، ويبلغ عدد هذه الوثائق (٣٧٠٠) محفوظة في كنيسة مارثيودور في داخل هذا الدير. وقد بنيت هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر الميلادي(٤٩).

ومكتبة الدير حافلة بالمصورات والرقوق التي ما تزال تنتظر الدراسة الشاملة والتقييم والنشر في لغاتها الأصلية. وقد نشر عدد محدود من الوثائق العربية الإسلامية مترجمًا إلى اللغة الأرمنية في كتابين أحدهما كتاب "التاريخ المتسلسل للقدس" للمؤرخ الأرمني أ. تير-هوفانيسيانيس (A. Ter-Hovannesiants). وقد صدر في القدس سنة ١٩٨٠م، والكتاب الثاني هو "تاريخ القدس" للمؤرخ الأرمني ت. سافالانياتس (T. Savalaniants)، وقد صدر أيضًا في القدس في مجلدين سنة ١٩٣١. وقد أورد المؤلفان ترجمة لعدة مراسيم مملوكية صادرة إلى بطاركة الأرمن. كما نشرا عددًا كبيرًا من الوثائق التي أصدرها الولاة والموظفون المحلّيون، مترجمة من العربية إلى الأرمنية كذلك، وغالبها يتعلق بصورة عامة بحقوق الأرمن في الأماكن المقدسة، والممتلكات الدينية، وتعمير المؤسسات الدينية وقضايا الحج إلى الأماكن المقدسة المسيحية، وقضايا الضرائب والرسوم(٥٠)، ومما لاشك فيه أن هذا العدد الضخم من الوثائق التي تحويها مكتبة الدير بحاجة ماسة لدراستها ونشرها؛ لأنها تغطي جانبًا هامًا من تاريخ مدينة القدس.

وانتقلت إلى دير مار يعقوب أول مدرسة أرمنية تأسست في فلسطين سنة ١٨٤٣ في مدينة الرملة، والتي انتقلت إلى الدير في القدس، ثم غدت مدرسة اللاهوت المشهورة، وقد شيد أول بناء لها سنة ١٨٥٠م. وفي سنة ١٨٧٦م تم إنشاء المبنى الجديد، بينما تأسس سنة ١٨٧٧م القسم الداخلي الذي يضم نحو ١٠٠ طالب(٥١).

وفي ٢٦ أبريل ١٩٢٨م تأسست في دير القديس يعقوب أول مدرسة أرمنية مختلطة مع روضتها، والتي لا تزال قائمة إلى اليوم، وتأسست أول مطبعة أرمنية سنة ١٨٣٣م في الدير، وهي لا تزال تعمل بنشاط حتى الآن، وصدرت عنها مطبوعات مختلفة، ولاسيما مؤلفات المؤرخين الأرمن(٥٢).

وظهرت النشرة الرسمية للبطريركية الأرمنية بالقدس، وهي كما ذكرنا داخل دير القديس يعقوب؛ سنة ١٨٦٦م تحت اسم "سيون"، واستمرت تصدر حتى سنة ١٨٧٧م، ثم انقطعت، وعاودت الصدور من جديد سنة ١٩٢٣م، ولا تزال تصدر إلى اليوم.

وفي سنة ١٨٦٦م تأسست في البطريركية دار المخطوطات "مادينااتاران". وأما المتحف فيضم الكثير من التحف الأثرية والتاريخية التي تكشف التاريخ العريق للجالية الأرمنية في القدس.

وعلى أية حال كان الدير منذ إنشائه، ولا يزال، يقوم بدور ثقافي تنويري مهم بالنسبة للأرمن وغيرهم ساعده على القيام بهذا الدور المنشآت التي تم إنشاؤها داخل الدير من مكتبات ومدارس ودار مخطوطات، وكلها كانت ذات أثر مهم في الثقافة الإنسانية بعامة والأرمنية بخاصة.

وعلى أية حال يمكن أن نستخلص مما سبق أن الأزهر باعتباره أقدم جامعة – لا تزال قائمة حتى اليوم – لعب دورًا مهمًا في توثيق الروابط بين مصر والقدس منذ إنشائه، واستمرت إلى العصر العثماني، بل وحتى الآن.

وقد وجد العديد من الطلبة المقدسيين في رواق الشوام بالأزهر.

وقد ارتبط العلماء المقدسيون الذين تعلموا بالأزهر بمصر؛ حيث حرص البعض منهم على الاستزادة من العلم، فكرر زياراته إلى مصر أكثر من مرة؛ مما كان له أثره في الترابط الثقافي بين البلدين.

وآثر العديد من المقدسيين الحياة في مصر والاشتغال بالعلم، فبرز عدد كبير منهم في العلوم الدينية؛ كعلوم القرآن والحديث والفقه والتشريع بالأزهر والعديد من المساجد والمدارس الكبرى، كما كان منهم من نبغ في علم التاريخ، وتمتع بعض هؤلاء العلماء المقدسيين في مصر بوضع اجتماعي متميز، وارتبط بعضهم بالكثير من كبار العلماء والأمراء في مصر. واشتغل بعض العلماء المقدسيين بالقضاء في القاهرة والأقاليم.

وفي المقابل تردد البعض من العلماء المصريين على القدس، ودرَّسوا العلوم الدينية بها، والبعض زار القدس، وحج منها إلى الحجاز، كما زار مصر بعض العلماء المقدسيين،

واجتمعوا بعلمائها، وعادوا إلى بيت المقدس، كما انتمى بعضهم إلى طريقة من الطرق الصوفية، إلى جانب تبحره في العلوم، ووجهه أستاذه في مصر إلى القدس - بلده الأصلي - لينشر العلم فيها، وكثيرًا ما كان هؤلاء يعودون لزيارة أساتذتهم والاستزادة من العلم، ويعودون إلى بيت المقدس.

وارتبط البعض من علماء القدس في مصر بعلاقات قوية مع كبار العلماء في مصر آنذاك: مثل الشيخ مرتضى الزبيدي، والشيخ حسن العطار، والشيخ عبد الرحمن الجبرتي.

وقد انتشرت المكتبات في القدس خاصة مكتبة الحرم القدسي الشريف ومكتبة المسجد الأقصى وغيرهما، وكانت تلك المكتبات بمثابة مؤسسات تعليمية مهمة، كما حوت الكنائس والأديرة الكثير من المكتبات: كمكتبة السريان في دير مار مرقص، ومكتبة الرهبان الفرنسيسكان، ومكتبة دير مار يعقوب، ولا شك في أن تلك المكتبات كان لها دورها في الترابط بين مصر والقدس.

هوامش الفصل الرابع

(١) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ص ص٦، ٧.

(٢) ناصر عثمان: قبل أن يأتي الغرب، الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٦، ص١٢٨.

(٣) راجع الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٤) عبد العزيز الشناوي: الأزهر، ص ص٢٦٠، ٢٦١.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ص٣٠٦، ٣٠٧.

(٦) ناصر عثمان: المرجع السابق، ص١٤١.

(٧) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٨) عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٦٥.

(٩) أنشأ هذا الجامع الأمير قجماس الإسحاقي ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، ويعرف بجامع أبي حريبة وموقعه بالقرب من باب زويلة. انظر: الجبرتي: المصدر السابق، ج٣، ص٤، حاشية٣.

(١٠) المصدر السابق، نفسه والصفحة.

(١١) أنشاها الأمير سيف الدين صرغتمش في عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م. انظر: عبد الله عزباوي: المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص٨٠.

(١٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

(١٣) نفسه، ص٣٧.

(١٤) نفسه، ص٥٥.

(١٥) الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص٢٤.

(١٦) الباب العالي: س١٢٦، ص ص٣، ٤، م٩، ٢٢ ربيع الأول ١٠٥٨هـ/١٨ أبريل ١٦٤٨.

(١٧) مرعي بن يوسف: قلائد العقيان في فضائل آل عثمان، مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج، رقم ٦٠ (تاريخ).

(١٨) السيد سمير: المرجع السابق، ص٢٦١. والمدرسة الصلاحية هي المدرسة التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد سقوط الخلافة الفاطمية ٥٧٢هـ بجوار الإمام الشافعي، وتصفها المصادر بأنها من أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق. انظر: السيد سمير: المرجع السابق، ص٢٧٨.

(١٩) المرجع السابق، ص ص٢٦٢، ٢٦٣.

(٢٠) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٣.

(٢١) ولد بزبيد ونشأ وتعلم بها. وعلى عادة العلماء المسلمين كان لابد من الرحلة لزيادة صقله علميًا. ويقال أن الزبيدي ارتحل في طلب العلم حتى وصل إلى الهند، وإلى مكة. ونصحه أساتذته بالرحلة إلى مصر حيث وصلها في عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م وهناك بدأ يدرس على يد شيوخ عصره، وتلقى عنهم الإجازة. وفي القاهرة حاز الزبيدي من العلم والشهرة ما لم يعرفه معاصريه. حيث عرفه كبار القوم وأغدقوا عليه عطاياهم تشجيعًا له وتقربًا إليه بعد ازدياد شهرته، مثل الأمير إسماعيل كتخدا عزبان وشيخ العرب همام بل الأمير محمد بك أبو الذهب الذي اشترى نسخة من قاموس الزبيدي الشهير "تاج العروس" بمائة ألف درهم ليضمه إلى خزانة الكتب في جامعه الشهير، وتوفي الزبيدي في عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م. انظر: محمد عفيفي: صورة مصر، السابق، ص٧٦.

(٢٢) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٧.

(٢٣) للشيخ النابلسي عدة مؤلفات منها "المقصود في وحدة الوجود" و"الفتح الرباني والفيض الرحماني" و"الرحلة القدسية". انظر: الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص٢٦٤.

(٢٤) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص ص٥٨٣، ٥٨٤.

(٢٥) نفسه، ص٥٨٤.

(٢٦) نفسه.

(٢٧) نفسه، ص٥٨٥.

(٢٨) نفسه.

(٢٩) نفسه، ص٥٨٦.

(٣٠) السيد سمير: المرجع السابق، ص ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٣١) الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٥.

(٣٢) السيد سمير: المرجع السابق، ص٢٦١.

(٣٣) نفس المرجع السابق، ص٢٦٩.

(٣٤) كارين أرمسترونج: المرجع السابق، ص٤٢٩.

(٣٥) علي السيد: المرجع السابق، ص٢٢.

(٣٦) مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص ص٤٤، ٤٥.

(٣٧) الجبرتي: المصدر السابق، ج٣، ص٤٥.

(٣٨) نفس المصدر، ص ص١٨٨، ١٨٩.

(٣٩) نفسه، ج٥، ص ص١٨٧، ١٨٨.

(٤٠) نفس المصدر، ج٦، ص ص٥٦٧، ٥٦٨.

(٤١) نفس المصدر، ج٤، ص ص٣١٥، ٣١٦.

(٤٢) السيد سمير: المرجع السابق، ص٨٦٦.

(٤٣) علي السيد: المرجع السابق، ص ص٢٢، ٢٣.

(٤٤) عبد اللطيف إبراهيم: دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣، ص٣٩ وما بعدها.

(45) Warren: The Survey of Western Palestine, London, 1884, pp. 30-31.

(٤٦) انظر: لوحة "٧".

(٤٧) علي السيد: المرجع السابق، ص٣٢.

(٤٨) نفسه، ص ص٣٣، ٣٤.

(٤٩) جمال كمال محمود: أوقاف دير مار يعقوب، المرجع السابق، ص٣٠٠.

(٥٠) نفسه، ص ص٣٠٠، ٣٠١.

(٥١) علي السيد: المرجع السابق، ص ص٣٢، ٣٣.

(٥٢) هوري عزازيان: الأرمن في فلسطين، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٣، مارس ٢٠٠١م، ص٩.

الفصل الخامس

الزيارة الدينية المسيحية "الحج" إلى القدس

لا شك في أن الزيارة الدينية لأتباع أي ديانة للأماكن المقدسة لها من أهم الأمنيات؛ حيث تشكل الزيارة واجبًا دينيًا للتكفير عن الخطايا والاستغفار للذنوب.

ومن المعلوم أن المزارات الدينية المسيحية متعددة في القدس، ويأتي على رأسها كنيسة القيامة، إلى جانب العديد من الأديرة والكنائس للطوائف المسيحية المختلفة.

وأبدت الدولة العثمانية قدرًا من التساهل في تعمير العديد من هذه المزارات، كما عملت على حل الخلافات الطائفية التي قامت على الأماكن المقدسة الدينية، فأبقت الوضع كما كان عليه منذ القدم؛ مما أدى إلى تثبيت حقوق تلك الطوائف، وإن لم تخل العلاقات بين هذه الطوائف وبعضها البعض من الخلاف على ملكية مزار ديني سواءً أكان ديرًا أم كنيسة، ولعل مشكلة دير السلطان بين الأقباط والأحباش خير مثال على ذلك، رغم امتلاك الأقباط الوثائق التي تؤكد امتلاكهم الدير.

وكانت الزيارة الدينية لنصارى مصر - سواءً أكانوا أقباطًا أم من الأرمن - ذات أثر مهم في تقوية أواصر العلاقة بين مصر والقدس.

ولم يثبت طريق الحج من مصر إلى القدس على حال واحد؛ فأحيانًا تأخذ القافلة الطريق البري، والتي تضطر لتركه أحيانًا حال تعرض هذا الطريق لهجمات البدو التي كانت تظهر من حين إلى آخر.

ولم تنج قافلة الحج الإسلامي إلى الحجاز من النهب من قبل البدو، طبقًا لما تشير إليه المصادر المعاصرة. وحتى تتجنب قافلة الزيارة المسيحية تلك الهجمات كانت تلجأ للطريق

البحري الذي تصحب فيه قوافل التجارة، وبحلول القرن التاسع عشر أصبح الطريق البحري أكثر أهمية نتيجة الاستقرار الأمني.

واهتم بعض كبار رجال الكنيسة بتسهيل رحلة الزيارة للقدس ببناء بعض الأبنية لإقامة الزائرين الأقباط في يافا، وحازت تلك المباني شهرة لجمالها، كما وفرت الكنيسة رجال الدين الذين يصطحبون قافلة الزيارة لتعليم الزائرين طقوسها.

ولم يكن أمن الزوار بعيدًا عن اهتمام الإدارة التي بذلت جهودًا للحفاظ على الأمن ومنع المشاحنات التي قد تنشأ بين الطوائف وبعضها البعض.

وكان الحج موردًا مهمًا للمزارات: حيث يدفع الزائرون أموالاً أثناء الإقامة فيها وأثناء القداس الديني، كما كانوا يحملون معهم بعض السلع لتغطية جزء من نفقات الرحلة، وفي نفس الوقت كانت الزيارة توفر فائضًا ماليًا لسكان القدس وما حولها يكفي حاجات السكان مدة طويلة.

ورغم ما قيل عن منع الزيارة إلى القدس فإنها لم تكن سوى حالات استثنائية، بدليل تعدد الزيارات التي كان البابوات على رأس بعضها؛ مما يؤكد أن القيود على الزيارة كانت وقتية.

- أهم المزارات الدينية المسيحية في القدس :

تعددت المزارات الدينية المسيحية في القدس، والتي تعد زيارتها من أهم أمنيات وأحلام المسيحيين بشكل عام. ومما يحفز النصارى بشكل عام على تلك الزيارة – الحج – هو القيام بواجب ديني، والتكفير عن خطاياهم وغفران ذنوبهم إلى جانب أن البعض منهم كان يحمل معه في الرحلة سلعًا يبيعها[1]؛ لكي تغطي نفقات تلك الرحلة المكلفة، أو حتى جزءًا منها.

وتأتي كنيسة القيامة على رأس المزارات المسيحية في القدس، وهناك خمس طوائف مسيحية لها حقوق في كنيسة القيامة، وهي: الروم الأرثوذكس، والآباء الفرنسيسكان (اللاتين)، والأرمن الأرثوذكس، والأقباط الأرثوذكس، والسريان الأرثوذكس.

وقد أسست الإمبراطورة هيلانة هذه الكنيسة عام ٣٢٥م، في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب[٢]، ولها قبتان كبيرتان: إحداهما أكبر من الأخرى قليلاً، وكبراها هي تلك الموجودة إلى الغرب، وهي القائمة فوق القبر المقدس، والأخرى تقع إلى الشرق، وتمثل قبة كنيسة نصف الدنيا، وطولها ثمانون مترًا، وعرضها ستة وستون مترًا، كما يوجد أمام كنيسة القيامة فناء واسع يعرف بـ"ساحة القيامة"، وفي المدخل الخارجي توجد ثلاث درجات عليها بقايا أعمدة المدخل القديم، ولم يتبق منها سوى عمود واحد يرجع تاريخه إلى القرن التاسع الميلادي[٣].

ويذكر الرحالة الشهير ناصر خسرو – الذي زار الكنيسة في العصر الفاطمي – أن لها مكانة عظيمة عند النصارى، ويحج إليها الكثيرون:" وهذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل وهي عظيمة الزخرف من الرخام الملون والنقوش والصور، وزينت بطلاء من الذهب وفي أماكن كثيرة منها صورة عيسى عليه السلام. وقد غطي سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف بحيث لا يحجب منها شيء، وذلك حتى لا يصل الغبار إليها، وينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم"، وينهي خسرو حديثه بالقول بأن هذه الكنيسة "ليس لها نظير في جهة من العالم"[٤].

واحتفظت كنيسة القيامة بمكانتها عبر العصور؛ ففي عصور مصر الإسلامية قدم العديد من الحكام التسهيلات لعمارة الكنائس بالقدس بشكل عام؛ مثلما حدث في عصر السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م)؛ حيث شاع في عهده نوع من التسامح تجاه المسيحيين في عمارة منشآتهم الدينية، وكذلك في عهد السلطان الناصر محمد[٥].

واستمرت تلك السياسة في العصر العثماني، ومما ساعد على استمرار تعمير كنيسة القيامة وغيرها من المزارات المسيحية: الأوقاف التي تم إيقافها على تلك المنشآت، والتي ظلت تدرّ ريعًا عليها[٦] من ناحية، واستمرار سياسة التسامح – في غالب الأحيان – من ناحية أخرى؛ حيث أبدت الدولة العثمانية قدرًا كبيرًا من التساهل في تعمير كنيسة القيامة مثلما حدث في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، عندما أصدر السلطان محمود الثاني فرمانًا بإعادة ترميم كنيسة القيامة؛ حيث شُكلت لجنة لإعادة تعمير الكنيسة وبنائها، وطلبت الدولة من

"المسلمين" التبرع لإعادة بناء الكنيسة، وعمل الدرويش شرابي في سكب ألواح الرصاص لإعادة بناء قبة كنيسة القيامة بأجر قدره عن كل أقة رصاص سبع قطع مصرية وكل يوم عشرة غروش[٧].

وإلى جانب كنيسة القيامة نجد كنيسة المجدلانية ودير السلطان، وهما من أملاك الأقباط في القدس[٨]. وكذلك دير مار جرجس للأقباط الراهبات، ويقع بالقرب من باب الخليل[٩].

ويُعد دير مار يعقوب الأرمني بالقدس من المزارات الدينية المهمة، ويقع بجوار قلعة داود قريبًا من حارة الأرمن، أو ما يعرف بالحي الأرمني[١٠].

ويعرف هذا الدير بدير "قطاين"، ويُعد من أكثر الأديرة جمالاً، ووصفه البعض بأنه "إحدى أوائل الكنائس في الأراضي المقدسة، وكان مزخرفاً بشكل ثري وبأسلوب شرقي، والأرضية مفروشة بالسجاد ومصابيح الذهب والفضة كانت تسطع في كل مكان، ومن أكثر الأديرة نظافة عن غيره من الأماكن" ووصفه آخر بأنه "البناء الوحيد الذي يقدم مظهرًا كبيرًا من الراحة، وواجهة المبنى المبنية بشكل محكم والشارع الممهد تظله أشجار عالية، والرهبان ذوو المظهر الجميل والمحترم حول ممراته، كل ذلك يعبق بالبساطة والثروة والنظافة النادرة في مدينة القدس". وكما رأينا "تعمير" كنيسة القيامة، نجد تعمير دير مار يعقوب الأرمني: فبعد أن قدم بطريرك الأرمن في القدس طلبًا لإعادة تعمير كنيسة حبس المسيح على جبل صهيون، أصدرت الدولة قرارًا بالموافقة على إعادة تعميرها "بناء على ذلك فإن الكنيسة وبعض المواضع في الدير الذي وجد فيه، وكذلك عدد من الغرف المخصصة لإقامة الراهبات قد آلت إلى الخراب، وأن الجهة الشرقية من الدير انهارت بينما انهار القسم الشمالي، وأنها تحتاج جميعها للتعمير.. صدرت موافقتنا السنية الملوكية بالتنفيذ"[١١].

وكان في هذا الدير كنيسة قديمة هدمها الفرس عام ٦١٤م، ثم أعيد بناؤها في أواسط القرن الثاني عشر، ويوجد بالدير كنيسة يعقوب الكبير، والتي شيدت في المكان الذي استشهد فيه، كما يوجد بالكنيسة قبر القديس مقاريوس القبطي بطريرك القدس الذي عاش في القرن الرابع الميلادي، وكان لتلك الكنيسة قبة قائمة على أربعة دعائم من جهة،

وعلى الجدران من جهة أخرى، وقد أزيلت تلك الأعمدة في عام ١٢١٩م، ولم يتبق منها سوى تيجانها المربعة والمغطاة بقطع من القيشاني الأزرق الفاخر[١٢].

وإلى الشرق من دير مار يعقوب نجد دير الزيتونة، وهو دير للراهبات الأرمنيات، ويوجد به كنيسة باسم الملائكة القديسين، يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي. وللأرمن كنيسة صغيرة تعرف باسم كنيسة حبس المسيح[١٣].

وعلى قمة جبل صهيون - أي خارج أسوار القدس - نجد كنيسة سان رسافيور، ويرجع تاريخ إنشائها إلى القرن الخامس الميلادي.

كما أن للأرمن كنيسة باسم المريمات – نسبة لمريم المجدلانية - ومريم أم يعقوب، وهي كنيسة صغيرة، إلى جانب كنيسة الجلجثة الثانية ومار يوحنا، وتقعان داخل ساحة القيامة، وأيضًا كنيسة قبر السيدة العذراء[١٤].

وعلى أية حال كانت تلك أهم الكنائس والأديرة التي كانت مزارات مهمة لنصارى مصر في العصر العثماني، سواء الأقباط أو الأرمن وهما محط اهتمامنا؛ لأننا نتناول علاقات "مصر بالقدس"، وبالتالي لا تقع الطوائف المسيحية الأخرى – وهي خارج مصر – في دائرة اهتمامنا.

وقد عملت الدولة العثمانية على حل الخلافات الطائفية التي قامت على الأماكن الدينية "على الشروط القديمة": أي يبقى الوضع على قدمه كما هو دون تعديل؛ حتى لا يضيع حق أي طائفة من الطوائف؛ فبعد أن وقع الخلاف بين الأرمن والروم الأرثوذكس على حق الأرمن بإجراء قدّاسهم الديني داخل القمامة – كنيسة القيامة – أصدرت الدولة العثمانية قرارًا بأحقية الأرمن بإجراء قدّاسهم "... وأنه يسير لطائفة الروم ولا لغيرهم من طوائف النصارى معارضة طائفة الأرمن وزوارهم، ولا من تبعهم من الحبش والسريان والقبط في إجراء قدّاسهم وعاداتهم في محلات زياراتهم واعتقاداتهم التي بأيديهم منذ قديم الزمان وسالف العصر والأوان، كما أقر لهم الملوك والسلاطين الماضون"[١٥].

ومن الجدير بالذكر الارتباط القوي بين أرمن مصر والمزارات الدينية بالقدس؛ حيث كان الفارتابيد الأرمني يأتي إلى مصر من القدس حيث دير مار يعقوب للأرمن.

وليس الأرمن فحسب هم الذين يرتبطون بهذا الدير، بل نجد كذلك أقباط مصر؛ حيث أرسل البابا بطرس الجاولي (١٨٠٩-١٨٥٢) إلى الأنبا تيدروس بطريرك الأرمن بدير مار يعقوب بالقدس، يظهر تكاتف الأقباط مع الأرمن في ترميم الدير بعد الحريق الذي شب فيه[١٦].

- الزيارة الدينية للقدس:

كانت الزيارة الدينية التي يقوم بها نصارى مصر إلى القدس مناسبة مهمة لتقوية العلاقات بين مصر والقدس، ويطلق على كل من يقوم بهذه الزيارة "المقدس".

وكان أقباط مصر يخرجون عادة إلى القدس في شكل قافلة ذات موكب، محملة بالمؤنة والزاد. وتخرج هذه القافلة من المطرية في ضواحي القاهرة، وتتجه شرقًا إلى الخانقاة السرياقوسية "الخانكة"، لتأخذ الدرب السلطاني عبر سيناء إلى العريش ثم غزة إلى الرملة، وأخيرًا إلى القدس.

وبالإضافة إلى المؤنة والزاد المصاحبة لقافلة الزيارة، كان يرسل أيضًا مؤنة أخرى إضافية عن طريق البحر. وتنقل هذه المؤنة من القاهرة إلى ميناء دمياط؛ حيث تنقل بالبحر إلى يافا، ومن هناك بالبر إلى القدس[١٧].

وفي بعض الأحيان يتمرد عربان الدرب السلطاني الممتد من مصر إلى غزة؛ كما حدث في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي؛ مما ترتب عليه قطع هذا الطريق، وهو بمثابة الطريق الرئيسي الذي يسلكه الأقباط في زياراتهم إلى القدس. وهنا يستطيع الأقباط الذين يتوقون إلى زيارة القدس أن يأخذوا طريق البحر إلى الشام مع سفن التجارة، أو يعرجوا إلى الطريق البري الشاق الممتد في جنوب سيناء عبر وادي التيه إلى فلسطين[١٨].

وفي القرن التاسع عشر ازدادت أهمية الطريق البحري إلى القدس بالمقارنة بالطريق البري، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى الاستقرار الأمني في شرق البحر المتوسط آنذاك، مع توقف أعمال القرصنة، فضلاً عن التطور في وسائل النقل البحري.

وتعتبر سيرة حياة الأنبا باسيلوس خير مصدر في هذا الشأن؛ فعلى الرغم من الاستقرار الأمني، وسهولة المواصلات في شرق البحر المتوسط، كانت هناك العديد من الأخطار والمتاعب في ميناء يافا؛ إذ عاب هذا الميناء وجود الشعاب الكثيرة، فضلاً عن بعد المسافة بين مرسى البواخر ورصيف الميناء؛ حيث يتم نقل الركاب من البواخر إلى أرض الميناء عن طريق زوارق صغيرة. وقد أخذ الأنبا باسيلوس على نفسه تسهيل كافة المشاكل لتأمين حياة الزوار الأقباط[١٩].

كما حرص الأنبا باسيلوس على شراء بعض الأراضي في يافا، وأقام عليها دارًا للمطران وكنيسة، وبعض الدور لإقامة الزائرين الأقباط فيها قبل انتقالهم إلى القدس. وقد اشتهرت المباني القبطية في يافا بروعة مبانيها وجمال حدائقها. وكانت تعرف عند مطلع القرن العشرين باسم "البيارة القبطية" نظرًا للحدائق حولها[٢٠].

وتجبى ضريبة من الحجاج القادمين إلى القدس عبر ميناء يافا لقاء حمايتهم في أثناء دخولهم مدينة القدس، وفي أثناء زيارتهم كنيسة القيامة؛ نصفها للدولة، والنصف الآخر للأشخاص الذين يرافقون الحجاج في طريقهم بين يافا والقدس[٢١].

ومن الجدير بالذكر أن بعض المصادر أشارت إلى الضرائب المفروضة على بعض الأديرة؛ فنجد أن دير مار يعقوب فرض عليه ٤٠,٠٠٠ قرش، وأديرة الأقباط فرض عليها ١٢,٠٠٠ قرش[٢٢].

ويشترط في الحجاج القادمين إلى القدس أن يكون معهم كاهن يعلمهم طقوس الحج، وكانوا في أثناء أدائهم مراسم الحج وطقوسه يرتدون الملابس البيضاء إظهارًا للرغبة في التطهر من الذنوب والخطايا[٢٣].

وكان الحجاج الأقباط يأتون إلى القدس لحضور احتفال "سبت النور"؛ حيث يعتقد النصارى بأنه في هذا اليوم تخرج من القبر المقدس الشعلة المقدسة إلى السماء، لذلك يحتشدون لإضاءة شموعهم "كان الحماس يشتد يوم السبت لمشاهدة المعجزة معجزة خروج الشعلة المقدسة من القبر المقدس إلى السماء، وفي ذلك اليوم يحتشد عدد كبير من الحجاج داخل الكنيسة، وبعد برهة وجيزة – طبقًا للمراجع – انبثق النور، فاندفع الحجاج بصورة جنونية ليضيئوا مشاعلهم أيضًا"[٢٤]. ويشترون الشموع التي تنتجها الأديرة لإضاءتها في احتفال سبت النور.

ويفد الحجاج إلى القدس قبل عيد الفصح للمشاركة في الاحتفالات والطقوس التي تقام، وذلك بزيارة القبر المقدس في كنيسة القيامة، وكنيسة صهيون، ودير مار يعقوب، وجبل الزيتون، وزيارة القرى المحيطة بالقدس؛ كقرية عين كارم موطن يوحنا المعمدان، وبيت لحم لزيارة كنيسة المهد، ومدينة الناصرة مكان ولادة السيدة مريم العذراء والمشاركة في احتفال سبت النور، والسير في درب الآلام[٢٥]، مع حضور بعض القداسات الدينية التي يقيمها رؤساء الدين لكل طائفة، ويذهب بعضهم إلى نهر الأردن حيث عُمِّد السيد المسيح عليه السلام، وبعد الانتهاء منه يعودون إلى أوطانهم تاركين أعدادًا هائلة من قطع الأقمشة ذات الألوان المختلفة معلقة على الأشجار أو الشبابيك في الأماكن المقدسة، وتقص من ثياب الحجاج ذكرى لمقدمهم إلى الأراضي المقدسة[٢٦].

وقد حرصت الدولة العثمانية على توفير الأمن للحجاج في أثناء الاحتفالات الدينية؛ حيث كان متصرف القدس يتخذ كافة الاحتياطات للحفاظ على الأمن ومنع المنازعات الطائفية بتوزيع الجنود في كافة أنحاء مدينة القدس وفي كنيسة القيامة. وقد أثنى رجال الدين والقنصل الفرنسي على تلك الجهود. وعند نهاية الاحتفالات يرفع رؤساء طوائف النصارى عرائض الشكر إلى الباب العالي مشيدين بالتدابير والإجراءات الأمنية التي اتخذها متصرف القدس، وأنه لم يحصل ما يعكر صفو الأمن[٢٧].

وشكل الحج موردًا مهمًا من موارد الكنائس والأديرة؛ فكان الحجاج ينزلون في الأديرة مقابل دفع الأموال، وكذلك عند دخولهم الكنائس وإجراء القداس الديني كانوا يدفعون الأموال للأديرة والكنائس[٢٨].

- الحج زيارة وتجارة:

كانت القدس هي الأرض المقدسة في عيون مسيحيي الشرق والغرب على السواء؛ ولذلك كانت تحقق اكتفاءها الذاتي من خلال موسم الحج المسيحي، الذي يمثل رواجًا وانتعاشًا اقتصاديًا لسكان المدينة وما جاورها من مدن؛ مثل بيت لحم والناصرة. وكان بالقاهرة سوق تباع فيه مستلزمات الحجاج سواء المسافرين إلى الحجاز أو القدس هو سوق "المحايرين"، وهو سوق بالقاهرة، ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحجاج، وعند سفر الناس إلى القدس[٢٩].

وفي القدس يشكل الحج لدى النصارى موسمًا تجاريًا؛ إذ تقام الأسواق قرب كنيسة القيامة، حيث الباحة الصغيرة الواقعة أمام مدخل الكنيسة، والتي تستخدم باستمرار كسوق صغيرة لمجموعة متنوعة من التحف التي يرجع بها الحجاج إلى أوطانهم، وهناك يعطونها إلى أسرهم وأصدقائهم الذين يعتبرونها هدايا قيمة ونفيسة؛ نظرًا لأن أي شيء يجيء من القدس يعتقدون أنه مقدس[٣٠].

وكان الحجاج النصارى أتباع الكنائس الأرثوذكسية واللاتينية والأرمنية والذين جاءوا من البلاد المجاورة كمصر وسوريا وغيرها؛ يحضرون معهم بضائع مختلفة لتمكنهم أرباحها من تسديد نفقات الزيارة.

وتنوعت البضائع التي تباع في موسم الحج؛ مثل الصدفيات التي تحمل شارات مسيحية؛ كرسم الصليب والمسابح والتحف الصغيرة المصنوعة من خشب الزيتون والبخور الذي يستخدم في المراسيم الدينية داخل الكنائس، وكانت هذه التجارة موردًا مهمًا للأديرة، كما استفاد النصارى من قدوم الحجاج لزيارة الأماكن المقدسة ماديًا.

وكانت العائلات تعيش على ما ينفقه الحجاج، فمنهم بائعو الشاي والسكر والخبز والجبن واللحوم، ويربحون الأموال الطائلة التي تكفيهم طيلة السفر. كما كان هناك ربح

لأصحاب العربات والخيل والبغال التي كانت تقدم ما يلزم لهذه الألوف من البشر من الغذاء والمؤن[٣١].

- الدولة وقافلة الحج المسيحي إلى القدس:

يذكر البعض أن الأقباط قد منعوا لعدة قرون من تأدية مناسك الزيارة إلى القدس، وكان هذا الحرمان مصدرًا دائمًا لتعاسة المتدينين منهم.

ويرد هؤلاء ذلك إلى الجبرتي المؤرخ الشهير الذي ذكر في تأريخه لحوادث عام ١١٦٦هـ/١٧٥٣م أن الأقباط " أرادوا الحج إلى بيت المقدس، وتوسط كبيرهم نوروز كاتب رضوان كتخدا لدى الشيخ عبد الله الشبراوي، وقدم له هدية وألف دينار، فكتب له فتوى وجوابًا يفيد بأن "أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم"، وما إن صدرت تلك الفتوى حتى بدأوا في تجهيز أمتعتهم، وخرجوا في أبهة ومعهم أطفالهم ونساؤهم، ومعهم "الطبول والزمور"، وأحضروا العربان لحراسة القافلة مقابل أموال "وخلع وإنعامات وكساوى"، وانتشر أمر قافلة الحج القبطي، فاستنكرها الناس خاصة الرشوة التي حصل عليها الشيخ الشبراوي، ومعنى ذلك أن الأقباط سيخرجون بعد ذلك في قافلة أكثر أبهة من قافلة الحج الإسلامي، وعلى حد قول الجبرتي "ويخرجون في العام القابل بأزيد من ذلك، ويصنعون لهم محملاً"، ويقال: "حج النصارى، وحج المسلمين، وتصير سنة عليك وزرها إلى يوم القيامة"، فما كان من الشيخ إلا أن خرج ،وأذن للعامة بنهب القافلة، وشارك العامة بعض مجاوري الأزهر بل ونهبوا كنيسة، ويعلق الجبرتي "وانعكس النصارى في هذا الحادث عكسة بليغة، وراحت عليهم، وذهب ما صرفوه وأنفقوه في الهباء"[٣٢].

ويشير مصدر آخر إلى أن البابا القبطي أراد زيارة القدس في عام ١٧٤٩م، فقدم رشوة "هدية" إلى أحد رجال الإدارة، ويدعى إبراهيم جاويش، حتى يصرح له بالسفر، ولم يكتف إبراهيم جاويش بذلك المبلغ، بل قرر على كل قبطي يريد السفر مبلغًا من المال، فثار شيوخ الأزهر على ذلك الوضع وأثارتهم العامة، ورفضهم لفكرة إقامة الأقباط موكبًا مشابهًا لقافلة الحج الإسلامي، وقد نقل بعض المؤرخين الأقباط والأجانب رواية الجبرتي، واستندوا إليها، وعمموها؛ في الوقت الذي تشير الوثائق القبطية ذاتها إلى زيارة "البابا

مرقس٩٨" إلى القدس، وكذلك تهيؤ الأقباط لزيارة القدس عام ١٦٤٦م بصحبة "البابا متاوس١٠٠"، لكن موت البابا حال دون إتمامها[٣٣].

وتذكر المصادر القبطية نفسها خروج أكبر موكب قبطي لزيارة القدس، على رأسه "البابا يوحنا ١٠٣" والعديد من رجال الكنيسة وكبار رجال الأقباط وغيرهم من عامة الأقباط، بل وأخذت الزيارة شكل القافلة؛ يحرسها العربان في الطريق، وتحمل المؤنة والماء. وخرجت جموع الأقباط لتوديع قافلتهم في طريقها إلى القدس. وكان منظر الحشد مهيبًا، حتى أن كاتب المخطوطة القبطي يصف ذلك قائلاً "لا يحصي عددهم إلا الله وحده الذي خلقهم"[٣٤].

وعلى ذلك فالقيود على القافلة القبطية لزيارة القدس كانت وقتية أكثر منها سياسة دائمة. وكان خوف العلماء المسلمين من التشابه بين قافلة الحج الإسلامي المصري، وقافلة زيارة الأقباط للقدس قد ساعد على تأزيم الموقف، كما أن بعض قوافل الزيارة القبطية تشابهت مع قافلة الحج المصري، ويُرجع محمد عفيفي عدم وصول القافلة القبطية لحجم الإسلامية للاختلاف في العدد بين الأقباط والمسلمين[٣٥].

وعلى كلٍ يمكن أن نستنتج من العرض السابق تعدد المزارات الدينية المسيحية في القدس؛ مثل كنيسة القيامة، ودير مار يعقوب، ودير الزيتونة، وغيرها.

وقد عملت الدولة العثمانية على حل الخلافات الطائفية التي كانت تحدث على الأماكن الدينية بالرجوع إلى ما كان عليه الحال منذ القدم، وهو ما أتاح لأهل الملل المختلفة زيارة الأماكن المقدسة في القدس.

وكانت الزيارة الدينية للقدس واحدة من أهم الروابط التي ربطت مصر بالقدس. وكانت تلك الزيارة تأخذ شكل القافلة التي تأخذ الدرب السلطاني عبر سيناء، ثم محطات الرحلة إلى القدس، حاملة معها المؤنة والزاد، ويتغير الطريق كنتيجة مباشرة لهجمات البدو على الدرب السلطاني؛ مما يؤدي إلى أن يسلك الأقباط الطريق البحري.

وقد حرص رجال الدين الأقباط على تهيئة الظروف لسفر قوافل الزيارة للأراضي المقدسة، وحل المشكلات التي تواجه الأقباط.

وكانت الدولة – في القدس – تجبي بعض الضرائب من الحجاج. كما كان من أهم شروط إتمام الزيارة وجود كاهن مع الزوار يعلمهم طقوس الحج وأداء مناسكه.

واهتمت الدولة العثمانية بتوفير الأمن للحجاج أثناء الاحتفالات الدينية، باتخاذ كافة الاحتياطات الأمنية بنشر الجنود في أنحاء القدس؛ مما يؤدي لإتمام الزيارة في أمان، وهو ما كان محل استحسان النصارى بعامة، وهو ما أدى في كثير من الأحيان للثناء على رجال الإدارة العثمانية من جانب رجال الدين والقناصل الأوربيين.

وكان الحج زيارة، وفي نفس الوقت تجارة؛ حيث شكل موردًا لسكان القدس من ناحية، وكان يدر أرباحًا على الزوار الذين يحملون معهم البضائع لتغطية نفقات الرحلة من ناحية أخرى.

غير أن قافلة الحج كانت تتعرض – في بعض الأحيان – للتوقف أو حتى النهب من قبل العامة، ولكنها كانت أحداثًا وقتية بدليل إشارة المصادر القبطية نفسها للعديد من قوافل الزيارة التي تنمّ عن غنى مادي ووفرة في أعداد الزوار.

هوامش الفصل الخامس

(١) ألكسندر وليم كنغليك: رحلة كنغليك إلى المشرق ١٨٣٤-١٨٣٥، ترجمة: محمود عابدين، عمان ١٩٧١، ص٩٠.

(٢) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٧٩.

(٣) ماجد عزت: الأبعاد الثقافية، المرجع السابق، ص٢٥٤.

(٤) ناصر خسرو: المرجع السابق، ص٨٩.

(٥) علاء طه رزق: المرجع السابق، ص ص٢٨، ٢٩.

(٦) محكمة الصالحية النجمية: س٤٨١، ص١٢، م٢٤، ١٢ ذو القعدة ١٠١٦هـ/٢٨ فبراير ١٦٠٨م؛ الباب العالي: س٢٧٥، ص٢، م١، ٢٢ جمادي الأولى ١١٨٤هـ/١٤ سبتمبر ١٧٧٠م. انظر: ملحق "٥، ١٠، ١٨"، لوحة "٧".

(٧) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص ص٣٧٠، ٣٧١.

(٨) انظر: الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٩) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٨٥.

(١٠) ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١م، ص٢١٢، Poladian, op. cit., p. 13.

(١١) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص ص٣٧١، ٣٨٣.

(١٢) ماجد عزت: المرجع السابق، ص ص٢٥٢، ٢٥٣. وللمزيد من المعلومات عن الدير، انظر: جمال كمال محمود: أوقاف دير مار يعقوب: المرجع السابق، ص ص٢٨٣-٣١٥.

(١٣) عارف باشا العارف: المرجع السابق، ص ص٢٥١، ٢٥٢؛ أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٨٤.

(١٤) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٨٤.

(١٥) نفسه، ص٤٤٢.

(١٦) مجدي جرجس: المرجع السابق، ص ص٧٣، ٨١.

(١٧) محمد عفيفي: الوجود القبطي، المرجع السابق، ص١٥٧.

(١٨) نفسه، الأقباط في مصر، المرجع السابق، ص٦٧.

(١٩) نفسه، الوجود القبطي، المرجع السابق، ص ص١٥٧، ١٥٨.

(٢٠) نفسه، ص١٥٨.

(٢١) عارف باشا العارف: المرجع السابق، ص ص١٢٦، ١٢٧.

(٢٢) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٤٣.

(٢٣) الأمير رودلف: المصدر السابق، ج٣، ص ص٥٢، ٥٣.

(٢٤) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٢٥) هو الدرب الذي يعتقد النصارى بأن المسيح سلكها حاملاً صليبه يوم ساقه الرومان للصلب، وهو عبارة عن أحد عشر مرحلة تسع خارج كنيسة القيامة وخمس داخلها، انظر: نصارى القدس، ص٤٢٤.

(٢٦) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص٤٢٥.

(٢٧) عبد العزيز محمد عوض: نصارى القدس وتوابعها في أواخر العهد العثماني، مجلة القدس الشريف، العدد ٢١، ديسمبر ١٩٨٦م، ص٦٥.

(٢٨) الأمير رودلف: المصدر السابق، ج٣، ص ص٥٣، ٥٤.

(٢٩) علاء طه: المرجع السابق، ص٣٥.

(٣٠) أحمد حامد إبراهيم: المرجع السابق، ص ص٣٢٠، ٣٢١.

(٣١) نفسه، ص٣٢١.

(٣٢) الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص ص٣١٨، ٣١٩.

(٣٣) محمد عفيفي: الأقباط، المرجع السابق، ص ص٦٦، ٦٧.

(٣٤) نفسه، ص٦٧.

(٣٥) نفسه، ص٦٨.

الفصل السادس

القدس في الأوقاف المصرية

حظي القدس الشريف بنصيب كبير من الأوقاف المصرية في العصر العثماني، وكان ذلك امتدادًا لما كانت عليه الأوقاف في عصر سلاطين المماليك وما قبله. وقد تنوعت تلك الأوقاف: فكان منها الأوقاف الإسلامية والمسيحية.

وقد أولى السلطان سليم الأوقاف بشكل عام اهتمامًا كبيرًا؛ نظرًا لعظم حجم تلك الأوقاف، ولم يلغ تلك الأوقاف، بل حافظ عليها، واهتم بتنظيمها والإشراف عليها بعد التأكد من صحتها.

وتأكيدًا لمكانة القدس والأماكن المقدسة الإسلامية فيه في نفوس المسلمين نجد استمرار الأوقاف التي كانت موقوفة عليه قبل العصر العثماني، بل زادت تلك الأوقاف، ووجهت إلى المسجد الأقصى والفقراء والمساكين بالقدس، كما لم تغفل تلك الأوقاف مقام سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالخليل؛ حيث كان محل اهتمام بعض الواقفين حتى في صعيد مصر.

ولا ننسى في هذا المقام أن القدس لم يكن المكان المقدس الوحيد للمسلمين، بل نجد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، واللذين حظيا بالطبع بنصيب الأسد من الأوقاف الإسلامية المصرية.

وكما كان القدس موضع اهتمام المسلمين في مصر؛ فقد كانت الأماكن المقدسة المسيحية محل اهتمام أقباط مصر، الذين أوقفوا الكثير من وقفياتهم على كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والأديرة الخاصة بهم وبغيرهم من أهل المذاهب الدينية الأخرى.

وتنوعت أيضًا تلك الأوقاف من أراضٍ زراعية وعقارات سكنية، وساهمت أغلب فئات الأقباط في تلك الأوقاف خاصة الطبقة الوسطى، وكانت الأوقاف القبطية محل اهتمام البطريرك القبطي رأس الكنيسة المصرية وبطريرك الكرازة المرقسية وكبار الكهنة وبعض العلمانيين كذلك.

وأولى الأرمن - كطائفة مسيحية في مصر - الأماكن المقدسة بالقدس اهتمامًا كبيرًا، خاصة لتبعية مطرانية الأرمن المصرية للبطريركية الأرمنية بالقدس الشريف، وكذلك لوجود الحي الأرمني بالقدس.

واحتل دير مار يعقوب المرتبة الأولى من بين الأوقاف الأرمنية في مصر؛ حيث كانت أغلب أوقاف الأرمن في مصر موجهة لذلك الدير بالذات، ولم تغفل الأوقاف الأرمنية الأماكن المقدسة الأخرى: مثل كنيسة القيامة ودير مار فرنسيس، بل نال مقام سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- بعض الاهتمام من جانب بعض الواقفين؛ حيث وُجه ريع بعض الأوقاف للإنفاق على مصالح ذلك المقام، الذي كان محل اهتمام بعض الواقفين من المسلمين والنصارى على حد سواء، ولا ريب في أهمية تلك الأوقاف في تقوية الروابط والعلاقات بين مصر والقدس.

- الدولة العثمانية وأراضي الأوقاف المصرية:

بانتصار السلطان العثماني سليم الأول على السلطان المملوكي طومانباي في معركة الريدانية ٩٢٣هـ/١٥١٧م، شرع في تنظيم شئون مصر قبل العودة إلى إستانبول، فأنعم على خاير بك بحكم مصر، وكان هدف السلطان أن يضمن ولاء مصر لحكمه. ويتوافق تعيين خايربك مع السياسة التقليدية للدولة العثمانية في الاستعانة بالحكام المحليين الموالين لها، ثم توطيد السلطة العثمانية بالتدريج بعد ذلك.

وتطبيقًا لهذه السياسة حاول السلطان الاستفادة من النظام الذي كان سائدًا في البلاد والقوانين التي كان معمولاً بها زمن سلاطين المماليك[١].

ولما كانت مصر بلدًا زراعيًا في المقام الأول؛ فكان هدف العثمانيين هو الإشراف على تنظيم هذه الأرض والاحتفاظ بحق حيازتها، ولذلك أمر سليم دفترداره[٢] بالعمل على مسح

– قياس – الأراضي الزراعية. وبذل العثمانيون جهودًا كبيرة في العثور على دفاتر تاربع الجراكسة – التي سُجل بها مساحة الأرض الزراعية والمنتفعون بها، وتم العثور على هذه الدفاتر والبحث عن بقيتها[٣].

والأوقاف ظاهرة عرفتها المجتمعات التقليدية في صور شتى، والوقف هو "حبس العين والتصدق بالمنفعة": أي أن الأصل في الوقف ألا يباع، ويتم التصدق بريع العين الموقوفة سواءً أكانت أطيانًا أم عقارات سكنية أم حوانيت أم غير ذلك.

وقد واجه السلطان سليم عظم حجم الأوقاف المصرية، وما يترتب على ذلك من إخلال بموارد الخزينة السلطانية؛ حيث إن أراضي الوقف بصفة عامة لا تخضع للخراج، أو ما كان يسمى آنذاك بالميري، وتشير بعض المصادر إلى أن الأوقاف كانت تمثل ٤٠% من جملة أراضي مصر الزراعية، ويشير مصدر آخر إلى أن السلطان سليم " لما دخل مصر واستولى عليها نظر في بيوت المال ومصارفها، فوجد المرصد – أي الموقوف – على الخيرات والقربات والمساجد والمدارس والرباطات نحو ثلثي المال والباقي وهو الثلث للخزينة"[٤]. وتشير وثائق الالتزام إلى الكثير من القرى الموقوفة بكاملها[٥].

وفي دراسة عن صعيد مصر ثبت بالإحصاء–ومن خلال الوثائق– أن قرى الأوقاف بلغت ٢٤٧ قرية، في حين بلغت قرى الخراج ٢٣٧ قرية؛ أي أن نسبة قرى الأوقاف كانت ٥١%، وبعبارة أوضح انتظمت قرى الأوقاف أكثر من نصف أراضي صعيد مصر الزراعية[٦].

وقد أصدر السلطان سليم في ٢٤ ربيع الآخر ٩٢٣هـ/١٥١٧م "مرسوم شريف" إلى "الكشاف والمباشرين وولاة الأمور والشادين..." بعدم التعرض لجهات أوقاف الجوامع والمدارس والمساجد والزوايا والربط والمعابد وأنواع البر والقربات وجهات الخير والصدقات، وحتى الأوقاف الأهلية ليس هناك ما يدل على أن سليم قد تعرض لها، بل الأغلب أنه ترك أمرها بيد ذويها من نظارها وريعها لمستحقيها، بعد الكشف عليها وإثبات صحة الوقف، ولا أدل على ذلك من إبقاء السلطان سليم لأوقاف السلطان الغوري والمحافظة عليها[٧].

وهكذا تم ضبط الأوقاف من جانب الدولة ومعرفة مستحقيها والإبقاء عليها في حالة ثبوت صحة الوقف.

وسنحاول التعرض للأوقاف الإسلامية على القدس، ثم الأوقاف المسيحية؛ قبطية وأرمنية.

- **الأوقاف الإسلامية المصرية على القدس:**

رأينا عدم تعرض الدولة العثمانية للأوقاف، حتى أوقاف السلطان الغوري نفسه.

وقد أضاف العثمانيون إلى أوقاف القدس الكثير من الأوقاف، وما يهمنا هو الأوقاف المصرية داخلها أو خارجها، بمعنى أن هناك العديد من الوثائق تتعلق بأوقاف مصريين يقيمون في مصر، ولكنهم يوقفون الكثير من أوقافهم وأملاكهم لحساب أوقاف القدس الرئيسية، وقد نجد بعض هذه الأوقاف التي تجري عائداتها في مصر – جغرافيًا – غير أننا نجد الغالب منها أنها مصرية التملك ثم إنها تقع – جغرافيًا – في دائرة القدس وأوقافها[٨].

ويؤكد الجبرتي على أوقاف بيت المقدس بقوله: "كان لبيت المقدس أوقاف أوقفوها وأرصدوها ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد ونفقات أهل الحرمين، وبيت أهل المقدس، وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل"[٩]، وهنا يؤكد الجبرتي استمرار هذه الأوقاف في نهايات القرن الثامن عشر.

وترجع بعض هذه الأوقاف لعصر سلاطين المماليك؛ حيث نجد وقفًا بالقاهرة يخصص ريعه لقراءة القرآن الكريم، وعلى فقراء الحرم القدسي أوقفه أقبعا بن عبد الله الأوحدي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م[١٠].

ونجد إقرار الشيخ شهاب الدين محمد إمام مقام إبراهيم الخليل بوكالته عن المقيمين بوقف سيدنا إبراهيم خليل الرحمن بالقدس الشريف لجهة الوقف؛ بأنه قبض استحقاقهم من الوقف عن سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢-١٥٥٣م، ومقداره مائة وأربعون دينارًا ذهبًا سلطانيًا[١١].

وتم إقرار الشيخ جمال الدين بن عبد الرحيم التميمي الخليلي في وظيفة النظر على وقف ناحية بالقليوبية على زاوية بالقدس الشريف عوضًا عن آخر بحكم فراغه – أي تنازله – عن نظارة الوقف، وكان ذلك سنة ٩٩٣هـ/١٥٨٥م[١٢].

وتم إيقاف قرية بصعيد مصر على مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانت في التزام مجموعة من نساء الصفوة العسكرية، ومعهن أحد العسكريين[١٣].

وأقرّ القاضي مجموعة من المشايخ المقدسيين في قراءة سبع قراءات بوقف المرحوم عبد القوي القاضي بالقدس الشريف بناءً على قرار محمد أفندي نائب القدس الشريف[١٤]، وهنا القرار لنائب القدس، والوقف بمصر؛ مما يؤكد على العلاقات بينهما.

وأقرّ قاضي القضاة أحد الأشراف في قراءة المصحف الشريف بالمسجد الأقصى بالقدس الشريف، وهو وقف الشيخ الدمرداشي الخلوتي عوضًا عن الشريف رمضان الحسيني لفراغه عن ذلك[١٥].

كما تم إقرار السيد الشريف محمد أفندي قيم باشا بالقدس الشريف في وظيفة قراءتين ونصف قراءة[١٦] بحرم بيت المقدس[١٧]، وفي ثلث قراءة تقرأ بحرم إبراهيم الخليل عليه السلام عوضًا عن آخر بحكم فراغه[١٨].

وهكذا تعددت الأوقاف الإسلامية في مصر على القدس الشريف ومقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. وليس هذا حصرًا للأوقاف الإسلامية على القدس، ولكن أمثلة لها مع الأخذ في الاعتبار الأوقاف الإسلامية الكثيرة الموجهة إلى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

- **الأوقاف القبطية على القدس:**

نتج عن وجود كنائس وأديرة قبطية في القدس، ونتيجة للوازع الديني، إلى جانب الطبيعة الدينية والاجتماعية لنظام الوقف؛ أن حفلت الوثائق بالعديد من حجج الأوقاف القبطية المرصدة على القدس، ولم يكن الوقف على الأماكن المقدسة في القدس مقصورًا على أثرياء الأقباط، بل كانت معظم الأوقاف القبطية على القدس مرصدة من جانب الطبقة الوسطى.

من هنا نجد العديد من حجج الوقف القبطي القبطي التي تشتمل على وقف عقارات صغيرة، أو حتى على جزء من عقار، وهي ظاهرة واضحة في الأوقاف القبطية[١٩].

وقد تعددت الأوقاف القبطية على القدس، خاصة على كنيسة القيامة[٢٠]؛ فعلى سبيل المثال أوقف عبد المسيح بن سليمان اليعقوبي المعروف بابن دميج عقارًا بخط شق الثعبان بالقاهرة داخل خوخة[٢١]، ويشتمل العقار على "أروقة وقاعات وطباق وبئر ماء مُعْين ومنافع وحقوق، وهذا الوقف على الواقف ثم على ذريته ومن بعدهم على فقراء النصارى اليعاقبة والمساكين الواردين على كنيسة القيامة بالقدس"[٢٢]، وهذا يوضح مكانة الأماكن المقدسة بالقدس الشريف في نفوس الأقباط.

وأوقف أحد الأقباط عقارًا بحارة القنصل بالقرب من مقام الشيخ الرملي على دير القمامة؛ أي دير كنيسة القيامة، وكان ثمن ذلك العقار ٤٠٠ ريال حجر بطاقة[٢٣].

ووجدنا وقفًا عبارة عن عقارات بالمحلة الكبرى ودمياط موقوفًا على "دير القيامة" بالقدس الشريف[٢٤]، ووقفًا بالقاهرة على "دير القيامة" كذلك[٢٥].

والواضح أن هذه الأوقاف بعضها مرصد على الواقف، ثم على ذريته، وفي حالة انقطاع الذرية يؤول الوقف إلى الأماكن المقدسة بالقدس الشريف، وبعضها على بعض الأديرة في مصر؛ مثل "دير أنطونيوس بالجبل الشرقي بالوجه القبلي". أو كنائس مثل "كنيسة مصر القديمة المعروفة ببابليون". ثم على القدس في حالة تعذر الصرف على الكنائس والأديرة في مصر[٢٦]. ووجدت بعض الأوقاف المرصدة على القدس مباشرة[٢٧].

وفيما يتعلق بإدارة الأوقاف القبطية المرصدة على القدس نجد أن البابا القبطي في القاهرة يقوم بالإشراف عليها "مرقص ولد عبد المسيح ولد رفاييل النصراني اليعقوبي بترك النصارى اليعاقبة الناظر الشرعي على دير القمامة بالقدس الشريف"[٢٨]، وأحيانًا ينوب عن البابا أحد الأساقفة " وكَّل وأناب مناب نفسه عبد المسيح ولد ميخائيل النصراني الأسقف في استخلاص ما هو متجمد من أجرة أماكن الوقف"[٢٩]، وينوب عنه أحيانًا المطران القبطي في القدس.

ونجد "تقليد" صادر من البطريرك القبطي برسامة مطران الكرسي الأورشليمي، وتحديد مهامه وواجباته على أن يكون "رئيسًا بالقيامة المعظمة والأماكن المقدسة... والبيع والديور داخل القيامة المعظمة وخارجها المختصة بجماعة النصارى طائفة القبط بمدينة القدس الشريف" ومن مهامه التحدث والنظر على موجود القيامة المقدسة والأماكن المقدسة وعلى وقوفاتها "الأوقاف" وتعلقاتها الداخلة فيها والخارجة عنها، وعليه حفظ ذلك وصونه وجمعه وحوزه كما يجب"[٣٠].

واستعان الأقباط أحيانًا ببعض كبار الموظفين السريان في القدس لرعاية الأوقاف القبطية والشئون المدنية لطائفة الأقباط هناك؛ فعلى سبيل المثال في عام ١٧٠٣م كان "المعلم إسحق القدسي السرياني ابن المعلم سالم الوكيل عن طائفة الأقباط بالقدس الشريف المباشر بخدمة الديوان بالقدس الشريف"، وعندما عزله متولي القدس أرسل المطران القبطي في القدس إلى البابا في القاهرة ليخبره بذلك، وبضرورة اختيار وكيل جديد، لكن هذا الوضع سيتغير إلى حد ما في القرن التاسع عشر، لاسيما مع حملة محمد علي على الشام؛ إذ سيتولى الأقباط بأنفسهم – غالبًا – رعاية الأوقاف والممتلكات القبطية في القدس، والوكالة عنها أمام ولاة الأمور، لاسيما مع تولي بعض الأقباط وظائف إدارية في القدس، وازدياد استقرار بعض الأقباط في المدينة[٣١].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر قام الأنبا باسيليوس مطران القدس بتنظيم أوضاع الأوقاف القبطية، وكان الدافع الأكبر وراء هذا الأمر اندلاع مشكلة دير السلطان[٣٢] والصراع بين الأقباط والأحباش عليه. وكان هذا الصراع سببًا في إعادة تنظيم الأوقاف القبطية في القدس في مطلع القرن العشرين؛ حيث تجددت المشكلة في عام

١٩٠٨م، مما دفع البطريرك كيرلس الخامس إلى تشكيل "وفد قبطي" من بعض المحامين بالإضافة إلى مراقب البطريكخانة للسفر إلى القدس للنظر في أمر الأوقاف القبطية في القدس[٣٣].

وعلى أية حال تحسنت أوضاع الأقباط بشكل عام في عصر محمد علي، وكذلك عندما نجح البطاركة والمطارنة في تحسين علاقاتهم بالإدارة سواء في القدس أو مصر.

- الأوقاف الأرمنية في مصر على القدس:

ارتبط الأرمن في مصر بالقدس ارتباطًا كبيرًا، ويرجع ذلك إلى وجود الحي الأرمني القدس الذي يرجع البعض نشأته إلى القرن الرابع الميلادي، ثم أسس الأرمن العديد من الأديرة بالقدس، كان من أهمها دير القديس يعقوب الأرمني، وهو دير ضخم يمتد من القشلة بباب الخليل حتى باب داود أو باب صهيون، وقد بني هذا الدير سنة ١١٦٥م[٣٤] ، وتبلغ مساحته (١٥٠,٠٠٠) متر مربع، ويقع في حارة الأرمن التي تقع على يمينها بساتين البطريركية الأرمنية، وعن شمالها مقري مدير الدير والبطريرك، ويوجد بالدير كنيسة يعقوب الكبير التي شيدت في مكان استشهاده، وهي ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي[٣٥].

وهذا الدير هو نفسه مقر البطريركية الأرمنية بالقدس التي اتخذت منه مقرًا لها؛ حيث يعتبر القديس يعقوب مؤسس أول كرمي أرمني في مدينة القدس.

وقد لعب البطاركة الأرمن دورًا مهمًا في الحفاظ على الوجود الأرمني بالقدس الشريف.

وفي العصر الأيوبي، وعندما فتح صلاح الدين القدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م: أعطى الأرمن امتيازات خاصة، وحافظ على كل حقوقهم في الأراضي المقدسة[٣٦].

وقد ظل الأرمن يعيشون في حيهم الخاص في سلام، وقامت بينهم وبين الحكام علاقات طيبة على مر العصور.

وفي العصر العثماني أصدر السلطان سليم الأول مرسومًا أكد فيه احترامه المراسيم الصادرة من الحكام السابقين، وأعطى هذا المرسوم ضمانًا لسلامة الممتلكات الأرمنية

داخل القدس وخارجه، كما أكد على عدم التعرض للأرمن وحريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية، وكذلك منع التعرض لأديرة ومقدسات الأرمن[٣٧].

واستمر ذلك الوضع، حتى عندما اشتد الخلاف بين الطوائف الرئيسية الثلاث في القدس؛ وهم الروم الأرثوذكس، والأرمن الأرثوذكس، واللاتين بسبب محاولات الروم منع الأرمن من الوصول إلى مواقعهم في كنيسة القيامة وفي بيت لحم وقبر السيدة مريم العذراء، وأصدر سليمان باشا والي دمشق وصيدا وطرابلس - والمسئول عن سنجق القدس- مرسومًا بتاريخ ١٢٢٩هـ/١٨١٣م يؤيد حقوق الأرمن التي تم إقرارها لهم منذ أيام السلطان سليم، والتي تؤكد على "ألا يتعرض لهم أحد بوجه من الوجوه"[٣٨].

وأصدر السلطان العثماني عبد المجيد فرمانًا في عام ١٨٥٢م يؤكد "الوضع القائم"؛ أي بقاء الوضع على ما هو عليه، في الأماكن المقدسة والذي يحدد وينظم ويحافظ على حقوق الملكية في الأماكن المقدسة دون تغيير، والتي منحت للطوائف المسيحية الثلاث؛ مما جعل الكنيسة الأرمنية بالقدس - على الرغم من صغر حجمها نسبيًا- على قدم المساواة مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية اليونانية[٣٩].

وهذا يؤكد أصالة الوجود الأرمني بالقدس، والذي يحافظ على هذا الوجود هو البطريركية الأرمنية، والتي تقع في دير القديس يعقوب.

ولما كان القدس ذا مكانة كبيرة في نفوس المسيحيين - ومنهم الأرمن - فقد اهتم الأرمن ببطريركيتهم الكائنة بالقدس، وأوقفوا العديد من الأوقاف على ذلك الدير وغيره.

وقد اهتم الأرمن بالوقف اهتمامًا كبيرًا، والدليل على ذلك كم الأوقاف التي قاموا بإيقافها على مصالح دير مار يعقوب الأرمني بالقدس الشريف، والتي تنوعت من عقارات للسكن وحوانيت للتجارة والحرف المختلفة التي برع فيها الكثير من الأرمن[٤٠].

- **التوزيع الجغرافي للأوقاف الأرمنية في مصر:**

تركزت أغلب الأوقاف الأرمنية الموقوفة على دير مار يعقوب في منطقة "درب الأرمن"[٤١] أو "درب الجنينة" كما تذكره الوثائق أحيانًا[٤٢].

وينسب درب الجنينة لأحد الأرمن "درب الجنينة المعروف بالأرمني سودون"[٤٣]، ويمر درب الأرمن بمنطقة الموسكي، وميدان الغلة، وحارة الشيخ الرملي، وتعد منطقة درب الأرمن أهم مناطق تركز الأوقاف الأرمنية، والتي انتشرت فيها العقارات التي أوقفها الأرمن، والتي كان أغلبها موقوفًا على دير مار يعقوب الأرمني، ونسبة قليلة منها موقوفة على دير مار فرنسيس ودير القيامة بالقدس الشريف كذلك[٤٤].

وقد قمنا بعمل إحصاء عن تلك الأوقاف من خلال الوثائق التي اطلعنا عليها، فوجدنا أنها ثلاثون وقفًا؛ القليل منها عبارة عن حصة في وقف نصف أو ثلث الوقف، وأحيانًا ثمن الوقف، وهذه الأوقاف إما عقارات للسكن وإما محلات تجارية، وأحيانًا أرض فضاء.

وعند تصنيف هذه الأوقاف جغرافيًا وجدنا عشرة أوقاف منها تقع في درب الجنينة؛ ثمانية منها تشمل كل العقار، واثنان يشملان نصف العقار[٤٥].

وجاء ميدان الغلة[٤٦] في الترتيب الثاني؛ حيث رصدت الوثائق سبعة أوقاف فيه؛ خمسة منها العقار بكامله[٤٧]، وعقار تم وقف نصفه[٤٨]، والعقار الأخير كان الوقف ثلث مساحته[٤٩].

وكانت منطقة الموسكي ثالث المناطق التي تركزت فيها أوقاف دير مار يعقوب؛ حيث عثرنا على سبعة أوقاف فيها، وكان الوقف يشمل كامل المكان[٥٠].

وكان نصيب حارة الشيخ الرملي – تقع بالقرب من ميدان الغلة- ثلاثة أوقاف؛ واحد منها العقار بكامله[٥١] والوقفان الآخران نصف العقار[٥٢].

ووقف واحد يشمل كامل العقار، ويقع في حارة التركماني المطلة على الخليج الحاكمي بالقرب من الموسكي[٥٣]. وأشارت الوثائق لوقف واحد يشمل عقارًا كاملاً في "حارة الإفرنج البنادقة بجوار منزل قنصل البنادقة"[٥٤].

أما حارة اليهود[٥٥] فقد وجدنا فيها وقفًا واحدًا، وهو عقار بكامله، وهذا يؤكد انفتاح الأرمن على كافة الطوائف في ذلك العصر بما فيهم اليهود وامتلاكهم أوقاف داخل حارة اليهود[٥٦]، كما أن هذا الوقف له خصوصية، وهي أن الواقف "المعلم درويش بن خشادور"

أوقفه مباشرة على "مصالح دير مار يعقوب الأرمني بالقدس الشريف"[٥٧]، وكانت معظم الأوقاف يوقفها الواقف على نفسه، ثم من بعده على ذريته، وبعد انقراض الذرية يؤول الوقف للدير.

أما الوقف الثلاثون والأخير فلم يحدد جغرافيًا، وكان عقارًا كاملاً، وأشارت إليه الوثيقة بـ"جميع المكان المعروف سابقًا بسكن الخواجا بلدوين الإفرنجي الإنجليزي"[٥٨].

- فئات الواقفين:

تنوعت فئات الواقفين الذين أوقفوا وقفياتهم على دير مار يعقوب الأرمني؛ فمن بين الوثائق الثلاثين التي عرضنا لها في التوزيع الجغرافي للأوقاف أمكننا رصد أربعة عشر واقفًا فقط، والباقي لم تشر الوثائق للواقفين؛ حيث كانت الوثائق تتحدث عن إيجار وإبدال لهذه الأوقاف يقوم بها نظارها الذين آلت إليهم نظارتها بعد وفاة الواقفين أو انقراض ذرياتهم.

وعند تصنيفنا هذه الأوقاف الأربعة عشرة من حيث فئات الواقفين وجدنا الآتي: خمسة أوقاف لنساء أرمنيات: الوقف الأول أوقفته أرمنية تدعى "زاباط" ابنة خشادور، وكان عقارًا كاملاً بميدان الغلة، أوقفته "على نفسها أيام حياتها تنتفع بذلك بما تشاء سكنًا وإسكانًا وساير وجوه الانتفاعات الشرعية" طوال حياتها، وبعد وفاتها على دير مار يعقوب بالقدس الشريف، وإن تعذر ذلك، يصرف ريع الوقف "لفقراء النصارى الأرمن أينما كانوا وحيثما وجدوا"، وهنا نخص النصارى "الأرمن"، واشترطت الواقفة النظر لنفسها، ومن بعدها مباشرة لناظر أوقاف دير مار يعقوب[٥٩].

والوقف الثاني كان لسمية ابنة يوسف الأرمني؛ حيث اشترت عقارًا كاملاً بحارة التركماني بـ٧٥ ألف نصف فضة – وهذا مبلغ كبير بمقياس ذلك العصر – ثم أوقفت نصف العقار على نفسها، ثم بعد وفاتها على مصالح دير مار يعقوب، وإن تعذر إيصال ريع الوقف للدير يصرف على فقراء النصارى الأرمن "أينما كانوا وحيثما وجدوا"، واشترطت أن تكون نظارة الوقف لها، ومن بعد موتها لناظر الدير – كالوقف السابق – وإذا آل الوقف لفقراء النصارى الأرمن، فالناظر من "يكون بتركًا عليهم بمصر المحروسة"[٦٠].

وكان الوقف الثالث لسيدة تدعى "جلستان" ابنة مريا النصراني الأرمني، والتي أوقفت كامل العقار الكائن داخل جنينة سودون على نفسها، ثم من بعدها على "جهة دير مار يعقوب بالقدس" يصرف منه على فقراء النصارى الأرمن القاطنين به، واشترطت أيلولة نظارة الوقف إلى ناظر أوقاف دير مار يعقوب مباشرة حتى في حياتها[٦١].

أمّا الوقف الرابع فأوقفته "عجمية" ابنة داود الكاتب الأرمني، وكان عقارًا بكامله، ويقع في جنينة سودون كذلك، أوقفته على نفسها أولاً، ثم على أولادها من بعدها ذكورًا وإناثًا، ثم من بعدهم على دير مار يعقوب، وتكون هي ناظرة وقفها، ثم الأرشد من أبنائها، ومن بعدهم ناظر أوقاف الدير[٦٢].

وكان الوقف الخامس لظريفة ابنة إيواز الأرمني الفرا، وكان نصف عقار بحارة النصارى بجنينة سودون، أوقفته على نفسها، ثم على زوجها، وكان من القدس، ويدعى نسيم بن يوحنا القدسي، ثم من بعد زوجها على أولادها، ثم على المترددين على دير مار يعقوب[٦٣].

وينهض هذا دليلاً واقعيًا على دور المرأة المهم في مجتمع الأرمن في العصر العثماني، ويؤكد أنه كان دورًا فاعلاً، ولم يكن مهملاً، ويوضح في الوقت ذاته أهلية المرأة بصفة عامة في ذلك العصر.

وكان من الطبيعي أن تكون باقي الأوقاف الأربعة عشرة أوقفها الرجال، وكانت كالتالي: وقفين أوقفهما صائغان أولهما عازار بن بولص الأرمني القدسي الذي كان من أشهر الشخصيات الأرمنية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، وكان عقارًا كاملاً داخل درب الجنينة[٦٤]، والوقف الثاني لمراد الصائغ الأرمني، وقد أوقفه على نفسه، ثم على أولاده من بعده، ثم عقبهم، ومن لم يكن له ولد انتقل إلى إخوته وأخواته لحين انقراضهم، وعند ذلك يؤول لدير مار يعقوب، فإن تعذر ذلك يصرف على فقراء النصارى، وهنا لم يحدد أي نصارى، بمعنى أنه يقصد النصارى بشكل عام الأرمن وغيرهم[٦٥].

وجاء الوقف الثامن لتاجر يدعى كسبر بن ميرهم، وكان تاجر أقمشة بخان الحمزاوي، والوقف عقار كامل في درب الجنينة، وأوقفه على ولده مباشرة، ثم عقبه من بعده، ومن بعدهم على فقراء النصارى الأرمن الواردين والقاطنين بدير مار يعقوب الأرمني، واشترط

نظارة الوقف لولده وذريته، وعند أيلولة الوقف لفقراء النصارى تكون نظارة الوقف "لمن يكون بتركًا عليهم"[٦٦].

وكان الوقف التاسع لكريكور الأرمني البصمجي– صانع الأختام – ويشمل عقارًا كاملاً داخل درب الجنينة، أوقفه على نفسه أيام حياته، ثم من بعده على "فقراء النصارى الأرمن القاطنين والواردين والمترددين على دير مار يعقوب بالقدس"[٦٧].

والوقف العاشر كان شركة بين رجلين – لم تحدد الوثيقة عملهما – وزوجيهما، وكان الوقف يشمل عقارين: أحدهما بخط ميدان الغلة، وكان للسكن، أما العقار الآخر فكان مصبغة، وبعد انقراض ذرية الواقفين يؤول الوقف إلى دير مار يعقوب بالقدس[٦٨].

أما الأوقاف الأربعة الباقية فكانت على الواقفين، ثم على ذريتهم، ومن بعدهم على فقراء النصارى الأرمن القاطنين والواردين على دير مار يعقوب، وفي حالة تعذر إيصال ربع الأوقاف إلى الدير، يكون "لفقراء النصارى أينما كانوا وحيثما وجدوا"، ولم تحدد الوثائق الأعمال التي يعمل بها الواقفون، وكانوا جميعًا من الرجال[٦٩].

وعلى ذلك تنوعت فئات الواقفين من نساء ورجال صائغين وتجار وبصمجية، وأوقاف أخرى لم تحدد وظيفة واقفيها.

- نظارة الأوقاف:

لما كانت أوقاف دير مار يعقوب الأرمني – في الغالب – عقارًا أو عقارين للسكن أو لأغراض أخرى، فإنها لم تكن بحاجة إلى جهاز إداري كبير يتولى الإشراف على إدارتها، واكتفت بناظر الوقف.

وأشارت بعض الوثائق التي تناولت تلك الأوقاف إلى جابي الوقف، وهذا يختلف عن الأوقاف الكبيرة والمتشعبة: كبعض الأوقاف الإسلامية التي تمتد – أحيانًا – خارج مصر: فمع اشتراك الأوقاف جميعها في أن لكل وقف ناظرًا إلا أن الأوقاف الكبيرة تحتاج إلى جهاز إداري للإشراف عليها، وأيضًا موظفين ذوي اختصاصات مالية للإشراف على حسابات ومالية الوقف، من تحصيل لأوجه الريع، والنظر في أوجه الصرف[٧٠].

أما في حالة أوقاف دير مار يعقوب ففي الغالب يقوم الناظر بهذه النواحي: لأنها – كما ذكرنا – أوقاف ذات ريع ليس بالكبير، والناظر هو بمثابة المشرف العام على الوقف، وقد اختلفت الأوقاف من حيث نظّارها، وفيما يلي عرض للتنوع في نظارة الأوقاف التي شهدتها أوقاف دير مار يعقوب:

في العادة كان الناظر على الوقف هو الواقف ذاته أو أحد ذريته أو أحد أقاربه الأقربين، إن لم يكن الواقف قد شرط النظارة على وقفه لشخص بعينه.

ولدينا الكثير من الأمثلة على ذلك؛ حيث أوقف مراد النصراني الأرمني الصائغ عقارًا بالموسكي على نفسه، ثم من بعده على أولاده، واشترط النظارة له في حياته، ثم من بعده لأولاده الأرشد فالأرشد، وعند انقراض ذريته وأيلولة الوقف لفقراء النصارى يقرر "حاكم المسلمين الحنفي" ناظر الوقف(٧١).

وهناك العديد من الأوقاف التي آلت نظارتها للبطريرك نفسه؛ فنجد "البترك يحيى النصراني الأرمني الناظر الشرعي على وقف دير مار يعقوب بالقدس الشريف"(٧٢)، وكذلك إبراهيم ولد ميخائيل النصراني الأرمني بترك النصارى الأرمن بمصر حالاً، وهو " المتحدث على وقف فقرا النصارى بدير مار يعقوب بالقدس الشريف "(٧٣).

واشترط بعض الواقفين أن تكون نظارة أوقافهم لناظر دير مار يعقوب في حالة وصول ريع الوقف للدير، أما إذا تعذر ذلك فيؤول ريع الوقف للفقراء والأرامل، وعندئذ يكون ناظر الوقف هو البطريرك نفسه(٧٤).

واشترط البعض الآخر من الواقفين في حجج وقفياتهم أن يكونوا هم نظار الوقف، ثم عقبهم، وفي حال انقراضهم وأيلولة الوقف لفقراء النصارى الأرمن " فلمن يكون بتركًا عليهم بمصر "(٧٥).

واشترطت إحدى الواقفات الأرمنيات النظر لها أثناء حياتها، وبعد موتها لناظر الدير، وإن تعذر إيصال الريع للدير وأيلولة الوقف لفقراء النصارى الأرمن "فلمن يكون بتركًا عليهم بمصر المحروسة"(٧٦).

ومعنى ذلك أن نسبة ليست بالقليلة من الأوقاف تؤول نظارتها للبطريرك الأرمني أو من ينوب عنه بمصر؛ نظرًا للمكانة التي يتمتع بها البطريرك في مجتمع الأرمن، بل والمجتمعات المسيحية بعامة.

ونظرًا للمكانة التي يتمتع بها رجال الدين في مجتمع الأرمن؛ فقد وجدنا أوقافًا أخرى يتولى نظارتها الفارتابيد[٧٧]؛ فقد كان الفارتابيد "مردوس" بن تادرس ناظرًا شرعيًا على وقف لدير مار يعقوب، وكان يشمل نصف عقار بميدان الغلة[٧٨].

وإلى جانب الفارتابيد نجد الرهبان؛ حيث أشارت الوثائق إلى أحد الرهبان بأنه "الناظر والمتحدث على أوقاف النصارى الأرمن بدير مار يعقوب بالقدس الشريف"[٧٩].

ولم تكن نظارة الأوقاف حكرًا على رجال الدين، بل اشتهر العديد من العلمانيين نظّارًا للأوقاف، ولعل أشهرهم داود بن مرزا الخردجي[٨٠]؛ حيث وجدنا عدة أوقاف كان ناظرها داود الخردجي، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة كبيرة في مجتمع الأرمن في مصر في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، ولديه من الخبرات ما يؤهله لحيازة ثقة الواقفين، وهذا ما تؤكده الوثائق بشكل عفوي؛ حيث تمدنا الوثائق بمعلومات عن نشاطه وجديته واهتمامه باستثمار أموال الأوقاف.

ومن الأوقاف التي تولي نظارتها داود وقف بخط الشيخ الرملي، وكان نصف عقار، ولكنه عقار كبير يتضح ذلك من وصف الوثائق[٨١]، وعقار كامل بالقرب من حارة الشيخ الرملي التي يقع فيها الوقف السابق[٨٢]، وعقار ثالث بحارة زويلة[٨٣].

وإلى جانب كون داود الخردجي ناظرًا للعديد من الأوقاف نجده كذلك وكيلاً عن أرمني يدعى "بوغوص"، والذي كان ناظرًا لأوقاف الدير، ولم تشر الوثائق لعمل بوغوص هذا، وكانت هذه الأوقاف بحارة الشيخ الرملي[٨٤]، ووقف ثانٍ شمل عقارين: أحدهما بالموسكي، والآخر بقنطرة الموسكي داخل درب الجنينة[٨٥].

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن داود الخردجي كان يتمتع بوضع مهم في أوساط الأرمن في عصره.

ونجد علمانيين آخرين اشتهروا كنظار لأوقاف الأرمن؛ مثل إبراهيم بن خندان الصباغ الأرمني، وكان ناظرًا لوقفين: الأول بالموسكي، ويشمل ربع عقار "٦ قراريط"[٨٦]، والآخر ثمن عقار "ثلاثة قراريط" بالموسكي كذلك[٨٧].

وهناك أوقاف كان لها ناظران في وقت واحد، مع أنها لم تكن بالكبيرة؛ فقد كان كزبر بن ميرهم ومرزا بن شكري المخيشاتي[٨٨] كل منهما ناظرين معًا على وقف لدير مار يعقوب يشمل نصف عقار بحارة البنادقة[٨٩]. وكان عاشق سيلان وأروتين الأرمني كلاهما " ناظران ومتكلمان سوية على وقف دير مار يعقوب الأرمني الكاين بالقدس الشريف"[٩٠]. وقد أشارت الوثائق إليهما كناظرين لثلاثة أوقاف: أولها داخل درب الجنينة، والثاني لم تحدد الوثيقة مكانه[٩١]، والثالث داخل درب الجنينة بالقرب من ميدان الغلة[٩٢].

وأشارت الوثائق للعديد من الأوقاف دون أن توضح أعمال نظارها؛ مثل "ماردوس بن أوهان[٩٣]، وبغدسار بن كسبر[٩٤]" و"مرزابن إلياس[٩٥]".

ونخلص من ذلك إلى أنه لم تكن هناك قاعدة واحدة تحكم نظارة الأوقاف؛ فقد كان هناك أوقاف نظارها أصحابها، ثم من بعدهم ذووهم ومن بعدهم رجال دين، وأوقاف نظارها علمانيون من الحرفيين كخردجية وصباغين ومخيشاتية، وأوقاف لم تحدد الوثائق أعمال نظارها، كما كانت بعض الأوقاف لها ناظران في وقت واحد.

- استثمارات الأوقاف:

أولى نظار أوقاف دير مار يعقوب أوقاف الدير اهتمامًا كبيرًا، وحرصوا على استثمارها، من خلال شراء عقارات جديدة من ربع الأوقاف، وتأجير واستئجار عقارات، وكذلك الاستبدال في الأوقاف، وكلها تؤدي في النهاية إلى تنمية الموارد الاقتصادية للدير:

أ- شراء العقارات:

حرص بعض نظّار الأوقاف التي تدر ربعًا يساعد على تنمية موارد الوقف على شراء عقارات بأموال الوقف؛ حيث اشترى أحد نظار الأوقاف "بمال الدير" ثمن عقار "ثلاثة قراريط" في عقار بالموسكي بمبلغ قدره (٢٢٥٠) نصف فضة[٩٦]. واشترى أحد الرهبان

الأرمن - وكان ناظرًا على أوقاف الدير - نصف عقار "بمال الوقف" داخل درب جنينة سودون بالقرب من حارة القنصل، ولكن لم توضح الوثيقة ثمن العقار[٩٧].

واشترى بطريرك الأرمن -وهو "المتحدث على وقف فقرا النصارى بدير مار يعقوب بالقدس الشريف" - عقارًا كاملاً داخل جنينة سودون بـ"٤٠٠" ريال حجر بطاقة[٩٨]، وهو مبلغ كبير بمقياس ذلك العصر.

ولا شك في أن استثمار أموال الدير من خلال شراء عقارات جديدة ساعد على زيادة أوقاف الدير، وبالتالي زيادة ريع هذه الأوقاف؛ مما ساهم في تحسين أوضاع المنتفعين بهذه الأوقاف، وهو ما حرص عليه الواقفون في حجج وقفياتهم.

ب- إيجارات الأوقاف:

يعد الإيجار أهم أشكال استثمار الأوقاف وأكثرها نفعًا من الناحية الاقتصادية، وقد لجأت إليه الأوقاف لاستغلال موقوفاتها، ولعل ذلك يرجع إلى أن الأصل في الوقف هو حبس العين الموقوفة والانتفاع بريعها، ومن هنا كان الإيجار انتفاعًا بريع العقارات الموقوفة، وكان الإيجار كأسلوب للانتفاع بالأوقاف منتشرًا في عقارات الأوقاف بشكل عام.

وقد حرص الواقفون على أن يقوم نظار الأوقاف بتسجيل عقد الإيجار مع المستأجر أمام القاضي في المحاكم الشرعية، ويرجع ذلك لرغبة الواقف في الحفاظ على حقوق الوقف بالرجوع إلى سجلات المحاكم الشرعية لمراقبة شروط عقد الإيجار في حالة حدوث خلاف حول الوقف، وطلب العون من القاضي للحفاظ على الوقف، فضلاً على إحكام الرقابة على تصرفات الناظر من القاضي. ومن المعروف أن التواجر في عقارات الوقف بدون "عقد شرعي" بين الناظر والمستأجر أمام القاضي كان يؤدي كثيرًا إلى الفساد بين الوقف ومستأجريه فيما يتعلق بمدة وقيمة الإيجار[٩٩].

وهناك إيجارات طويلة لأوقاف الدير، مع أن الأصل في الإيجار أن يكون سنة واحدة، ثم أصبح هناك تعارف على أن يبرم عقد الإيجار في العقارات لمدة ثلاث سنوات، ولكن نتيجة ظهور مشكلة عمارة الأوقاف وخشية ما ينتج عن عجز الأوقاف عن القيام بعمارة موقوفاتها، أجيز الإيجار الطويل في العقارات لأكثر من ثلاث سنوات للوفاء بعمارة العين

الموقوفة، وفي هذه الحالة فإن المستأجر يستأجر العين الموقوفة التي في احتياج للعمارة والترميم، ويقوم بذلك، ويتم حساب ما صرفه المستأجر بمعرفة الناظر وموافقة القاضي.

وقد شاع الإيجار الطويل في عقارات أوقاف دير مار يعقوب، فكل حالات الإيجار التي عثرنا عليها كانت عقود إيجار طويلة؛ فقد استأجر ناظر أوقاف الدير "لجهة الوقف بمال الوقف" ثلث عقار بجنينة سودون "لمدة تسعين سنة كاملة"، وكان مبلغ الإيجار تسعة آلاف نصف فضة. وفي هذا العقد استئجار العقار لصالح الدير.

وفي المقابل وجدنا تأجيرًا من جانب الدير؛ حيث أجر ناظر الدير "قطعة أرض خالية من البناء" بالقرب من حارة الإفرنج داخل جنينة سودون لأحد الأرمن تسعين سنة كاملة بإيجار قدره ستون نصفًا سنويًا.

وقد استأجر ناظر دير مار يعقوب لصالح الدير وقفًا إسلاميًا هو وقف الشيخ إبراهيم الصنهاجي، وكان يشمل عقارين: أحدهما بالموسكي، والآخر داخل درب الجنينة، إيجارًا طويلاً أيضًا لمدة تسعين سنة، بإيجار سنوي قدره ١٦١٣ نصف فضة[١٠٠].

والجدير بالذكر استنكار الفقهاء المسلمين استئجار النصارى أوقافًا إسلامية: فيحدثنا الشرنبلالي قائلاً:" صارت أوقاف المسلمين والأمراء والسلاطين الجارية على المساجد والمساكين، مصروفة عنها للقسيسين والرهبان وديور الكافرين عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فإن غالب الحوانيت الوقف التي بأيدي النصارى المخذولين قد تملكوا خلوها وجعلوها وقفًا على كنايسهم بطريقة لا يخفي فسادها بالرشا، وحاشا أن يصبح إسناد هذا لإمام من المجتهدين أو لمحقق من العالمين فإنهم يجعلونها وقفًا على المارين والواردين من الفقراء والمساكين بدير كذا، وليس القصد في الحقيقة إلا إيصاله للرهبان والقسيسين الكافرين وبناء الكنائس وديور الملعونين"[١٠١].

وأجر ناظر أوقاف دير مار يعقوب، نصف عقار بخط الشيخ الرملي لأروتين بن يوحنا الرسام مدة قدرها ثلاثون سنة بإيجار سنوي قدره ١٢ ريالاً حجرًا بطاقة[١٠٢].

واستأجر أحد الأقباط عقارًا تابعًا لأوقاف دير مار يعقوب بخط الشيخ الرملي كذلك بإيجار سنوي قدره خمسون دينارًا ذهبًا محبوبًا[١٠٣]، أما أقل عقد إيجار عثرنا عليه لأوقاف دير مار يعقوب فكان اثنتي عشرة سنة، واستأجره أحد القساوسة الأرمن.

جـ- الاستبدال[١٠٤] في الأوقاف:

شهدت أوقاف دير مار يعقوب الاستبدال؛ حيث أبدل أرمني حصة قدرها نصف عقار بجنينة سودون تشتمل على حاصلين وحوش ومطبخ ومنافع ومسكن ومرافق، مقابل ٢٥٠ ريالاً حجرًا لناظر دير مار يعقوب، وهنا الإبدال كان لصالح الدير[١٠٥].

وأبدل ناظر أوقاف الدير نصف عقار بخط ميدان الغلة لأحد الأقباط، ولكن لم تشر الوثيقة للمبلغ الذي حصل عليه ناظر الدير[١٠٦].

واستبدل ناظر أوقاف الدير نصف عقار بحارة البنادقة بمبلغ ٢٤ دينارًا زنجرليًا، ولا شك في أن حركة إبدال الأوقاف التي شهدتها "بعض" أوقاف الدير ساهمت في زيادة ريع الوقف بشكل أو بآخر: مما كان له آثاره الطيبة على المنتفعين بالأوقاف.

د- عمارة الأوقاف:

أدى إيجار الأوقاف إلى انتقال منفعة عقارات الأوقاف إلى آخرين سواءً أكانوا من الأرمن أو غيرهم لفترات طويلة، وكذلك رغبة الواقفين ونظار الأوقاف في الاهتمام بصيانة وعمارة الأوقاف للحيلولة دون تهدمها، للحفاظ على ما يدره الوقف من ريع فترة طويلة؛ وهذا ما أدى إلى ما يعرف "بعمارة الأوقاف".

وقام نظار الأوقاف بدور مهم في عمارة الأوقاف التي تحت نظارتهم؛ فنجد داود بن مرزة الخردجي – ناظر أوقاف الدير – يدفع مائة ريال حجر بطاقة، وهو المبلغ الذي صرفه أحد الأرمن على "العمارة بكامل المكان الجاري في وقف دير مار يعقوب داخل حارة زويلة"، وكان ذلك المبلغ دينًا على الوقف للأرمني الذي قام بأعمال الصيانة والترميم للوقف[١٠٧].

ولدينا تفصيل للأموال التي أنفقت على عمارة وترميم وقف قدره نصف عقار بخط الشيخ الرملي استأجره أروتين بن حنا الأرمني من ناظر الوقف داود الخردجي، "وأذن

الناظر للمستأجر الإنشاء التجديد بالحصة المؤجرة وكل ما يصرف على ذلك من ماله يكون له شرعًا على جهة الوقف من العمارة والبنا والتجديد وفي ثمن جير وجبس وطين وطوب وبلاط وأحجار نحت وأخشاب متنوعة ومسامير وأجرة بنايين وفعلا ومهندسين[١٠٨] ونجارين ومبلطين ومبيضين ونقل أتربة إلى الكيمان"، وتضيف الوثيقة "وغيره مما احتاج إليه وتوقف أمر العمارة وتمامها عليه" وكان جملة المبلغ مائتا ريال حجر بطاقة، وأقر الناظر المبلغ الذي أنفق على عمارة الوقف "وأن ذلك دينًا شرعيًا على جهة الوقف"[١٠٩]، وهذا يوضح مدى العناية التي أولاها نظار الأوقاف لعمارتها وصيانتها.

وحصل نسيم بن حنا الصائغ القدسي على مائة وخمسين ريالاً حجرًا بطاقة، وهو "ما صرفه نسيم على العمارة بالحانوتين داخل درب الجنينة" من ناظري أوقاف الدير[١١٠]، وهذا يوضح دور نصارى القدس القاطنين بمصر في ترميم وصيانة أوقاف دير مار يعقوب الكائن بوطنهم الأم القدس الشريف.

وعندما ساءت الحالة المعمارية لوقف من أوقاف الدير، أجره ناظر ذلك الوقف لأحد الأرمن إيجارًا طويلاً قدره سبعة وعشرون سنة بمبلغ أربعمائة وعشرين ريالاً حجرًا، وقبضها الناظر لجهة الوقف، ووجهها بكاملها لصيانة وعمارة الوقف "ليصرف ذلك على عمارة ومرمة المكان"[١١١].

وهذا يؤكد الاهتمام بعمارة الأوقاف، حتى ولو أدى ذلك إلى إنفاق ريع الوقف بكامله تلك المدة الطويلة. وفي الوقت ذاته أدى الاهتمام بعمارة الأوقاف إلى تأجيرها كما رأينا للإنفاق من ذلك الإيجار على عمارة الوقف.

- إسقاط الأوقاف:

شهدت أوقاف دير مار يعقوب ظاهرة الإسقاط: فقد أسقطت إحدى الواقفات حقها في الوقف وزوجها الأرمني، ولكن الإسقاط هنا كان لصالح الدير في حصة قدرها ثلث عقار مقابل ١٤,٤٠٠ نصف فضة، والتزمت المسقطة بحراسة الوقف "عهدة الدرك"[١١٢].

واشترط أرمني أوقف وقفًا على زوجه، ثم بعد وفاتها على مصالح دير مار يعقوب: اشترط استمرار الوقف في حالة عدم زواج زوجه من بعده، فإذا تزوجت يسقط حقها في

الوقف، وإذا خرجت من المكان – لعدم سكناها فيه مع عدم زواجها – تأخذ ٦٠٠ نصف فضة كل عام من ربع الوقف[١١٣].

- النزاع على الأوقاف:

لم تخل أوقاف دير مار يعقوب من النزاعات حولها؛ فقد ادعى يعقوب بن مرزة على داود الخردجي الوكيل الشرعي عن ناظر وقف الدير بأن أخا المدعي كان قد أوقف حصة قدرها النصف بحارة الشيخ الرملي، وأن المدعى عليه قام بضمها لملكه. واعترف المدعى عليه بوقف أخي المدعي المكان فعلاً، ولكنه على نفسه وأولاده، ومن بعدهم على فقراء النصارى بدير مار يعقوب، وقد مات الأخ دون عقب، وبالتالي أيلولة الوقف للدير وحكم لصالح المدعى عليه[١١٤].

وقد حاول المدعي السابق إبطال ذات الوقف الذي كان قد أوقفه أخوه، ورفع دعوى قضائية أمام المحكمة، وقد أثبت وكيل ناظر الوقف صحة الوقف، وانتهى الأمر بأن دفع المدعى عليه للمدعي عشرة ريالات، وأخذها على سبيل التراضي، ومنع من دعواه[١١٥].

وهذا يوضح أن أوقاف الدير شهدت نزاعات أحيانًا حول أحقية أو عدم أحقية البعض في الأوقاف، وفي النهاية تثبت صحة الوقف، ويحكم لصالح ناظر أوقاف الدير.

وإلى جانب دير مار يعقوب نجد دير مار فرنسيس بالقدس الشريف كذلك؛ حيث أوقف أرمني يدعى إبراهيم وقفًا بحارة الإفرنج البنادقة بالقاهرة على نفسه، ثم من بعده على زوجه وأولاده، ومن بعدهم على رهبان دير مار فرنسيس[١١٦]. وقد مات الواقف ولم يعقب، وأسقطت الزوج "جوهرة" حقها لرهبان دير مار فرنسيس[١١٧].

وأوقف بعض الأرمن أوقافًا على مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ حيث وجدنا أرمنيًا يدعى "حسبك" بن إبراهيم يوقف منفعة الخلو والسكنى بعقار بالموسكي ستين سنة كاملة مقابل ستين نصفًا سنويًا تؤول لجهة الوقف[١١٨].

وأوقفت أرمنية وقفًا على دير أنطونيوس بالصحراء الشرقية بمصر ودير السريان بوادي النطرون، "وإن تعذر الصرف يصرف على مصالح مقام أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام"[١١٩].

وعلى أية حال تعددت أوقاف الأرمن في مصر، سواء على دير مار يعقوب أو دير مار فرنسيس وكنيسة القيامة، وكذلك مصالح مقام سيدنا إبراهيم.

ونخلص مما سبق إلى أن الدولة العثمانية قد حافظت على الأوقاف بعد الكشف عليها والتأكد من صحتها، بل زادت الأوقاف في العصر العثماني.

وقد تنوعت الأوقاف على القدس؛ فكان منها الأوقاف الإسلامية المصرية، والتي يرجع الكثير منها إلى ما قبل العصر العثماني، بعضها موقوف على المسجد الأقصى وعلى فقراء الحرم القدسي، كما حظي مقام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بالخليل ببعض الأوقاف الإسلامية.

وأوقف الأقباط العديد من الأوقاف على الأماكن المقدسة المسيحية؛ مثل كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والأديرة. وتنوعت من عقارات سكنية وأراضٍ زراعية.

وقد خضعت الأوقاف القبطية على القدس لإشراف البطريرك القبطي في القاهرة ونائبه المطران القبطي في القدس، كما استعان الأقباط أحيانًا ببعض كبار الموظفين السريان في القدس لرعاية الأوقاف القبطية.

واهتم الأرمن في مصر اهتمامًا واضحًا بإيقاف الكثير من الأوقاف على أديرتهم بالقدس، خاصة دير مار يعقوب الأرمني، الذي احتل مكان الصدارة بين الأديرة في العقارات الموقوفة عليه، خاصة في القاهرة، إلى جانب دير مار فرنسيس، وكذلك كنيسة القيامة ولا شك في أن تلك الأوقاف أيًا كان انتماء واقفيها "الديني" قد ساهمت في تقوية العلاقات بين مصر والقدس خلال العصر العثماني.

هوامش الفصل السادس

(١) إبراهيم الصوالحي: تراجم الصواعق في واقعة الصناجق، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة ١٩٨٤م، ص٤.

(٢) الدفتردار: هو المشرف على الإيراد والمنصرف ويناظر الآن وزير المالية ومن الناحية اللغوية يعني صاحب الدفتر أو حافظ السجلات. انظر: مصطفى بركات: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ص١١٩، ١٢٠.

(3) Shaw. S., The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517-1798, Princeton, 1962, p. 18.

(٤) محمد عفيفي: الأوقاف، السابق، ص ص١٥، ١٦، ٢٧.

(٥) دار الوثائق: دفاتر الالتزام، دفتر رقم: ٩٥٠، ٩٥١، ١٠٠٠، ١٠٠١.

(٦) للمزيد من المعلومات راجع، جمال كمال محمود: الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.

(٧) محمد عفيفي: الأوقاف، ص ص٢٨، ٢٩.

(٨) مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٦٠.

(٩) الجبرتي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٨.

(١٠) انظر: نص الوثيقة ملحق "٢".

(١١) من وثائق القدس: المرجع السابق، ص٢٢.

(١٢) نفسه: ص٢٣.

(١٣) دار الوثائق: دفتر الالتزام رقم ١٠٦٤ لسنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م.

(١٤)من وثائق القدس: السابق، ص٣٣.

(١٥) انظر: ملحق "٤".

(١٦) ويعرف هذا بانشطار وظائف الأوقاف، بمعنى أنه كان من الممكن أن يشغل الشخص الواحد أكثر من وظيفة، والوظيفة الواحدة يشغلها أكثر من شخص.

(١٧) انظر: لوحة "٢".

(١٨) من وثائق القدس: السابق، ص٣٨.

(١٩) محمد عفيفي: الوجود القبطي في القدس، السابق، ص ص١٥٨، ١٥٩.

(٢٠) انظر: لوحة "٧".

(٢١) خوخة: هي حارة أو زقاق غير نافذ "مسدود". انظر: محكمة باب الشعرية: س٦٤٤، ص١٢٨، م٤٧٣، ٨ جمادى الآخرة ١١٧٨هـ/٣ ديسمبر ١٧٦٤م.

(٢٢) الصالحية النجمية: س٤٨١، ص١٢، م٢٤، ١٢ ذو القعدة ١٠١٦هـ/ ٢٨ فبراير ١٦٠٨م؛ انظر: ملحق "٥".

(٢٣) الباب العالي: س٢٧٥، ص٢، م١، ٢٢ جمادى الأولى ١١٨٤هـ/ ١٤ سبتمبر ١٧٧٠م: انظر: ملحق "١٨".

(٢٤) من وثائق القدس: المرجع السابق، ص٣٠.

(٢٥) نفسه: ص٣١.

(٢٦) الصالحية النجمية: س٤٨١، ص١٢، م٢٤، ١٢ ذو القعدة ١٠١٦هـ/٢٨ فبراير ١٦٠٨م.

(٢٧) انظر: ملحق "١٠".

(٢٨) نفسه.

(٢٩) نفس الوثيقة.

(٣٠) محمد عفيفي: الوجود القبطي، ص١٥٦.

(٣١) نفسه: ص ص١٥٩، ١٦٠.

(٣٢) انظر: ملحق "٩، ٢٣".

(٣٣) محمد عفيفي: الوجود القبطي، ص١٦٠.

(٣٤) علي السيد علي محمود: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣٥) يحيى رياض: الأرمن وأملاكهم في القدس الشريف، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٥، مايو ٢٠٠٢م، ص١١.

(٣٦) جمال كمال محمود: المصريون والأرمن في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨، بحث ضمن أبحاث كتاب العلاقات العربية الأرمنية الماضي والحاضر، تقديم وتحرير: محمد رفعت، مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠٠٩، ص٦٩.

(٣٧) بيرج ترزيان: الحي الأرمني بالقدس، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٧، يوليه ٢٠٠١م، ص٣.

(٣٨) عبد المنعم الجميعي: مرسوم بشأن حقوق طائفة الأرمن الأرثوذكس في القدس، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٣، مارس ٢٠٠١م.

(٣٩) روبين جرابيديان: الأرمن في القدس، بحث ضمن أبحاث كتاب العلاقات العربية الأرمنية الماضي والحاضر، تحرير وتقديم: محمد رفعت، مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠٠٩م، ص١٤٩.

(40) Pascale Gazaleh, Masters of the Trade Crafts and Crafts People in Cairo, 1750-1850, A-U-C, Egypt, 1999, p. 79.

(٤١) محكمة باب الشعرية: س٦٢٨، ص٥٦٤، م١٢٥١، ١٤ رجب ١١٠٦هـ/٢٨ فبراير ١٦٩٥م.

(٤٢) الباب العالي: س٢١٢، ص١١٠، م١٩٥، ٨ رمضان ١١٤٣هـ/١٧ مارس ١٧٣١م.

(٤٣) قسمة عربية: س٧٥، ص٢٠٢، م٣٠٢، ٢٧ جمادى الآخرة ١١١٧هـ/١٥ أكتوبر ١٧٠٥م.

(٤٤) قسمة عربية: س٦٤، ص٩٣، ٩٤، م١١٧، ٢٨ صفر ١٠٩٨هـ/١٣ يناير ١٦٨٦م؛ نفسه: س٦٧، ص٤٥٧، ٤٥٨، م٦٩٢، ١٠ رمضان ١١٠١هـ/١٧ يونيو ١٦٩٠م.

(٤٥) محكمة الزاهد: س٦٩٥، ص٨٥، م٢٥٦، ٣٠ رمضان ١١٥٦هـ/٧ نوفمبر ١٧٤٣م؛ محكمة الصالحية النجمية: س٥٢٤، ص٢٣٢، م٤٦١، ٢٨ ربيع الأول ١١٧٤هـ/٧ نوفمبر ١٧٦٠م؛ محكمة الباب العالي: س٣١٢، ص١١١، م٢٠٤، ٢٢ ربيع الآخر ١٢٠٦هـ/٢٠ ديسمبر ١٧٩١م.

(٤٦) يقع ميدان الغلة بالقرب من القلعة وبه سوق تباع فيه الغلال. انظر: الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص١٠٣.

(٤٧) باب الشعرية: س٦٣٢، ص١٨١، م٣٥٢، ١٧ رمضان ١١٢٥هـ/٧ أكتوبر ١٧١٣م؛ الزاهد: س٦٩٣، ص٣٣١، م٧٠٥، ١٨ محرم ١١٥٠هـ/١٧ مايو ١٧٣٧م.

(٤٨) الباب العالي: س٢٧٧، ص٣٠٣، ٣٠٤، م٤٩٠، ٨ رمضان ١١٨٥هـ/١٦ ديسمبر ١٧٧١.

(٤٩) قسمة عربية: س٧٦، ص١٨٠، م١٩١، ٧ ذو الحجة ١١١٨هـ/١٣ مارس ١٧٠٧م.

(٥٠) الباب العالي: س٢٧٩، ص٢٣، م٣٣، ٣ جمادى الأخرة ١١٨٦هـ/٤ سبتمبر ١٧٧٢م.

(٥١) باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ١٧ رجب ١١٢٦هـ/٢٩ يوليو ١٧١٤م.

(٥٢) الباب العالي: س٢٧٩، ص٢٢، ٢٣، م٣١، ٤ جمادي الأخرة ١١٨٦هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٧٢م.

(٥٣) باب الشعرية: س٦٣٤، ص٧٩، ٨٠، م١٨٤، ٢ رجب ١١٣٢هـ/١١ مايو ١٧٢٠.

(٥٤) قسمة عربية: س١١٦، ص٢٨٨، ٢٨٩، م٥٦٠، ٢ محرم ١١٧٤هـ/ ١٤ أغسطس ١٧٦٠م.

(٥٥) حارة اليهود لم تختلف عن غيرها من حارات القاهرة؛ حيث كان يتوسطها شارع رئيسي يقطعه أزقة عديدة، يضيق لدرجة لا تسمح بمرور شخصين معًا في وقت واحد، انظر: محسن شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠، ج١، ص١٧٦.

(٥٦) للمزيد من المعلومات عن العمران في حارة اليهود، انظر: محمد عفيفي: الخطط والحياة الاقتصادية في حارة اليهود بالقاهرة في العصر العثماني، بحث بمجلة المؤرخ المصري، عدد ١٠، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩٣م، ص٣٧ وما بعدها.

(٥٧) باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ٢٧ رجب ١١٢٦هـ/٨ أغسطس ١٧١٤م.

(٥٨) الباب العالي: س٢٩٥، ص١٧٦، ١٧٧، م٢٩٦، ٢٢ ذو القعدة ١١٩٣هـ/٢ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٥٩) باب الشعرية: س٦٣٢، ص١٨١، م٣٥٢، ١٧ رمضان ١١٢٥هـ/٧ أكتوبر ١٧١٣م.

(٦٠) نفسه: س٦٣٤، ص٧٩، ٨٠، م١٨٤، ٢ رجب ١١٣٢هـ/١١ مايو ١٧١٩م.

(٦١) الزاهد: س٦٩١، ص١٧، ١٨، م٣١، ٧ جمادي الأولى ١١٤٢هـ/٢٨ نوفمبر ١٧٢٩م.

(٦٢) نفسه: س٦٩٢، ص٨٥، م٢٥٦، ٣٠ رمضان ١١٥٦هـ/٧ نوفمبر ١٧٤٣م.

(٦٣) نفسه: س٦٩٨، ص٢٥٧، م٨٢٢، ٢٤ جمادى الأخرة ١١٨٠هـ/٢٨ نوفمبر ١٧٦٦م.

(٦٤) نفسه: ص١٥٧، م٨٢١، ٢٤ جمادى الأخرة ١١٨٠هـ/٢٧ نوفمبر ١٧٦٦م.

(٦٥) القسمة العربية: س٦٢، ص٣٨٧، ٣٨٨، م٥١٩، ١٣ شعبان ١٠٩٦هـ/٢٦ يوليو ١٦٨٤م.

(٦٦) الصالحية النجمية: س٥١٨، ص٧٨، ٧٩، م٢٠٢، ١٤ شوال ١١٤٨هـ/٢٨ فبراير ١٧٣٥م.

(٦٧) الباب العالي: س٣١٢، ص١١، م٢٠٤، ٢٢ ربيع الأخر ١٢٠٦هـ/٢٠ ديسمبر ١٧٩١م.

(٦٨) القسمة العربية: س٧٦، ص٣٠، ٣١، م٥٥، ٨ رجب ١١١٨هـ/١٧ أكتوبر ١٧٠٦م.

(٦٩) باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ٢٧ رجب ١١٢٦هـ/٨ أغسطس ١٧١٤م؛ نفسه: ص٢٣٣، ٢٣٤، م٤٧٤، ٢٨ ربيع الأول ١١٢٦هـ/١٤ أبريل ١٧١٤م؛ الزاهد: س٦٩٣، ص٣٣١، م٧٠٥، ١٨ محرم ١١٥٠هـ/١٧ مايو ١٧٣٧م؛ الباب العالي: س٣٠١، ص١٩٠، ١٩١، م١٧٣، ١٥ ربيع الآخر ١١٩٧هـ/٢١ مارس ١٧٨٣.

(٧٠) محمد عفيفي: الأوقاف، المرجع السابق، ص٨٤.

(٧١) القسمة العربية: س٦٢، ص٣٨٧، ٣٨٨، م٥١٩، ١٣ شعبان ١٠٩٦هـ/١٦ يوليو ١٦٨٤م.

(٧٢) باب الشعرية: س٦٢٥، ص٤٩٨، ٤٩٩، م١٤٤٧، ١٠ ذو القعدة ١٠٩٣هـ/١ نوفمبر ١٦٨٢م.

(٧٣) صالحية نجمية: س٥٢٤، ص٢٣٢، م٤٦١، ٢٨ ربيع الأول ١١٧٤هـ/٧ نوفمبر ١٧٦٠م.

(٧٤) باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ٢٧ رجب ١١٢٦هـ/٨ أغسطس ١٧١٤م.

(٧٥) الزاهد: س٦٩٣، ص٣٣١، م٧٠٥، ١٨ محرم ١١٥٠هـ/١٧ مايو ١٧٣٧م.

(٧٦) باب الشعرية: س٦٣٤، ص٧٩، ٨٠، م١٨٤، ٢ رجب ١١٣٢هـ/١١ مايو ١٧١٩م.

(٧٧) يطلق لقب فارتابيد على الراهب الذي يرتقي إلى مرتبة علماء اللاهوت، ويمنح للراهب عقب اجتيازه امتحانًا خاصًا في العلوم الدينية. وكان الفارتابيد يقوم بالتبشير والوعظ وشرح الكتاب المقدس، وتفسيره، ناهيك عن قيامه بالتدريس في المدارس اللاهوتية التي يتم إنشاؤها في بعض الأبراشيات. وقد اهتم الرهبان عامة والفارتابيد خاصة بالأدب الأرمني الوسيط. انظر: محمد رفعت: تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص٤٠١.

ويمتاز الفارتابيد "القس الأعزب" عن المتزوج في إمكانية ترسيمه أسقفًا ورئيس أساقفة، ويرشح أيضًا ليكون بطريركًا وجاثليقًا، انظر:

Sarafian, K., The Armenian Apostolic Church, California, 1959, p. 23.

(٧٨) الباب العالي: س٢٧٧، ص٣٠٣، ٣٠٤، م٤٩٠، ٨ رمضان ١١٨٥هـ/١٦ ديسمبر ١٧٧١م.

(٧٩) الصالحية النجمية: س٥٢٤، ص٣٩٥، م٨٦٩، ١٦ شوال ١١٧٤هـ/٢١ مايو ١٧٦١م.

(٨٠) الخردجي: هو بائع الأدوات المعدنية القديمة أو بائع الأشياء دقيقة الصنع، انظر: أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص٨٦.

(٨١) الباب العالي: س٢٨٩، ص٧٥، ص٧٦، ١١٧، ١ محرم ١١٩١هـ/٩ فبراير ١٧٧٧م.

(٨٢) نفسه: س٢٦٣، ص١٥٢، م١٧٠، ٢٨ جمادى الآخرة ١١٧٧هـ/٣ يناير ١٧٦٤م.

(٨٣) صالحية نجمية: س٥٢٧، ص٤٩، ٥٠، م٢١، ٢ ذو الحجة ١١٨٤هـ/ ٢٠ مارس ١٧٧١م.

(٨٤) الباب العالي: س٢٧٩، ص٢٢، ٢٣، م٣١، ٤ جمادى الآخرة ١١٨٦هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٧٢م.

(٨٥) نفسه: ص٢٣، م٣٣، ٣ جمادى الآخرة ١١٨٦هـ/ ٤ سبتمبر ١٧٧٢م.

(٨٦) قسمة عربية: س٧٥، ص٢٠٢، م٣٠٢، ٢٧ جمادى الآخرة ١١١٧هـ/ ٢٧ سبتمبر ١٧٠٥م.

(٨٧) نفسه: س٧٦، ص٢٩، م٥٢، ٨ محرم ١١١٨هـ/٢٢ أبريل ١٧٠٦م.

(٨٨) من معاني الخيش في مصر، وفي الفارسية: نوع من الكتان يستعمل في صناعة الخيام والحقائب، انظر: أحمد السعيد: المرجع السابق، ص٩٧.

(٨٩) الزاهد: س٦٩١، ص٦٥، م١١٠، ٢٢ شعبان ١١٤٢هـ/١٢ مارس ١٧٣٠م.

(٩٠) قسمة عربية: س١٢٦، ص٣٦٨، م٥٦٠، ٨ جمادى الآخرة ١١٩٤هـ/ ١٢ يونيو ١٧٨٠م.

(٩١) الباب العالي: س٢٩٥، ص١٧٦، ١٧٧، م٢٩٦، ٢٢ ذو القعدة ١١٩٣هـ/٢ يناير ١٧٧٩م.

(٩٢) نفسه: ص١٧٥، م٢٩٤، ١٥ ذو القعدة ١١٩٣هـ/٢٥ نوفمبر ١٧٧٩م.

(٩٣) قسمة عربية: س١١٦، ص٢٨٨، ٢٨٩، م٥٦٠، ٢ محرم ١١٧٤هـ/٥ أغسطس ١٧٦٠م.

(٩٤) الباب العالي: س٢٨٠، ص٢٢٥، م٣٧٢، ٢٨ محرم ١١٨٧هـ/ ٢ أبريل ١٧٧٣م.

(٩٥) باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ١٧ رجب ١١٢٦هـ/ ٢٩ يوليو ١٧١٤م.

(٩٦) قسمة عربية: س٧٦، ص٢٩، م٥٢، ٨ محرم ١١١٨هـ/٢٢ أبريل ١٧٠٦م.

(٩٧) الباب العالي: س٢٨٠، ص٢٢٥، م٣٧٢، ٢٨ محرم ١١٨٧هـ/٢ أبريل ١٧٧٣م.

(٩٨) قسمة عربية: س٧٦، ص٢٩، م٥٢، ٨ محرم ١١١٨هـ/٢٢ أبريل ١٧٠٦م.

(٩٩) محمد عفيفي: الأوقاف، المرجع السابق، ص١٤٧، ١٤٨.

(١٠٠) الباب العالي: س٢٧٩، ص٢٣، م٣٣، ٣ جمادى الآخر ١١٨٦هـ/٤ سبتمبر ١٧٧٢م.

(١٠١) محمد عفيفي: المرجع السابق، ص ص١٨٢، ١٨٣.

(١٠٢) باب الشعرية: س٦٢٥، ص٤٩٧، ٤٩٨، م١٤٤٦، ٥ ذو القعدة ١٠٩٣هـ/٥ نوفمبر ١٦٨٢م.

(١٠٣) الباب العالي: س٢٩٥، ص١٧٥، م٢٩٤، ٢٢ ذو القعدة ١١٩٣هـ/٢ يناير ١٧٧٩م.

(١٠٤)هو أن تبدل العين الموقوف بعقار أخر أو مبلغ من المال، ويضم العقار الجديد أو مبلغ المال إلى جملة الموقوفات مع خروج العين الموقوفة من دائرة الوقف لصالح الطرف الآخر. وهو من أساليب الانتفاع الاقتصادي بالأوقاف. للمزيد من المعلومات انظر: محمد عفيفي: الأوقاف، ص ص ١٧٤: ١٨١.

(١٠٥)الباب العالي: س٢٨٠، ص٢٢٥، م٣٧٢، ٢٨ محرم ١١٨٧هـ/٢٢ أبريل ١٧٧٣م.

(١٠٦)باب الشعرية: س٦٣٢، ص٢٧٣، م٥٥٥، ١٧ رجب ١١٢٦هـ/٢٩ يوليو ١٧١٤م.

(١٠٧)الباب العالي: س٢٨٠، ص٢٢٥، م٣٧٢، ٢٨ محرم ١١٨٧هـ/٢٢ أبريل ١٧٧٣م.

(١٠٨)المهندسون في العصر العثماني اصطلاح مستخدم وشائع يدل على "المهندسين بالديار المصرية العارفين بالعقارات وقيمتها والأبنية واختلالها والجدر وعيوبها والأنقاض وقيمتها" انظر: محمد عفيفي: الأوقاف، ص١٥٥، هامش ٤١.

(١٠٩)الباب العالي: س٢٨٩، ص٧٥، ٧٦، م١١٧، ١ محرم ١١٩١هـ/٩ فبراير ١٧٧٧م.

(١١٠)الصالحية النجمية: س٥٢٧، ص٤٩، ٥٠، م١٢١، ٢ ذو الحجة ١١٨٤هـ/٢٠ مارس ١٧٧١م.

(١١١)قسمة عربية: س١٢٦، ص٣٦٨، م٥٦٠، ٨ جمادى الأخرة ١١٩٤هـ/٢٤ يونيو ١٧٧٩م.

(١١٢)الباب العالي: س٢٩٥، ص١٧٦، ١٧٧، م٢٩٦، ٢٢ ذو الحجة ١١٩٣هـ/٢ فبراير ١٧٧٩م.

(١١٣)باب الشعرية: س٦٣٤، ص١٨٠، م٤٢٣، ١٣ رجب ١١٣٣هـ/١٠ مايو ١٧٢١م.

(١١٤)قسمة عربية: س٧٦، ص٣٠، م٥٥، ٨ رجب ١١١٨هـ/١٦ أكتوبر ١٧٠٦م.

(١١٥)الباب العالي: س٢٧٩، ص ص٢٢، ٢٣، م٣١، ٤ جمادى الأخرة ١١٨٦هـ/٢ سبتمبر ١٧٧٢م.

(١١٦)نفسه: س٢٨٢، ص٦١، م٩٦، ١٢ ذو القعدة ١١٨٧هـ/٢٦ يناير ١٧٧٤م.

(١١٧)قسمة عربية: س٦٧، ص٤٥٧، ٤٥٨، م٦٩٢، ١٠ رمضان ١١٠١هـ/١٧ يونيو ١٦٩٠م. انظر: ملحق "٢".

(١١٨)الباب العالي: س١٧٧، ص٣٣٣، م٨٥٣، ٨ رمضان ١١٠٣هـ/٢٥ مايو ١٦٩٢م.

(١١٩)الزاهد: س٦٩٥، ص٢٧٩، م٩١٤، ٣٠ ذو القعدة ١١٥٢هـ/٢٨ فبراير ١٧٣٩م؛ انظر: ملحق "٧"؛ قسمة عربية: س١ مكرر، ص ص٤٦٢، ٤٦٣، م٧٨٣، ٢٠ رجب ٩٧١هـ/٤ مارس ١٥٦٤م؛ انظر: ملحق "٣".

الخاتمة

تأتي هذه الدراسة على قدرٍ كبير من الأهمية؛ حيث أكدت الارتباط القوي بين مصر والقدس على مر العصور، وأكدت عروبة القدس التي أسسها اليبوسيون، وهم عرب كنعانيون.

وقد تعددت أسماء المدينة على مر العصور؛ حيث أطلق علها اسم "سالم" و"شالم" الذي كان أحد اليبوسيين الذين أسسوا المدينة.

وقد تصدت مصر للدفاع عن "القدس" من هجمات العبرانيين، وظلت محل اهتمامها طوال العصر الفرعوني، بل دخلت مصر في صراع مع العديد من القوى التي ظهرت على مسرح الشرق القديم؛ كالآشوريين ثم البابليين الكلدانيين (البابليون الأواخر)، وقد خضعت القدس للحكم المصري المباشر فترة من الزمن خلال العصر الفرعوني.

وعلى الرغم من انحسار المد المصري في التاريخ القديم بعد نهاية العصر الفرعوني فإن العلاقات بين مصر والقدس ما لبثت أن عادت بعدما أصبحتا ضمن أملاك البطالمة، إلى أن وقعت سوريا ثم مصر تحت الحكم الروماني.

وعقب قيام الدولة العربية الإسلامية واتجاه الفتوحات إلى الشام دخل الارتباط بين مصر والقدس مرحلة جديدة؛ فقد اهتم المسلمون بالقدس اهتمامًا كبيرًا منذ زيارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لها عام ١٥هـ.

وما إن بدأ العصر الأموي وبدأ استقرار الدولة الإسلامية حتى لبست المدينة ثوبًا إسلاميًا تمثل في العديد من المنشآت المعمارية؛ كقبة الصخرة والمسجد الأقصى.

وقد تطورت العمارة الإسلامية بشكل كبير خلال العصور الوسطى، وإن شهدت انحسارًا خلال العدوان الصليبي الذي منيت به المدينة خلال العصر الفاطمي، إلى أن طهَّرها الناصر صلاح الدين، وأعاد لها ثوبها الإسلامي.

ولم تكن القدس بعيدة عن اهتمام سلاطين المماليك الذين وضعوا فيها الكثير من بصمات العمارة الإسلامية. كما كانت المدينة محل اهتمام كبير من العديد من السلاطين العثمانيين منذ فتحها على يد السلطان سليم الأول.

وخلال العصر العثماني ارتبطت مصر بالقدس ارتباطًا كبيرًا؛ حيث وجدت مجموعة من المقدسيين في مصر في القاهرة وبعض المدن؛ حيث تركز المقدسيون في المراكز التجارية المهمة، وكذلك المراكز الحرفية خاصة نصارى القدس. كما تركز مسلمو القدس - خاصة العلماء وطلبة العلم - بجوار الأزهر، وبعضهم في رواق الشوام وبعض المناطق بجوار المساجد الكبرى.

وفي المقابل استقر العديد من المصريين مسلمين ونصارى في القدس؛ لأهمية المدينة كمركز ديني تهوي إليه أفئدة الجميع. فاستقر فيها البعض من العلماء بأسرهم، كما استقر فيها العديد من الأقباط؛ لتعدد الأماكن المقدسة المسيحية في المدينة بشكل عام.

وقد ساعد وجود عناصر من كلا البلدين في البلد الآخر على تدفق الدماء في الشرايين التي ربطت بين البلدين؛ مما ساهم في قوة العلاقات بينهما على مر العصور وحتى الآن.

وقد ساعدت التجارة على تقوية الروابط بين مصر والقدس؛ لكون القاهرة مركزًا تجاريًا "عالميًا" آنذاك. كما كانت القدس مركزًا تجاريًا مهمًا كذلك.

وانتشر المقدسيون في المراكز التجارية في مصر، ولعبوا دورًا مهمًا ليس في التجارة البينية بين مصر والقدس فحسب، بل في التجارة الدولية كذلك.

وساهمت الزيارة الدينية لنصارى مصر إلى القدس في زيادة النشاط التجاري؛ حيث كانت مناسبة مهمة في كلا البلدين على المستوى التجاري بخاصة.

وانتشرت القوافل التجارية عبر البلدين لجلب السلع، خاصة الصابون؛ الذي كاد المقدسيون يحتكرون تسويقه في مصر بمشاركة شوام آخرين. ولم يكن الصابون السلعة الوحيدة، بل هناك الأصداف والمسابح وزيت الزيتون وغيرها.

وصدَّرت مصر للشام - بما فيها القدس - العديد من السلع، خاصة القمح في حالة حدوث قحط وغلاء بالشام، إلى جانب كميات من الأرز والعدس وغيرهما.

وحقق بعض المقدسيين فائضًا ماليًّا استثمروه في الاستثمارات العقارية في مصر، وساهمت المرأة المقدسية بسهم وافر في هذا المجال، وقد ساعد تشعب علاقات المقدسيين الاقتصادية مع العديد من الطوائف على تحقيق وضع اقتصادي جعل البعض منهم ضمن شرائح المجتمع المصري العليا.

وقد لعب الأزهر - كجامعة اسلامية - دورًا مهمًّا في توثيق الروابط بين مصر والقدس. وقد وجد العديد من الطلبة المقدسيين في الأزهر، وارتبط العلماء المقدسيون الذين تعلموا بالأزهر بمصر؛ حيث حرص بعضهم على الاستزادة من العلم، فكرروا زياراتهم إلى مصر؛ مما كان له أثره في تعميق الروابط العلمية بين البلدين.

واشتغل العديد من المقدسيين بالعلم في مصر، وبرز البعض من هؤلاء في العلوم الدينية، واشتغلوا بتدريسها في الأزهر وبعض المساجد والمدارس الكبرى، كما نبغ البعض منهم في علم التاريخ، وتمتع بعضهم بوضع اجتماعي متميز، وارتبطوا بالأمراء؛ أي زاوجوا بين العلم والسياسة.

وتردد بعض العلماء المصريين على القدس، ودرَّسوا العلوم الدينية بها، وزار بعضهم القدس، وفي المقابل زار علماء من القدس مصر، واجتمعوا بعلمائها، وانتمى البعض منهم لطريقة من الطرق الصوفية، وتنقلوا بين القدس ومصر ينهلون من العلوم وينشرونها في القدس وما جاورها، وارتبط بعض علماء القدس بكبار العلماء في مصر؛ كالزبيدي والعطار والجبرتي وغيرهم.

وقد ساعد على انتشار العلم وجود المكتبات التي زودت الباحثين بالمادة العلمية اللازمة لبحوثهم، وكذلك مكتبات أهل الذمة، وكان لذلك كله دوره في دعم العلاقات بين مصر والقدس.

وكانت الزيارة الدينية للقدس مناسبة مهمة لدعم العلاقات بين البلدين، من خلال قوافل الحج التي لم تسلم من هجمات البدو، مثلها مثل قافلة الحج الإسلامي إلى الحجاز.

وعمل رجال الدين الأقباط على تهيئة الظروف لسفر قوافل الحج إلى القدس وتذليل العقبات التي تعترضها وتزويدها بالكهنة لشرح طقوس الزيارة.

ولم يكن موقف الدولة العثمانية سلبيًا من زيارة النصارى للقدس: حيث وفرت الأمن للزوار، ونشرت الجنود لإتمام الزيارة، وهو ما لاقى استحسانًا لدى النصارى في الشرق، بل وأحيانًا في الغرب كذلك.

وصاحب قوافل الزيارة نشاط تجاري: حيث حمل الزوار بعض السلع معهم، وكان لذلك مردود اقتصادي على صعيدين: الأول على الزوار أنفسهم: حيث ساعد على تسديد جزء من نفقات الزيارة، والثاني أحدث رواجًا تجاريًا في القدس نفسها، بل وما حولها من مدن وقرى.

ورغم ما ورد في بعض المصادر - حتى الإسلامية منها - حول "منع" الزيارة الدينية للنصارى "أحيانًا" فإن المصادر ذاتها أكدت في مواضع أخرى على إتمام الزيارة إلى القدس حتى المصادر "القبطية" ذاتها: مما يؤكد أن "نهب" قافلة الزيارة النصرانية للقدس لم يكن "تقليدًا" بقدر ما كان سياسة وقتية، بل في تقديرنا أن إشارة المصادر إلى حوادث النهب "يؤكد" في حد ذاته استمرار الزيارة بدليل الإشارة لتوقفها أو حتى منعها، كما أنه من الواجب والحيدة بل والموضوعية في الدراسات التاريخية عدم الخروج عن "السياق" التاريخي للعصر الذي نكتب عنه: حيث كان من السمات الواضحة للعصر العثماني "ظاهرة" السلب والنهب، خاصة بعد أن بدأ الضعف يسري في أوصال الدولة العثمانية شيئًا ما: لعوامل عديدة – ليس هنا مجالها – مما أعجزها "أحيانًا" عن الضرب بيد من حديد على أيدي بعض القبائل العربية التي اتخذت من السلب والنهب وسيلة لحياة العديد من أفرادها، زد على ذلك الأمراء المماليك وتكتلاتهم العسكرية وصراعاتهم المستمرة: مما كان له عواقب وخيمة على كافة نواحي الحياة في ذلك العصر، وقد أشرنا إلى "النهب" الذي يمكن أن نصفه بالـ"منظم" لقافلة الحج الإسلامي، رغم ما توافر لها من حماية من خلال

أمير الحج، وقد نهبت الكثير من قوافل الحج الإسلامي، ولم تسلم حتى النساء من النهب، وقد أشار بالتفصيل إلى ذلك "الكثير" من المصادر المعاصرة مطبوعة ومخطوطة.

وكان للقدس نصيب ليس بالقليل من الأوقاف المصرية إسلامية ومسيحية، والتي تم إيقافها على المقدسات سواءً أكانت إسلامية أم مسيحية، ولا شك في أن تلك الأوقاف قد لعبت دورًا مهمًّا في تعميق العلاقات بين مصر والقدس، وساهم ريع تلك الأوقاف في تعمير وتجديد المنشآت خاصة الدينية منها، وكذلك في مساعدة الفقراء والمساكين والمترددين على القدس؛ أي أن للأوقاف بُعدًا اقتصاديًّا واجتماعيًّا.

وبعد، فإن العصر العثماني فترة مهمة في تاريخ مصر لا يمكن إسقاطها من حسابات الزمن. وقد حفظت تلك الفترة "الحضارة".

ولم تكن النهضة التي حدثت في مصر في القرن التاسع عشر نتيجة مباشرة لأصوات مدافع الحملة الفرنسية كما يدعي البعض، وإن كانت - من وجهة نظرنا - بمثابة تحريك الماء الراكد، ولا حتى من جراء المشروع النهضوي الطموح الذي قام به محمد علي فقط؛ لأن عنصرًا أساسيًّا فيها كان "طلاب البعثات"، وكانوا من "الأزهر" من الصحيح أن محمد علي استعان بالخبراء الأجانب، ولكن هؤلاء قاموا بدور الموجه "للمصريين" وبعض أبناء الجاليات الأخرى في مصر؛ بمعنى أن نهر الحياة في مصر كان يتدفق بتؤدة، ثم أعطاه محمد علي هذه الدفعة، ويجب ألا ننسى أن محمد علي نفسه كان عثمانيًّا.

وأخيرًا فإن العصر العثماني - أولاً وقبل كل شيء - فترة تاريخية لها ما لها وعليها ما عليها.

الملاحق والأشكال واللوحات

أولاً: الملاحق

ملحق «١»

صورة من وثيقة الأمان التي أعطاها الخليفة عمربن الخطاب لأهل إيلياء



- تاريخ الوثيقة ١٥هـ/٦٣٦م.
- توضح الوثيقة عهد الأمان الذي منحه الخليفة عمر لأهل إيلياء والتي أمنهم فيها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم.

- أن يعطي أهل إيلياء الجزية إذا أقاموا في المدينة ومن يخرج يخرج وهو آمن.
- شهد على الوثيقة خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان.

تابع ملحق «١»

نص وثيقة الأمان التي أعطاها الخليفة عمر لأهل إيلياء

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين، أهل إيليا من الأمان.. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئها وسائر ملتها .. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمنهم ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

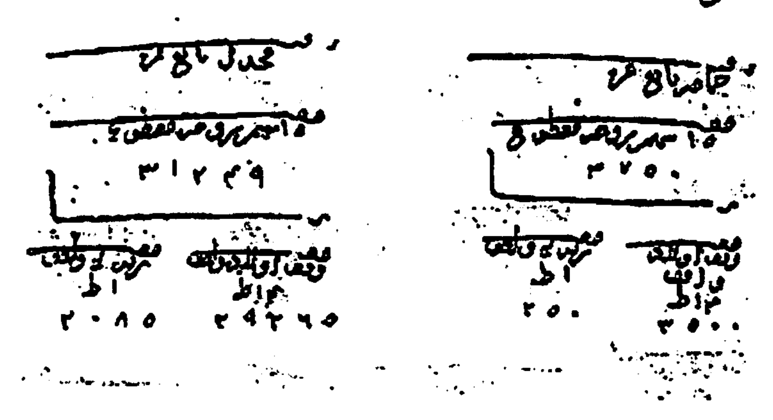
كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان».

المصدر: بهاء فاروق: حكاية فلسطين بالخرائط والوثائق، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة ٢٠٠٢م، ص٥٦.

ملحق «٢»

وقف بالقاهرة لقراءة القرآن الكريم وعلى فقراء الحرم القدسي



المصدر: مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٢٤٨.

التاريخ: ٧٣٤هـ/١٣٣٣م.

ملحق «٣»

وقف بالقاهرة على مصالح مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

«أشهدت عليها ستيتة المرأة بنت إبراهيم بن جرجس النصرانية الأرمنية.. أنها وقفت وحبست وسبلت وتصدقت بما هو جار في ملكها وبيدها وحوزتها جميع البنائين المتجاورين بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب زويلة والخرق وقفت هذا على نفسها أيام حياتها تنتفع به كيف شاءت ومن بعدها على مصالح الثلاثة ديورة، دير أنطونيوس بجبل القلزم بالعربة ودير السريان بوادي النطرون ودير أبي المنجي بخط السد.. فإذا تعذر الصرف لأحد الديورة المذكورة صرف ما تعذر على مصالح الديرين الباقيين.. فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف ما كان تعذر له على مصالح الدير الآخر بحسب ما يراه الناظر على ذلك فإن تعذر للديورة المذكورة جميعًا صرف ذلك لمصالح مقام أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام فإن تعذر ذلك صرف للفقراء والمساكين من النصارى أينما كانوا وحيثما وجدوا بحسب ما يراه الناظر وتكون لها الولاية على الوقف أيام حياتها ومن بعدها للمعلم أبي الفرج بن موسى النصراني اليعقوبي ومن بعده لمن يكون بترك النصارى اليعاقبة ومن بعده لمن يلي البطريركية حرر في عشرين رجب الفرد سنة واحد وسبعين وتسعماية من الهجرة».

المصدر: محكمة القسمة العربية: س١ مكرر، ص٤٦٢، ٤٦٣، م٧٨٣.

التاريخ: ٢٠ رجب ٩٧١هـ/٤ مارس ١٥٦٤م.

ملحوظات:

- وقف عقارين بالقاهرة على أديرة بمصر.
- في حالة تعذر الصرف لهذه الأديرة يصرف ريع العقارين على مصالح مقام خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام.
- اشتراط الواقفة – وهي نصرانية أرمنية – نظارة الوقف لها ثم من بعدها لأحد الأقباط ثم للبطريرك.
- توضح الوثيقة دور المرأة في الأوقاف.

ملحق «٤»

وقف بالقاهرة لقراءة القرآن الكريم بالمسجد الأقصى بالقدس الشريف

«قرر مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة السيد الشريف شحاتة بن السيد الشريف عبد المنعم الحسيني في قراءة مصحف شريف بالمسجد الأقصى بالقدس الشريف وقف المرحوم الشيخ دمرداشي الخلوتي عوضًا في ذلك عن السيد الشريف رمضان بن السيد محمد الحسيني لفراغه له عن ذلك وشهد الأشهاد على ذلك في خامس شهر رجب سنة تاريخه تقريرًا شرعيًا تحريرًا في ثاني عشرين شهر شوال سنة واحد وسبعين وألف»

الشيخ محمد المنوفي　　والشيخ صبحي البحيري　　والشيخ محمد الإمام

المصدر: محكمة الباب العالي، نقلاً عن كتاب من وثائق القدس، المرجع السابق، ص٣٢.

التاريخ: ٢٢ شوال ١٠٧١هـ/ ٢٠ يونيو ١٦٦١م.

ملحوظات:

- وقف بالقاهرة على المسجد الأقصى.
- يوجه الوقف لقارئ القرآن الكريم بالمسجد الأقصى.
- توضح الوثيقة الفراغ في وظائف الأوقاف.
- الاهتمام بتسجيل حجج الأوقاف بالمحكمة الشرعية.

ملحق «٥»

قبطي يوقف عقارًا بالقاهرة على كنيسة القيامة بالقدس الشريف

«لدى المالكي أشهد عليه عبد المسيح بن ميخائيل بن سليمان اليعقوبي المعروف بابن دميج شهودة الإشهاد الشرعي أنه وقف وحبس وتصدق بما هو جار في ملكه وذلك جميع المكان الكاين بخط شق الثعبان داخل خوخة النجارين المشتمل على أروقة وقاعات وطباق وبئر ما معين ومنافع وحقوق مشروحة بالمكتوب المذكور المحصور ذلك لحدود أربعة القبلي إلى الطريق المسلوك ومن الوجهة والباب وباقية إلى بيت المهتار والشرقي إلى الطريق والغربي المنجمون ومن باب السر بحد ذلك وحدوده ومعالمه ورسومه المشروحة بالمكتوب المذكور على ما نص وشرح من المعلوم ذلك عهده شرعًا الجاري ذلك في ملكه يشهد له بذلك العقد المسطر بظاهر المكتوب المحكي تاريخه أعلاه من محكمة المالكية الصالحية المؤرخة بسادس شعبان سنة ستة وثمانين وتسعماية على ما نص وشرح ذلك وقفًا شرعيًا لا يباع ولا يوهب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والواقف وقف وقفه هذا على نفسه أيام حياته ثم من بعده على أولاده ومن سيحدثه الله تعالى من الأولاد ثم من بعدهم يصرف النصف من ربع ذلك لفقراء النصارى اليعاقبة الواردين والمقيمين بالكنيسة القايمة بمصر القديمة من الكيمان المعروفة ببابلون الدرج والنصف الثاني يصرف لفقراء النصارى اليعاقبة الواردين والمقيمين بدير أنطونيوس بالجبل الشرقي بالوجه القبلي المعروف بدير العزبة فإن تعذر الصرف لأحدهما صرف للآخر فإن تعذر ذلك صرف لفقراء النصارى اليعاقبة والمساكين الواردين على كنيسة القيامة بالقدس فإن تعذر ذلك صرف لفقراء النصارى اليعاقبة والمساكين والأرامل المنقطعين أينما كانوا وحيثما وجدوا وشرط لزوجته السكنى بالطبقة المطلة على الخليج الحاكمي جرى ذلك وحرر في ثاني عشر ذي القعدة سنة ستة عشر وألف من الهجرة».

قيده الشيخ

عبد العاطي

المصدر: محكمة الصالحية النجمية: س٤٨١، ص١٢، م٢٤.

التاريخ: ١٢ ذو القعدة ١٠١٦هـ/٢٨ فبراير ١٦٠٨م.

ملحوظات:

- اهتمام الأقباط في مصر بكنيسة القيامة بالقدس الشريف.
- تحديد العقار الموقوف بحدوده الأربعة.
- تسجيل حجة الوقف بالمحكمة الشرعية.
- أيلولة الوقف للورثة «الزوجة والعقب» جيلاً بعد جيل.
- تعدد البدائل التي يؤول إليها ريع الوقف خشية تعذر وصوله.
- اهتمام الأقباط بفقرائهم ومساكينهم.
- مكانة الأماكن المقدسة في نفوس الأقباط.

ملحق «٦»

ترميم دير السلطان بالقدس الشريف

حجة تعمير دير السلطان القبطي الأرثوذكسي

وتسمى دير السلطان بأنه : «... دير طائفة نصارى القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديمًا بدير السلطان بمحلة النصارى» وهي صادرة باسم : «المعلم سالم البنا المتكلم على أوقاف نصارى القبط بمحمية القدس».

المصدر: مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٢٢٧.

التاريخ: ١٣ شوال ١٠٩٨هـ/ ٢٢ أغسطس ١٦٨٦م.

ملحق «٧»

تأجير عقار بالقاهرة موقوف على مقام سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

«اشترى الذمي حسبك ولد إبراهيم النصراني الأرمني من بايعه الذمي منقريوس بن بولص الباسكي الصعيدي فباعه جميع منفعة الخلو والسكن ومدة التواجر جميع المكان الكاين بخط الموسكي داخل درب جنينة سودون المدة الطويلة الباقي منها ستون سنة كاملة ثمن ذلك واحد وخمسون ومائة دينار ذهب محبوب والجاري أصل ذلك في وقف خليل الرحمن والأجرة الموجلة لجهة الوقف في كل سنة ستون نصف فضة غاية القعدة سنة اثنين وخمسين وماية وألف هجرية».

المصدر: محكمة الزاهد: س٦٩٥، ص٢٧٩، م٩١٤.

التاريخ: ٣٠ ذو القعدة ١١٥٢هـ/ ٢٨ فبراير ١٧٣٩م.

ملحوظات:

- توضح الوثيقة شراء حق المنفعة لعقار بالموسكي بالقاهرة.
- المشتري نصراني أرمني والبائع قبطي.
- تشير الوثيقة إلى إيجار المدة الطويلة.
- حق الوقف في الإيجار ستون نصف فضة سنويًا.
- تؤكد الوثيقة الاهتمام بمقام خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ملحق «٨»

استئجار قدمي لوقف بالقاهرة موقوف على دير ماريعقوب بالقدس الشريف

«لدى الحاكم الشرعي الحنبلي بحضرة كل من المطران يعقوب ولد الذمي جرجس والقسيس أورتين ولد يعقوب والقسيس أصطفاني ولد الذمي ورتان قدسي والذمي أراكيل ولد يوسف الشهير بالعجمي والذمي عاشق سلان الطنبرجي ولد جرجس والمعلم عازار الصايغ وأخيه الذمي سركيس ولدا الذمي بولص والذمي جبران إيواز ولد عازار والذمي يعقوب الحلال الجواهرجي ولد الذمي إبراهيم والذمي وانيس النقاش ولد الذمي ورتان النصراني الأرمني كل منهم والذمي نقولا سمني الجوخي ولد الذمي وهبه النصراني الشامي والذمي يوسف صباغ الجوخي بخان الحمزاوي ولد شكري النصراني الحلبي والذمي يعقوب قلنجي ولد الذمي وانيس الأرمني والذمي سيدهم المهندس ولد الذمي موسى النصراني القبطي وإطلاعهم وشهادتهم على ما سيذكر فيه أجر الذمي داود الخردجي بخط باب الزهومة ولد الذمي مرزه الخريطلي النصراني الأرمني وهو الناظر الشرعي المتكلم على وقف دير بالقدس المعروف بدير ماري يعقوب الأرمني بموجب ما في يديه بالطريق الشرعي المعلم أروتين الجواهرجي بدار الضرب ولد الذمي حنا الرسام النصراني الأرمني فاستأجر منه لنفسه جميع الحصة التي قدرها النصف اثني عشر قيراطًا من أصل أربعة وعشرين قيراطًا على الشيوع في كامل بنا المكان القايم على الأرض المحتكرة الكائن بظاهر القاهرة المحروسة بخط الشيخ الرملي فيما بين قنطرة الموسكي وميدان الغلة المشتمل على واجهة شرقية مبنية بالطوب الآجر من ثلاثة شبابيك خشب وباب ويعلو الجهة المذكورة ست طاقات يدخل من الباب المذكور إلى فسحة بوسطها عمود حجر مركب عليه سقف يعلو فسحة بها حفرة مرحاض يجاورها سلم مصعد من الفسحة قاعتان أرضيتان يصعد من السلم المرقوم إلى بسطة يمينه باب يأتي ذكره وفيه باب يوصل منه لمسكن شمويل الآتي ذكره فيه من البسطة المرقومة إلى السلم يصعد من عليه إلى بسطة بها سدة تسلم ما يأتي ذكره فيه ويمينه باب يدخل فيه إلى دهليز سقف به مطبخ بالدهليز باب يدخل إلى طبقة بها طاقات مطلات على الفسحة يصعد من السلم إلى بسطة بها سدة سلم صغير يوصل منه إلى كرسي راحة ويمينه باب يدخل منه إلى فسحة في يمنيه سلم صغير يوصل إلى السطح العالي على ذلك الفسحة... باب يدخل منه إلى طبقة علوية بها طاقات بكل حوض علوها راجعي فيه سقف ذلك جميعه وأما الباب الموعود بذكره أعلاه يدخل منه إلى فسحة بها كرسي راحة يمينه باب يدخل منه إلى دوران يحوي إيوانين ودور وقاعة وإحدى الإيوانين شربة بها طاقات وشربة يعلوها طاقات ومنافع وسراديق وهو في حدود أربع الحد القبلي إلى مكان شمويل النصراني والحد البحري إلى مكان منصور الصايغ والحد الشرقي للزقاق وفيه الباب والحد الغربي لبيت جرجس الخريتاوي الخياط بحد ما فيه وحدوده وحقه وحقوقه ومعالمه المعلومة شرعًا والجار في الحصة الموجرة في المكان المذكور في وقف دير القدس المرقوم وتحت نظر الذمي داوود الخردجي المؤجر المرقوم فيما شرح أعلاه وله ولاية إيجار شرعي بالطريق والتصادق على أن ينتفع المستأجر المذكور بالحصة المؤجرة المرقومة سكنًا وإسكانًا وغلة واستغلالاً والأجرة والإجارة وكافة الانتفاع الشرعي

على الوجه الشرعي لمدة عشرة عقود عبرة كل عقد ثلاث سنوات كاملات متواليات هلاليات تشمل العقود العشرة على ثلاثين سنة كاملة متوالية يمضي أولها من غرة شهر محرم بأجرة قدرها عن ذلك لكل سنة تمضي من ذلك من الريالات الحجر البطاقة اثني عشر ريالاً حجرًا بطاقة حساب عن كل شهر ريالاً حجر بطاقة يقوم بها الذمي أروتين المستأجر المرقوم لجهة وقف دير القدس المرقوم سنة سنة كل سنة من ذلك في آخرها لطول المدة المرقومة بزيادة ثلاث ريالات في كل سنة على الأجرة السابقة التي كان يقوم بها المستأجر الذمي لجهة الوقف المرقوم القيام الشرعي إجارة شرعية مشتملة على الإيجاب والقبول والسلم والتسليم شرعًا من ذلك لطول المدة والإحاطة بذلك على أجرة شايعة وأذن الناظر الموجر الإذن الشرعي أعلاه للذمي أروتين المرقوم بالإنشا والتجديد بالحصة المؤجرة وكل من يصرف على ذلك من ماله وصلة حالة يكون له شرعًا على جهة وقف دير القدس المرقوم تجديدًا على الوجه الشرعي بالطريق الشرعي وصدق الذمي داوود الخردجي الناظر المؤجر المرقوم على صحة ما صرف الذمي أروتين على العمارة والبنا والتجديد بالحصة التي قدرها النصف اثني عشر قيراطًا المؤجرة المرقومة في المكان المرقوم في ثمن جير وجبس وطين وطوب وبلاط وأحجار نحت وأخشاب متنوعة ومسامير خالدي الإسلامبولي وأجرة بنايين وفعلا ومهندسين ونجارين ومبلطين ومبيضين ونقل أتربة إلى الكيمان وغيرها مما احتاج الحال إليه وتوقف أمر العمارة وتمامها عليه في سنة سابقة على تاريخه وقدر ما صرف عليه من ماله وصلة حالة مبلغًا وقدره من الريالات الحجر مايتا ريال ثنتان حجرًا بطاقة قد بين ذلك تفصيلاً بموجب القايمة المشمولة باسم وختم الناظر الموجر المرقوم المشروحة سنة تاريخه أدناه وأقر الناظر المؤجر المرقوم كامل مبلغ الصرف المرقوم وأقره في جانب الوقف المرقوم وجعله للذمي أروتين المرقوم بالمكان أن ذلك دينًا شرعيًا على جهة الوقف المرقوم تقريرًا وجعلا شرعيًا وتصديقًا شرعيًا باعترافه بذلك بشهوده وذكر أعلاه سنة تاريخه الاعتراف الشرعي وصدق على ذلك الذمي أروتين المرقوم وقبل ذلك لنفسه تصديقًا شرعيًا ومما هو جار في ملك الذمي أروتين المرقوم من الحصة التي قدرها النصف اثني عشر قيراطًا على الشيوع في كامل بنا المكان المرقوم شهد له بذلك الحجة الشرعية المسطرة من محكمة الزاهد بمصر المؤرخة في عشرين شهر شوال سنة تسع وثمانين ومايه وألف ومن الدلالة المذكورة أعلاه الدالة على الوصف والحدود المعينة أعلاه بالأجرة التي قدرها من غير تكرار في كل سنة اثني عشر ريالاً حجرًا بطاقة حكمًا صحيحًا شرعيًا تحرر في غرة محرم سنة إحدى وتسعين ومايه وألف».

الشيخ عبد الله

المصدر: سجلات محكمة الباب العالي: س٢٧٩، ص ص٧٥، ٧٦، م١١٧.

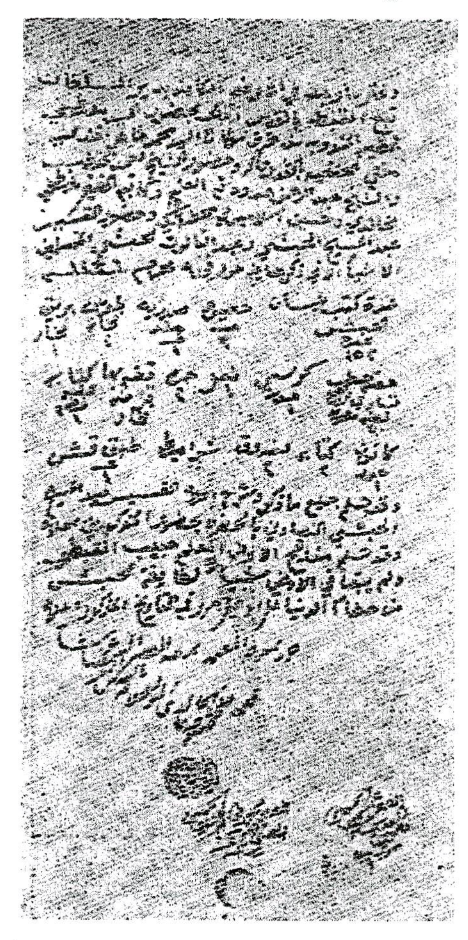
التاريخ: غرة محرم ١١٩١هـ/ ٩ فبراير ١٧٧٧م.

ملحوظات:

- حضور مجموعة من النصارى المقدسيين للشهادة على تأجير عقار تابع لوقف على دير بالقدس.
- الوقف يتبع دير مار يعقوب وهو دير أرمني بالقدس.
- يقع الوقف في حارة الشيخ الرملي بالقاهرة.
- ناظر الوقف أرمني من القدس.
- مستأجر الوقف أرمني من القدس.
- تشتمل الوثيقة على وصف كامل للعقار.
- تصف الوثيقة الدير بأنه دير القدس.
- مدة الإيجار ثلاثون سنة.
- الحرص من جانب ناظر الوقف على عمارة الوقف وترميمه.
- قيام المستأجر بترميم وعمارة الوقف مقدمًا على أن يخصم ما أنفقه من الإيجار السنوي للوقف.
- اهتمام الأرمن المقدسيون بأديرتهم في القدس.

ملحق «٩»

إخراج الأحباش من دير السلطان قبل ترميمه



تتضمن إخراج الحبش من دير السلطان القبطي قبل ترميمه، تبدأ بقولها : «دفتر ما وجد في الأوض الكائنة بدير السلطان تبع القبط بالقدس....» وتنتهي بالقول : «ولم يبق في الأرض شيئًا لطائفة الحبش من حطام الدنيا قل أو جل».

المصدر: مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٢٢٨.

التاريخ: ٩ محرم ١٢٣٦هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٢٠م.

ملحق «١٠»

وقف بالمحلة الكبرى ودمياط بمصر على دير القيامة بالقدس الشريف

«لدى الحاكم الشرعي الحنفي أشهد عليه المعلم مرقص ولد عبد المسيح ولد رفاييل النصراني اليعقوبي بترك طايفة النصارى اليعاقبة الناظر الشرعي على دير القمامة بالقدس الشريف شهود الإشهاد الشرعي في كمال صحته وسلامته وطواعيته واختياره وجواز الإشهاد عليه شرعًا أنه وكل وأناب مناب نفسه المعلم عبد المسيح ولد ميخاييل النصراني الأسقف في استخلاص ما هو متجمد من أجرة أماكن الوقف المذكور أعلاه بالوجه البحري بالمحلة الكبرى ودمياط وغيرها ممن بين فيه جهته أيًا من كان وحيث يكون وفي قبض ذلك واستخلاصه والمطالبة به بكل طريق ممكن شرعي وفي الدعوى بذلك لدى السادة القضاة ونوابهم وولاة أمور الإسلام وخلفايهم وفي الحبس والترميم والملازمة والإخراج أقامه في ذلك مقام نفسه ورضى بقوله وفعله توكيلاً شرعيًا مطلقًا مفوضًا لرأيه وفي الصلح والإبرا باعتراف البترك مرقص المذكور أعلاه بذلك لشهود الاعتراف الشرعي وقبل ذلك منه لنفسه الأسقف عبدالمسيح المذكور أعلاه قبولاً شرعيًا وتصادقا على ذلك تصادقًا شرعيًا وصدر ذلك بحضور المعلم بشارة ولد ميخاييل ولد أبشاي النصراني اليعقوبي المباشر هو والقسيس يعقوب ولد يوسف النصراني اليعقوبي واطلاعهما على ذلك اطلاعًا شرعيًا وثبت الإشهاد بذلك لدى سيدنا الحاكم المشار إليه أعلاه بشهادة شهوده ثبوتًا شرعيًا وحكم بموجب ذلك الحكم الشرعي وأشهد على نفسه بذلك وبه شهد في مستهل شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وألف».

المصدر: محكمة بابي سعادة والخرق، نقلاً عن كتاب من وثائق القدس، ص٣٠.

التاريخ: مستهل ربيع الأول ١٠٦٤هـ/١٩ يناير ١٦٥٤م.

ملحوظات:

- وجود أوقاف قبطية على دير القيامة بالقدس الشريف.
- نظارة الوقف للبطريرك القبطي.
- توكيل البطريرك لأحد الأساقفة في استخلاص أجرة الوقف.
- الارتباط بين المصريين الأقباط والمقدسات المسيحية بالقدس الشريف.

ملحق «١١»

إمداد مصر للقدس بالغلال أثناء الأزمات الاقتصادية بالشام

«لدى مولانا الأفندي:بعد أ، ورد البيورلدى المطاع الواجب القبول والاتباع من الديوان العالي بمصر المحروسة على يد فخر الأماجد والأكارم حسن أغا زيد قدره من مضمونه المبين أنه ورد علينا أمر شريف خنكاري من مضمونه أنه حصل القحط والغلا ببلاد الشام وحصل العذر للمسلمين بسبب ذلك وبدر الأمر الكريم العاليم بتجهيز عشرة آلاف أردب وخمسمائة أردب من القمح والشعير بالكيل المصري وتجهيزها للديار الشامية إلى حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم والدستور المكرم مدبر أمور جمهور العالم معين المظلوم ممن ظلم مولانا الوزير أحمد باشا يسر الله له من الخيرات ما يتكامل المملكة الإسلامية يومئذ بالديار الشامية دامت سعادته وأن يؤخذ أجرتها ومصر وقتها من مال مقاطعة الثغر المذكور الجاري تحويله لقدوة الأماثل والأعيان الأمير دولار عن ذلك مما تضمن البيورلدى المشار إليه وهو مؤرخ في عاشر صفر سنة ١٠٧١هـ فقوبل ذلك بمزيد الامتثال ووردت العشرة آلاف أردب وخمسمائة الغلال المذكورة إلى الثغر المذكور على يد قدوة الأماثل والأعيان بكير أغا زيد قدره من جانب مولانا الوزير المومي إليه المعين على ذلك ومصطفى جاويش الديوان المشار إليه وحسين متفرقة الديوان المذكور المعين على الغلال المذكورة ووزعت الغلال المذكورة ووزعت الغلال على المراكب الآتي فيه وتسلمت الرويسا الآتي ذكرها العشرة آلاف أردب وخمسمائة وأجرتها من يد حسن أغا وبكير أغا المعينين عما قبضاها من يد وكيل الأمير دولار المشار إليه هو فخر الأماثل والأعيان مصطفى جوربجي على الحكم التفاصيل الآتي:

- الرايس يونس بن علي الصيداوي قمح ٧٥٠ أردبًا والشعير ٢٠٠ أردب.
- الرايس عبد الله من الشعير ٣٠٠ أردب.
- مركب الرايس أحمد بن سلامة الدواب قمح ٤٦٠ أردبًا، شعير ١٤٠ أردبًا.
- الرايس سلامة بن تباع الله جعلية قمح ٦٥٠ أردبًا شعير ١٢٥ أردبًا.
- الرايس موسى ابن الحاج عياد الراوي شعير ١٢٠٠ أردب.
- الرايس نور بن الحاج سليمان البراوي قمح ٣٦٠ أردبًا شعير ٣٧٠ أردبًا.
- الرايس عبد الجواد بن علي البراوي قمح ٣٦٣ أردبًا، وشعير ٣٣٧ أردبًا.
- الرايس عامر بن الحاج شاهين البراوي قمح ٤٣٧ أردبًا، وشعير ٢٠٢ أردبًا.
- حلبي بن فرحات الدمياطي قمح ٧٣٠ أردبًا، وشعير ١٥٠ أردبًا.
- جعفر بن محفوظ البراوي قمح ٤٨٠ أردبًا، وشعير ٢٥٠ أردبًا.

- يوسف النصراني ولد جرجس الطرابلسي السبيعي قمح ١٣٣ أردبًا، وشعير ١٦٣ أردبًا.

- الرايس سراج ٤٤٠ باقي العشرة الآلاف أردب وخمسمائة الغلال فيكون جملة القمح ستة آلاف أردب وسبعمائة وثلاثة عشر أردبًا وجملة الشعير ثلاثة آلاف أردب وسبعمائة أردب وسبعة وثمانين أردبًا. ويكون جملة أجرة الغلال المذكور أربعة آلاف غرش ومائتي غرش بثمن حسابًا على كل مائة أردب أربعون غرشًا مقبوضًا ذلك بيد الروايسا المذكورين من حسين أغا وذلك خارجًا عما دفعه المعنيان المذكوران للشغالين والكيالين وقدره ثلاثمائة غرش وثلاثة وثلاثون غرشًا وثلثي حسابا من كل أردب واحد نصف فضة واحد ثمن الأكياس فرش المراكب تحت الغلال وهي ستة وعشرون غرشًا فيكون جملة أجرة المراكب والشغالين والكيالين وثمن الأكياس أربعة آلاف غرش وخمسمائة غرش وتسعة وخمسين غرشًا وثلث غرش ذلك هو القدر الذي قبضه لمعينان المشار إليهما من مال الثغر المذكور أعلاه بتمام ذلك وكماله ولم يتأخر من ذلك قل ولا جل وبموجب ذلك بريت ذمته حسن وبكير. وصار الأمير دولار الأمين المشار إليه يستحق المحاسبة بالمبلغ المذكور من مال المقاطعة من سنة تاريخه ليس ذلك منعًا للوائح، أحمد بن إسماعيل الدين».

المصدر: سمير عبد المقصود، المرجع السابق، ص٢٩٦-٢٩٨.

التاريخ: ١٤ ربيع الأول ١٠٠١هـ/١٨ ديسمبر ١٥٩٢م.

ملحوظات:

- حدوث قحط وغلاء بالشام.
- تجهيز كمية كبيرة من الغلال لإنقاذ الشام من الأزمة.
- التكامل بين الولايات العثمانية خاصة في أثناء الأزمات الاقتصادية.

ملحق «١٢»

وقف بالقاهرة على رهبان دير مار فرنسيس بالقدس الشريف

«لدى الحاكم الحنفي ادعى الذمي قنر ولد الذمي تارس النصراني الأرمني على زوجة أخيه شقيقه الذمي إبراهيم النصراني الأرمني الخياط كان هي الذمية جوهرة المرأة بنت الذمي بطرس النصراني الأرمني بأن زوجها الذمي إبراهيم هلك حيث شاء الله تعالى عن زوجته وأخيه الذمي قنر من غير شريك ولا مانع شرعي وترك المكان الكاين بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابي زويلة والخرق بخط حارة النصارى الفرنج البنادقة قريبًا من قنطرة الموسكي .... وأن المدعى عليها وضعت يدها على ذلك وعلى بقية مخلفات الهالك وبطالبها بنصيبه بحق النصف والربع ليحوزه لنفسه بالطريق الشرعي وسيلت المدعى عليها فأجابت بالاعتراف بوضع يدها على المكان بمقتضى أنه أوقفه في حياته وكمال صحته ونفوذ تصرفاته وأنه شرط لنفسه في وقفه الإدخال والإخراج والأعطا والحرمان والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والاستبدال ... وليس لأحد من بعده فعل شيء من ذلك بموجب حجة الإيقاف من محكمة بابي السعادة والخرق على نفسه أيام حياته ومن بعده على زوجته جوهرة وما سيحدثه الله له من الأولاد وأولادهم الذكر والأنثى سوى ومن بعدهم على جماعة الرهبان بدير مار فرنسيس بالقدس الشريف وأن المدعي المذكور قبض واستوفى من تركة الهالك ٦٠٠ نصف فضة وأنه متى تعرض لجوهرة أو ضرها لذمه الدفع من ماله نظير ما تغرمه من مال.... ومكنها الحاكم الشرعي من المكان المذكور وأبقى وضع يدها عليه وأقام عليه التعزيز بالضرب والحبس اللايقين به وبأمثاله جرى ذلك وحرر في عاشر رمضان سنة واحد ومائة وألف من الهجرة».

المصدر: قسمة عربية: س٦٧، ص٤٥٧، ٤٥٨، م٦٩٢.

التاريخ: ١٠ رمضان ١١٠١هـ/١٧ يونيو ١٦٩٠م.

ملحوظات:

- قيام نزاع على الأوقاف بين الورثة.
- إيقاف عقار بحارة البنادقة بالقاهرة على دير مار فرنسيس بالقدس الشريف.
- أيلولة الوقف للزوجة طبقًا لشروط الواقف الذي لم يعقب.
- اهتمام النصارى في مصر بأديرة القدس.
- الواقف كان يعمل خياطًا.
- قصر الوقف بعد انقراض الذرية على رهبان دير مار فرنسيس بالقدس الشريف.

ملحق «١٣»

تدخل الشيخ يوسف المقدمي شيخ طائفة التجار بوكالة الصابون بالقاهرة في النزاع حول تحديد أسعار الصابون

«لدى مولانا قايم مقام حضر الشيخ يوسف المقدمي شيخ طايفة التجار بوكالة الصابون الكاينة بالقاهرة بخط باب النصر وأخوه الخواجة محمد والخواجة خليل المقدمي من التجار بوكالة الصابون وعرضوا على مولانا قائم مقام أن الصابون القدسي قليل الآن وأن الموجود منه بالوكالة المذكورة شيء يسير وأن جماعة المتسببين في بيع الصابون بالأسواق والأزقة والحارات المترددين على الوكالة المذكورة لشراء الصابون من تجارها يطلبون منهم ما لم يكن عندهم من الصابون وأنهم إذا وجدوا عند أحد صابونًا أخذوه منه بالغلظة والفظاظة بدون سعره الذي سعر به الأمير كريمي جاويش ناظر الحسبة الشريفة السلطانية وأنه قد حصل لتجار الوكالة المذكورة بسبب ذلك ضرر كثير وتشويش كثير وأنهم عرضوا أمرهم هذا على الأمير كريمي جاويش حاكم الحسبة المشار إليه واتضح وتبين له أن الصابون الذي بالوكالة المذكورة قليل وأنه سعر لهم الصابون القدسي كل قنطار منه بعشرة غروش أبي كلب وطلبوا منه حضرة مولانا قائم مقام المومي إليه أن يوجه من يثق به ويعتمد عليه من كتاب مجلسه الشريف إلى الوكالة المذكورة وتحرير ما بها من الصابون بمحضر أهل الوكالة المذكورة وسماع مقالتهم وكتابة حجة بذلك وأنه وجه لذلك كاتب الحروف ورفيقه وتوجها إلى الوكالة المذكورة فوجدوا بستة حواصل منها ثلاثين حملاً من الصابون القدسي بحاصل الخواجة عثمان حملان اثنان وبحاصل الحاج محمد ملا ستة أحمال وبحاصل صالح جلبي سبعة أحمال وبحاصل الشيخ عبد الباقي حملان اثنان ونصف حمل أمانة الشيخ قاسي الدمياطي وبحاصل الخواجة فخر الدين أربعة أحمال ونصف حمل وبحاصل الشيخ عبد الباقي أيضًا ثمانية أحمال تتمة الثلاثين حملاً المذكورة وأما حاصل الخواجة خليل فإنه ليس به سوى لوح صابون وحاصل الشيخ عبد الباقي فارغ من الصابون وصدر الكشف على الحواصل المذكورة بحضور الشيخ يوسف شيخ الوكالة المذكورة وأخيه الخواجا محمد والخواجة خليل والأمير صالح جلبي المتفرقة والشيخ عبد الباقي وولده عبد القادر والشيخ عابدين الخلوتي من أهل الوكالة المذكورة والحاج شهاب الدين البرهاني مستأجرا الوكالة المذكورة وغيرهم من أهل المحلة المذكورة وإطلاعهم على ذلك وأخبروا أن بالوكالة المذكورة حاصلاً لإبراهيم جلبي مباشر سيدنا خليل الرحمن به أحد عشر حملاً من الصابون وهو غايب منذ سنين والحاصل مقفول وحاصلاً للخواجة محي به صابون أمانة بشارة النصراني وهو غايب والحاصل مقفول وأن باقي الحواصل التي بالوكالة المذكورة بعضها للمطربازية وفيها بعض الصابون وبعضها بيد أنفار غايبين ومسافرين وحواصل مقفولة وعاد شاهدان المذكورين وأخبروا مولانا قايم مقام بذلك وأبقى الحال في ذلك على هذا المنوال وخرجوا على أن يبيع التجار بالوكالة للمتسببين المذكورين الصابون القدسي كل قنطار بعشر غروش كلب بغير زيادة على ذلك ما جرى وقع التحرير في غاية شهر ربيع الثاني سنة ١٠٥٨هـ».

المصدر: السيد سمير عبد المقصود: المرجع السابق، ص٣٠٢، ٣٠٣.

التاريخ: ٢٩ ربيع الآخر ١٠٥٨هـ/٢٣ مايو ١٦٤٨م.

ملحوظات:

- توضح الوثيقة تولي أحد المقدسيين مشيخة طائفة التجار بوكالة الصابون بالقاهرة.
- النزاع حول سعر الصابون.
- تحديد القاضي سعر قنطار الصابون بعشرة قروش أبي كلب.

ملحق «١٤»

علاقات نصارى القدس الاجتماعية في القاهرة في القرن الثامن عشر

«تصادقت الذمية أنا المرأة بنت الذمي شاهين مع كل من بنت زوجها الذمي شاهين ولد الذمي مراد النصراني الأرمني المخيشاتي كان بالوكالة الجديدة بخط سوق الصاغة هي الذمية مريم المرأة وعمتها الذمية بري خان بن الذمي مراد بشهادة كل من زوج مريم هو الذمي ميخاييل ولد الذمي فرحات النصراني الحلبي الماروني وزوج بري خان المرقوم هو الزمي أروتين ولد الذمي عطا الله النصراني القدسي الحايك ولد الذمي أروتين النصراني الأرمني بازرجان باشا والذمي داود وأروتين ولدا الذمي بترس النصراني الصايغ الأرمني كل منهم .. على هلال الذمي شاهين المخيشاتي وانحصار إرثه في زوجته وبنته من غيرها مريم وأخته بري خان المتصادقات... وقبضت الذمية أنا الزوجة من قبل بنت زوجها وأخته خمسين شريفيًا زنجرليًا وهو القدر الذي وقع عليه الصلح نظير حقها الثمن.. بعد أن صدقت أنا على استقرار جميع الحصة التي قدرها ١٩ قيراط في المكان الكاين بخط حارة الفرنج البنادقة داخل درب بهادر بدر بنت زوجها وأخته وتصادقا على ذلك جرى ذلك وحرر في ثاني عشرين جمادى الأولى سنة أربعين ومائة وألف».

المصدر: القسمة العربية: س٩٣، ص٢٠٢، ٣٠٣، م٤٦٢.

التاريخ: ٢٢ جمادى الأولى ١١٤٠هـ/٥ يناير ١٧٢٨م.

ملحوظات:

- دور نصارى القدس وعلاقاتهم الاجتماعية في القاهرة في القرن الثامن عشر.
- اللجوء للمحكمة الشرعية الإسلامية لحل النزاع بين أهل الذمة في العصر العثماني.
- الحكم طبقًا للشريعة الإسلامية حيث خص الأرملة الثمن.
- أيلولة العقار الكائن بحارة البنادقة للإبنة وعمتها.
- أهلية المرأة في العصر العثماني.

ملحق «١٥»

استئجار إفرنجي إنجليزي عقارًا بالقاهرة موقوف على دير بالقدس

«أجر الورتبيت مرقص ولد عطا الله النصراني الأرمني المتحدث والمتكلم على أوقاف فقرا مار يعقوب بالدير الكاين بالقدس الشريف بموجب تقريره ذلك للخواجاليل ولد داود الإفرنجي الإنجليزي .. جميع المكان الكاين بخط قنطرة الموسكي بحارة الفرنج البنادقة.. الجاري ذلك في أوقاف مار يعقوب على فقرا النصارى الأرمن وفي تصرف الورتبيت مرقص .. لينتفع الخواجاليل الفرنجي المستأجر بالمكان المذكور.. عقد واحد عبرته ثلاث سنوات كاملة متوالية هلالية كل سنة ستة وعشرون شريفيًا ذهبًا زنجرليًا زيادة ثلاثة دنانير ذهبًا زنجرليًا في كل سنة مقبوض ذلك بيد الورتبيت مرقص ستة وعشرون دينارًا أجرة سنة اثنين وأربع ومائة وألف هجرية وذلك بخصوص القسيس اعبازار ولد زكريا النصراني الأرمني والمعلم شحاذة ولد سلمون اليهودي ترجمان قنصل الإنجليز حرر في ثامن عشر شهر المحرم سنة اثنين وأربعين ومائة وألف هجرية».

المصدر: محكمة باب الشعرية: س٦٣٦، ص٢١، م٤٤.

التاريخ: ١٨ محرم ١١٤٢هـ/١٣ أغسطس ١٧٢٩م.

ملحوظات:

- قيام الورتبيت – راهب ارتقي إلى مرتبة علماء اللاهوت – بنظارة الأوقاف.
- تأجير الوقف لإفرنجي إنجليزي.
- الحرص على استثمار الوقف بزيادة الأجرة.
- حضور قس ومترجم يهودي إبرام حجة الإيجار.

ملحق «١٦»

النشاط الاقتصادي لأسرة حنا الأرمني القدسي بالقاهرة

«بحضرة كل من الذمي عازار وأخيه الذمي سركيس الصايغ كلاهما ولدا الذمي بولص الخياط المقدسي والذمي عاشق سيلان ولد الذمي جرجس والذمي داود الخردجي والذمي تادرس ولد الذمي مرديوس والذمي حنا النقاش وولده الذمي أروتين وولده الذمي جرجس النقاش النصراني كل منهم والذمي يوسف الجوخي بخان الحمزاوي ولد الذمي شكري النصراني الحلبي الشهير بالصباغ والذمي نسيم الصايغ بخط الصليبة ولد الذمي حنا النصراني القبطي والذمي يوسف ولد الذمي سركيس الصايغ... اشترى الذمي أروتين الجواهرجي بدار الضربخاناة ولد الذمي حنا النقاش بماله لنفسه من بايعته أخته شقيقته منكشة المرأة ... بشهادة كل من والدها الذمي حنا النقاش وزوجها سركيس الصايغ وولدها الذمي يوسف .. جميع الحصة التي قدرها ثلثا قيراط وثمن قيراط وستة أسباع ثلث ثمن قيراط وسبع ثمن ثلث ثمن قيراط في كامل بنا الجزء المفروز بالقسمة قبل تاريخه الكاين ذلك بخط ميدان الغلة بمصر المحروسة قريبًا من حارة الشيخ الرملي داخل درب بسوق جنينة سودون .. ثمن ذلك ستة وستون ريالاً حجرًا بطاقة تحريرًا في ثالث محرم الحرام سنة اثنان وتسعين ومائة وألف هجرية».

المصدر: محكمة الصالحية النجمية: س٥٢٩، ص٤٠٢، م٧٣٦.

التاريخ: ٣ محرم ١١٩٢هـ/ ١ فبراير ١٧٧٨م.

ملحوظات:

- اهتمام المقدسيين في مصر بالاستثمارات العقارية.
- الاستثمار داخل إطار الأسرة البائع والمشتري قدسي.
- حضور مجموعة من المقدسيين للتصديق على البيع.
- المشتري أروتين بن حنا الأرمني رسام الأيقونات الشهير والبائع منكشة ابنة حنا وأخت أروتين.
- توضح الوثيقة العلاقات الاقتصادية داخل نطاق العائلة المقدسية في مصر.

ملحق «١٧»

دور المرأة المقدسية في الاستثمارات العقارية في مصر

«اشترت الذمية مريم المرأة المدعوة قدسية بنت الذمي ميخاييل النصراني القدسي بمالها من بايعها زوجها الذمي سركيس ولد الذمي حزبك النصراني الأرمني الصايغ فباعها جميع الحصة التي قدرها الربع ستة قراريط في جميع منفعة الخلود والسكنى والانتفاع بجميع المكان الكاين بخط الموسكي داخل درب الجنينة المعروف بالأرمن المحدود بحدود أربع الحد القبلي الذمي سيدهم النصراني والبحري للزقاق ومن الواجهة والباب الشرقي لمكان المرحوم الحاج حجازي والغربي لمكان يوسف النصراني ثمن ذلك تسعة آلاف نصف فضة بحضور المحترم علي بن إسماعيل حنيش المعروف بكرات والذمي أوديك ولد خشادور القسيس والذمي اصفادور ولد الذمي حلاجي مطران النصارى الأرمنية حرر في سادس عشرين ذي القعدة سنة ثمانية ومائة وألف الهجرية».

المصدر: سجلات محكمة باب الشعرية: س٦٢٩، ص٢٣٨، م٥٩١.

التاريخ: ٢٦ ذو القعدة ١١٠٨هـ/ ١٦ يونيو ١٦٩٧م.

ملحوظات:

- توضح الوثيقة دور المرأة المقدسية في الاستثمارات العقارية.
- تجاور مساكن المسلمين وأهل الذمة.
- حضور مسلمين تحرير عقود البيع والشراء الخاصة بالنصارى.
- دور الإلكيروس في المجتمع وحضورهم للتصديق على عقود شراء.
- تسجيل عقود البيع والشراء بالمحكمة الشرعية.
- أهلية المرأة المقدسية وقيامها بإبرام عقود البيع والشراء بدون ولي.

ملحق «١٨»

وقف بالقاهرة على دير القمامة بالقدس الشريف

«بحضرة مجموعة مسلمين وأقباط ... أنزل المعلم لطفي سيده ولد المعلم شاهين النصراني الشامي التاجر هو بخان الحمزاوي الكبير بخط البندقيين الوكيل الشرعي على ابنة أخيه الذمية حنة المرأة بنت الذمي إبراهيم ولد المعلم شاهين سيده بشهادة الذمي جرجس موسى وزوجها الذمي سمعان ولد الذمي جبران الشامي الحاضر بالمجلس بمال ابنة أخيه الذمية حنة موكلته المذكورة من مبدلها الذمي صالح ولد الذمي سعد النصراني اليعقوبي المباشر وهو الناظر الشرعي يومئذ على وقف دير القمامة بالقدس الشريف... فأبدله لابنة أخيه الموكلة المذكورة جميع الحصة التي قدرها الثلث في كامل المكان القايم على الأرض المحتكرة الكاين بمصر المحروسة فيما بين قنطرة الموسكي والقنطرة الجديدة بحارة القنصل برأس حارة الفرنج داخل درب بهادر قريبًا من مقام الشيخ الرملي ثمن ذلك أربعماية ريال حجر بطاقة جرى ذلك وحرر في ثاني عشرين جماد أول سنة أربع وثمانين وألف هجرية».

المصدر: محكمة الباب العالي: س٢٧٥، ص٢، م١.

التاريخ: ٢٢ جمادى الأولى ١١٨٤هـ/ ١٤ سبتمبر ١٧٧٠م.

ملحوظات:

- إيقاف عقار على دير القمامة أي كنيسة القيامة بالقدس الشريف.
- نظارة قبطي على الوقف.
- نصراني شامي وكيلاً عن ابنة أخيه.
- توضح الوثيقة استثمارات الأوقاف.
- تعاون النصارى في القضايا التي تتعلق بأوقافهم.
- حضور مسلمين للتصديق على حجة إبدال أوقاف القدس.
- تؤكد الوثيقة قوة العلاقات بين المسلمين والنصارى.

ملحق «١٩»

استئجار وقف إسلامي بالقاهرة وإيقافه على دير للنصارى بالقدس الشريف

«لدى مولانا شيخ الإسلام زيد قدره أشهد على نفسه كل من الإخوة الأشقا الثلاث هم الذمي إبراهيم والذمي سركيس والذمي خدا وردي الرجال أولاد الذمي مراد النصراني الأرمني الصايغ كان ووالدتهم الذمية جل المرأة بنت الذمي بطرس النصراني الأرمني أنهم صدقوا على صحة الوقف الصحيح الشرعي الصادر من مورثهم الذمي مراد الهالك إلى حيث شاء الله تعالى لجميع البنا القايم على الأرض المحتكرة الجارية في وقف أزبك الأتابكي ووقف الملاك الكاين ذلك بخط الموسكي داخل درب الجنينة على نفسه أيام حياته ثم من بعده على أولاده الثلاث بالسوية بينهم بما شاؤا منه سكنًا وإسكانًا واستغلالاً وكافة وجوه الانتفاعات ومن بعدهم على أولادهم ومن لم يكن له ولد انتقل ذلك منه إلى إخوته وأخواته المشاركين له في الدرجة وفي الاستحقاق ... لحين انقراضهم أجمعين فإذا انقرضوا وأبادهم الموت وخلت بقاع الأرض منهم أجمعين كان ذلك وقفًا على دير ماري يعقوب الكاين بالقدس فإن تعذر فعلى فقرا النصارى القاطنين بالدير المرقوم فإن تعذر ذلك فعلى فقرا النصارى أينما كانوا وحيثما وجدوا... على أن يصرف من وقفه هذا تسعون نصف فضة على ما بين فيه ما هو لوقف أزبك الأتابكي وخمسة أنصاف فضة لوقف الملاك البحري وخمسة وعشرون نصف على أجرة الأرض المحتكرة الجامعة للبناء المرقوم وما هو لدير ماري يعقوب ستون نصف فضة والنظر في ذلك لنفسه أيام حياته ومن بعده للأرشد من أولاده ثم من بعدهم للأرشد من الموقوف عليهم وعند انقراضهم وأيلولته لفقرا النصارى فلمن يقرره حاكم المسلمين الحنفي وتصادقوا على ذلك جرى ذلك وحرر في ثالث عشر شعبان سنة ستة وتسعين هجرية».

المصدر: محكمة القسمة العربية، س٦٢، ص٣٨٧، ٣٨٨، م٥١٩.

التاريخ: ١٣ شعبان ١٠٩٦هـ/ ١٦ يوليو ١٦٨٤م.

ملحوظات:

- استئجار نصارى لوقف إسلامي بالموسكي.
- وقف البناء على دير بالقدس.
- أيلولة الوقف للدير عقب انقراض الذرية.
- توزيع جزء من ريع الوقف على إيجار الوقف الإسلامي القائم على الأرض المحتكرة ووقف مسيحي آخر.
- نظارة الوقف للواقف وذريته وبعدهم يولي القاضي المسلم من يراه لنظارة الوقف.

ملحق «٢٠»

وقف قرية بصعيد مصر على مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

«مقاطعة مال حماية معصرة أبو صير الملق وقف سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام في عهدة خديجة خاتون جركس زوجة سليمان خان ٧ط وثلثاي ط وعايشة خاتون زوجة أحمد جوربجي ٥ط وثلثاي ط ونصف ثمن وشيخ نور الدين علي بن المرحوم عبد العليم ٤ط ونصف وربع وثمن ط ومحمد أغا تابع المرحوم محمد بك الألفي ٥ط ونصف وسدس ونصف ثمن».

مال حماية مذكورين وقف

سيدنا إبراهيم خليل الرحمن

عليه الصلاة والسلام

قطعة

١

المصدر: دار الوثائق، دفتر التزام رقم ١٠٦٤.

التاريخ: ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م.

ملحوظات:

- توضح الوثيقة وقف بالصعيد على مقام سيدنا إبراهيم خليل الرحمن.
- تذكر الوثيقة التزام نساء الصفوة العسكرية.
- مشاركة النساء وأحد رجالات الصفوة العسكرية في التزام قرى الأوقاف.

ملحق «٢١»

تركة نصراني مقدمي بالقاهرة في القرن الثامن عشر

«ضبط وتحرير مخلفات الذمي عازار الصايغ بوكالة آقاش الصغرى بخط البيمارستان ولد الذمي بولص النصراني الأرمني القدسي والمنحصر إرثه في زوجته ملكة الأرمنية وأخيه سركيس الصايغ بوكالة أقاش المذكورة ولد بولص النصراني الأرمني من غير شريك المشمولة مكلة بوكالة المعلن يوسف المحاسب ولد الذمي يترس اليعقوبي هو بمنزل أمير اللو الشريف السلطاني الأمير مراد بك أمير الحاج الشريف المصري سابقًا بشهادة زوج بنتها المذمي جبران والمعلم يوسف الشامي التاجر في الجوخ والمعلم أنطون الأرمني القسيس والجمع الكثير من المسلمين وطايفة النصارى المعتمدة عندهم مخلف عن الهالك بمنزل سكنه داخل درب جنينة سودون بخط الموسكي.

كامل الأعيان المخلفة ٢٥٠١ ريال حجر بطاقة و٥٧ بارة + الحصة التي قدرها ٤ قراريط المعروف بسكن سركيس المستجد الإنشا بخط قنطرة الموسكي داخل درب جنينة سودون والسدس أربعة قراريط بدر جنينة سودون بعطفة الطاحون وثلث قيراط داخل درب الجنينة الآيل له من قبل بنته صوفية الهالكة قبله.

كامل مخلفات عازار ٣٢٠١ ريال حجر بطاقة و٥٧ بارة صرف منه في موته وتجهيز وتكفين وخرجة الهالك وطلعات ومصرف وديون بذمة الهالك ٢٥,٠٠ نصف فضة.

٠,٤٦٦ نصف عوايد شيخ الصاغة

١٩,٣٥٠ نصف دين الذمية مريم بنت حنا

٣,٦٠٠ نصف دين الذمية مريم قرض شرعي قبل هلاكه

٩,٠٠٠ نصف دين الذمية سيدة بموجب حجة شرعية

٣,٦٠٠ نصف دين الذمية سرية بنت يوسف في غرة القعدة ١٢٠٠

١٣,٥٠٠ دين الذمية مريم بنت يوسف

١,٨٥٥ دين المعلم إبراهيم البويجي

١,٠٨٠ دين المعلم حنا عازار

٣,٦٤٥ دين الذمي نسيم اليهودي

٠,١١٦ عوايد سوق الصاغة

٠,٢٠٠ دين عمر الحطاب ثمن حطب

٠,٨٧٦ دين الخدم وأجرة الحاصل

٠,٥٨٥ دين الذمية لوسية الأرمنية بشهادة أرمن

٠,٢٢٥ جامكية الحرمة حسني الخدامة لغاية رمضان المرقوم

٠.١٢١ دين خليل البغلي باقي نقل بضاعة

٠,٨٦٠ دين الذمي بترس البوايجي

٠,٢١٥ دين الذمي يوسف الحكيم

٠,٢٨٠ دين الذمي يعقوب اليهودي

١,٨٨٠ دين المعلم جرجي الفرنجي

٠,٢٧٠ دين الحكيم الفرنجي

٣,٠٩٤ دين المعلم أنطون زغيب الشامي

٢,٢٧٠ دين المعلم جرجس الصايغ ومبلغ قرض

٣,١٢٠ دين الذمي جرجس الصايغ ثمن الماس

٠,٤٥٠ دين الذمي الأستى نسيم سعد

٣,٧٨٠ مصاريف هالكة بمنزل أمير اللوا مراد بيك

٠,٤٧٣ أجرة سكن

كامل الديون والمصاريف ١٧٢١ بطاقة و٥٨ = ١٥٤,٩٤٨ بار

وما هو في نظير إسقاط حق ملكة ثلاثة آلاف ريال

الباقي بعد المصاريف

٧٣٠ ريال بطاقة

ملكة الربع ١٨٢ ريال بطاقة

سركيس الأخ الباقي ٥٤٧ ريال بطاقة

وصدق سركيس على براءة ذمة ملكة الزوجة من ممتلكات أخيه»

المصدر: محكمة القسمة العربية: س١٢٩، ص ص٢٥٥: ٢٥٩، م٣٥٣.

التاريخ: ١٢ ذو القعدة ١٢٠٨هـ/ ١١ يونيو ١٧٩٤م.

ملحوظات:

- ظل عازار يعمل صائغًا حتى وفاته عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م.
- انحصر إرث عازار في زوجته، وأخيه، أي لم يَعْقُبْ.
- وجود علاقات بين أسرة عازار والعاملين لدى الصفوة المملوكية آنذاك.
- حضور عدد كبير من المسلمين والنصارى حصر تركة عازار.
- كان عازار يسكن بدرب جنينة سودون بخط الموسكي.
- بلغت تركة عازار ٣٢٠١ ريال حجر بطاقة و٥٧ بارة.
- تشعب علاقات عازار الاقتصادية والاجتماعية.
- وجود خادم وخادمة لعازار مما يدل على وضع اجتماعي متميز.
- إنفاق جزء من التركة بمنزل مراد بك الأمير المملوكي الشهير.
- دقة المعاملات في العصر العثماني.

ملحق «٢٢»

تركة نصرانية مقدسية بالقاهرة في القرن الثامن عشر

«مخلفات الذمية صوفية المرأة النصرانية بنت الذمي عازار الصايغ الأرمني ولد بولص القدمي والمنحصر إرثها في زوجها المعلم جبران الباسكي التاجر بوكالة الجوالي بخط البندقيين وفي أبوابها هما الذمية ملكة بنت مخاييل النصراني الأرمني والذمي عازار الصايغ وفي ولديها من زوجها المرقوم وهما أيوب وبربارة القاصرين ثم هلك الذمي عازار عن زوجته الذمية مليكة وأخيه شقيقه سركيس الصايغ بوكالة آقاش ولد الذمي بولص من غير شريك المشمولين القاصرين بولاية والدهما الزوج والمشمولة الذمية مليكة بوكالة سيدنا الشريف زين الدين والسيد مصطفى الدمنهوري الشافعي والسيد الشريف علي الدمنهوري وبشهادة المعلم حنا ولد الذمي عازار الجواهرجي النصراني الأرمني والقسيس يني ولد كرابيد النصراني الأرمني مُخلف عن صوفية الهالكة تحت يد زوجها جبران بمنزل سكنها بدرب جنينة سودون بحضرة طايفة النصارى والقسيس المعتمد عندهم

جملة المخلف ٢٢٤٠ ريال بطاقة و٢٠ بارة

صرف منها في تجهيز وتكفين وفي كلفات معلومة عندهم وفي صدقات وبشهادة المعلم سركيس أخو عازار الأب وفي دين زوجها المعلم جبران المترتب له بذمتها وتصديق الورثة ملكة والمعلم سركيس

٥٠٠ بطاقة التكفين والتجهيز والتصدق والصدقات

٣٥٠ بطاقة دين الزوج جبران

١٠٠ بطاقة مصاريف متفرقة

٩٥٠ بطاقة كامل الديون والمصاريف

١٢٩١ بطاقة و٢٠ بارة الباقي

٣٢٢ بطاقة و٥ بارة الزوج المعلم جبران

٣٥٨ بطاقة و٦١ بارة أيوب القاصر الابن

١٧٩ بطاقة و٣١ بارة بربارة القاصرة البنت

٢١٥ بطاقة و١٨ بارة الذمية ملكة الأم

٢١٥ بطاقة و١٨ بارة المعلم عازار الأب ويحسب ضمن مخلفاته

مقبوض ما خص المعلم جبران الزوج مع دينه ومع بدل الصرف الشرعي الذي صرفه في التجهيز والتكفين والطلعات والصدقات بيده وملكه قبضت نصيبها وسركيس نصيب أخيه عازار والقاصران تحت يد والدهما».

المصدر: القسمة العربية: س١٢٩، ص ص٢٤٩ : ٢٥١، م٣٥٠.

التاريخ: ١٢ ذو القعدة ١٢٠٨هـ/ ١١ يونيو ١٧٩٤م.

ملحوظات:

- كانت صوفية ابنة عازار الأرمني القدسي زوجة لتاجر قبطي، وكانت تسكن في درب الجنينة.
- انحصر إرثها في زوجها وولديها، ووالديها.
- كان القاصران مشمولين بوكالة والدهما.
- كانت الأم ملكة مشمولة بوكالة ثلاثة من المسلمين "من الأشراف".
- حضر حصر التركة القس الأرمني، وجمع من النصارى الأرمن.
- خرج من التركة مبلغ سبيل التصدق والصدقات.
- سلاسة المعاملات في العصر العثماني.

ملحق «٢٣»

إثبات أحقية الأقباط في دير السلطان

«كتاب من مطران الحبشة إلى غبطة بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر، موقع عليه من اثنين من المطارنة الأقباط، يقرر فيه مطران الحبشة بأن قنصل إيطاليا، الذي كان مكلفًا من قبل إمبراطور

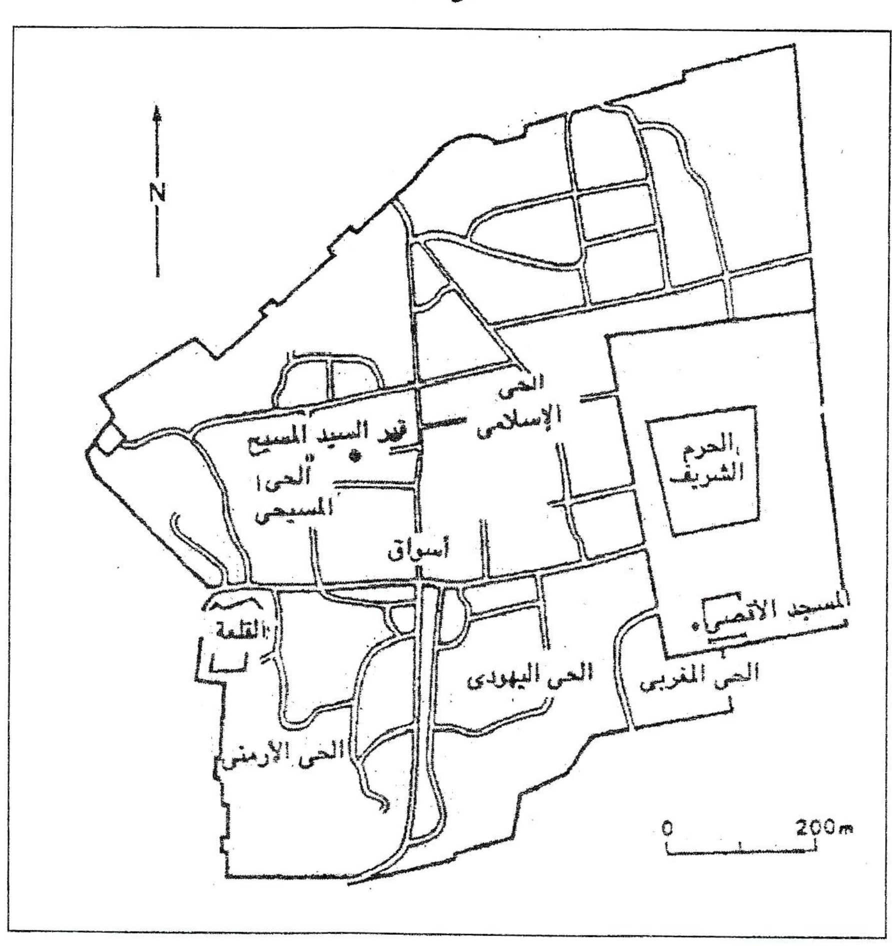
الحبشة بمباشرة مسألة دير السلطان قد أطلع على مستندات الأقباط واقتنع بما جاء بها ورأى أنها من المستندات القوية القديمة المسجلة بالديوان الهمايوني...».

المصدر: مصطفى عبد الغني: المرجع السابق، ص٢٣٠.

التاريخ: ١٣ مايو ١٩٠٢م.

ثانيًا الأشكال

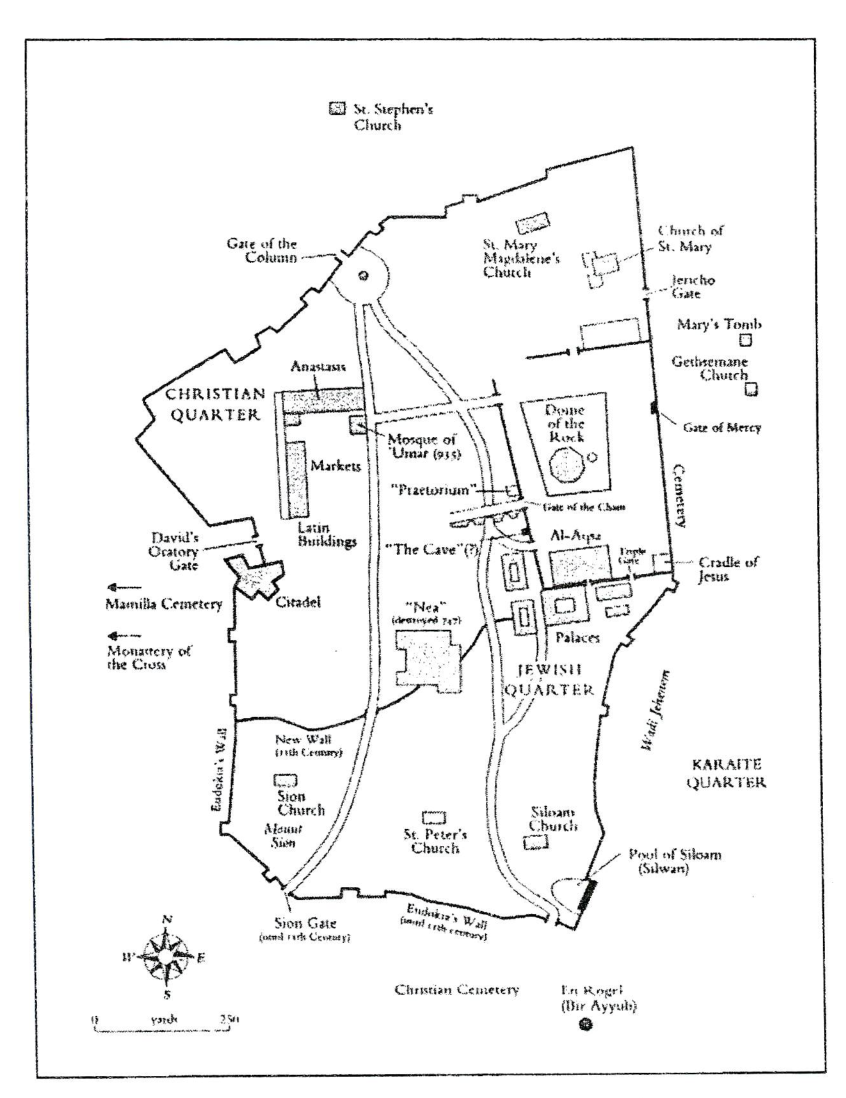
شكل «١»



العمران الإسلامي والمسيحي واليهودي.

نقلاً عن: فتحي عثمان

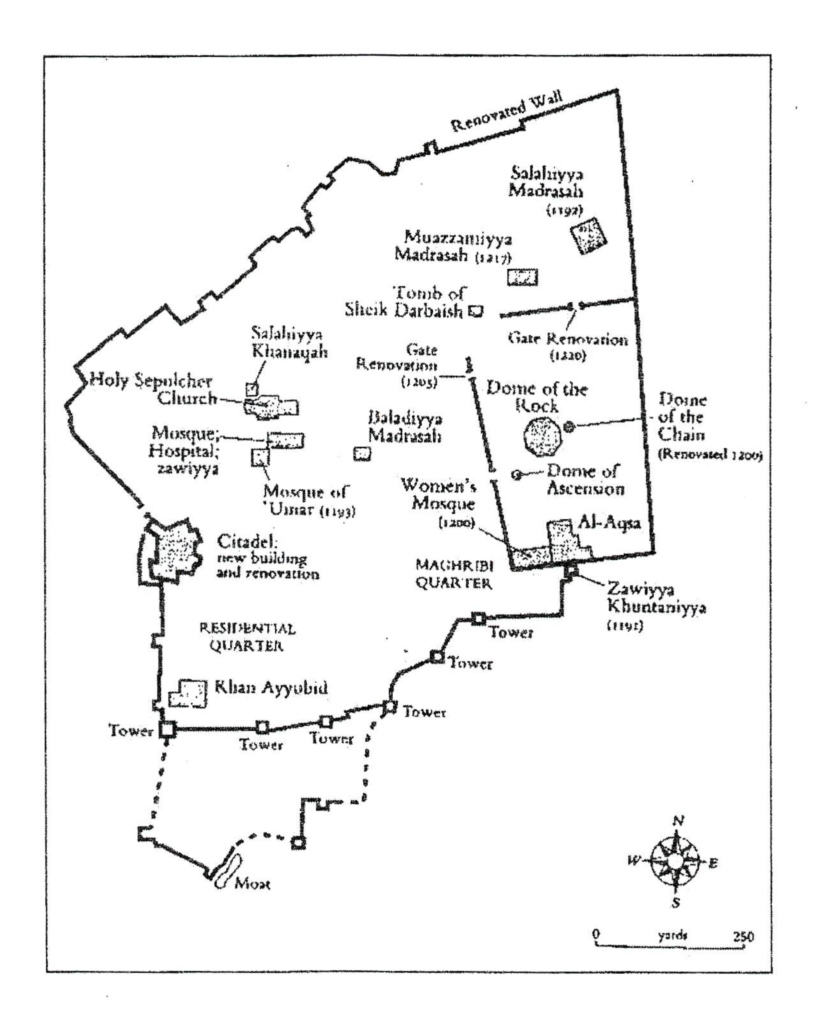
شكل «٢»



القدس الشريف في العصر الإسلامي ٦٣٨ – ١٠٩٩م

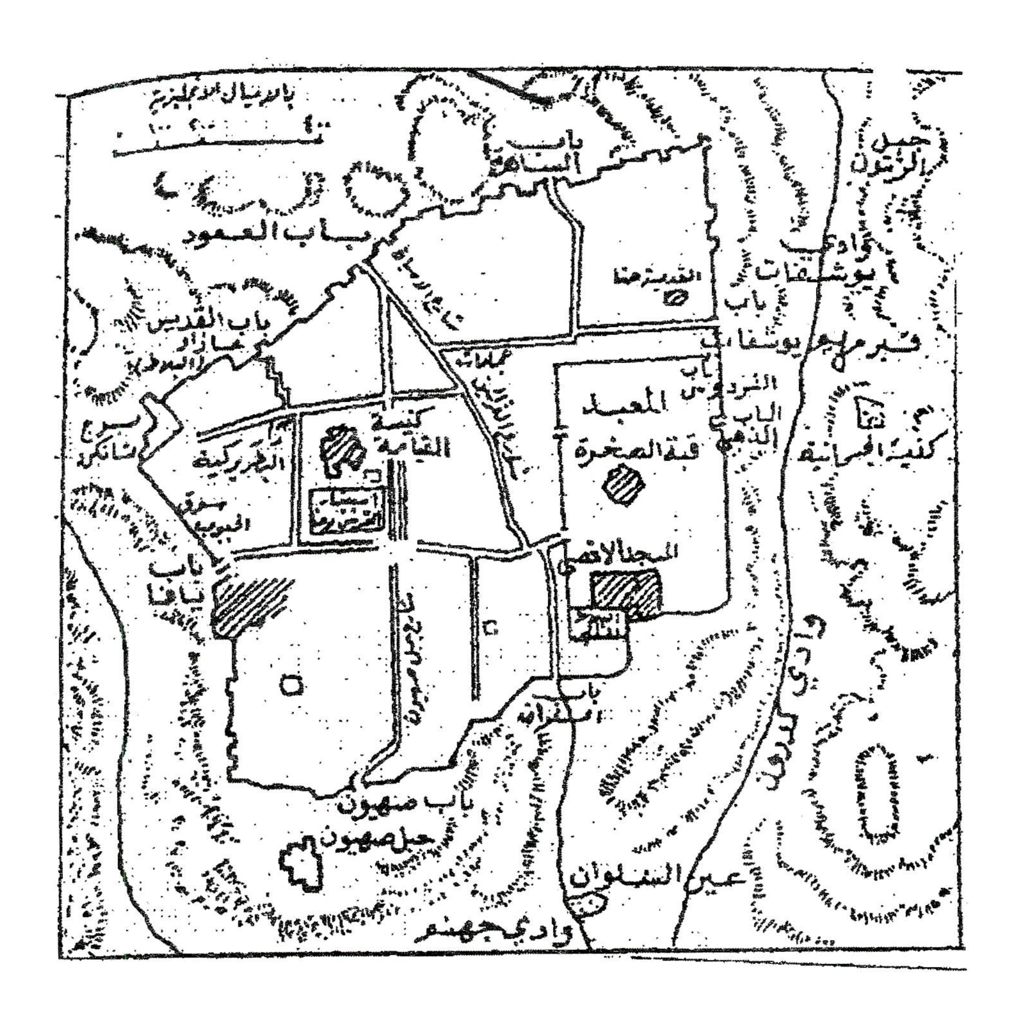
نقلاً عن: كارين أرمسترونج

شكل «٣»



القدس الشريف في العصر الأيوبي ١١٨٧ - ١٢٥٠م

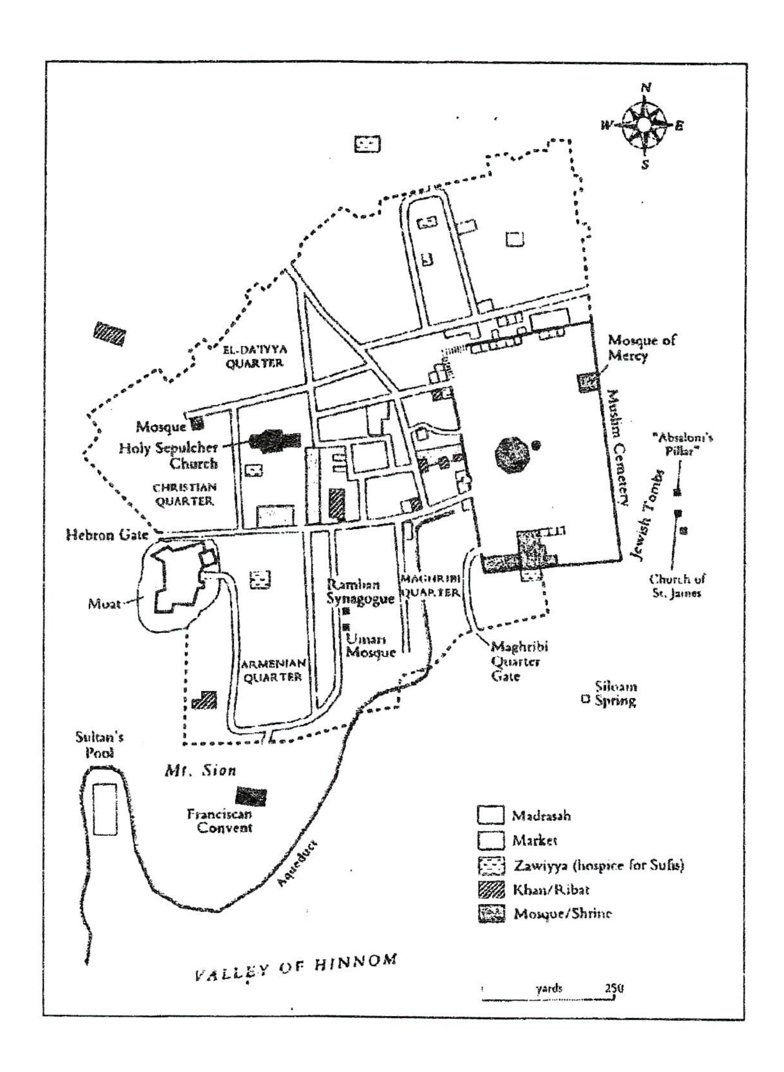
شكل «٤»



طبوغرافية العمران في القدس في العصور الوسطى

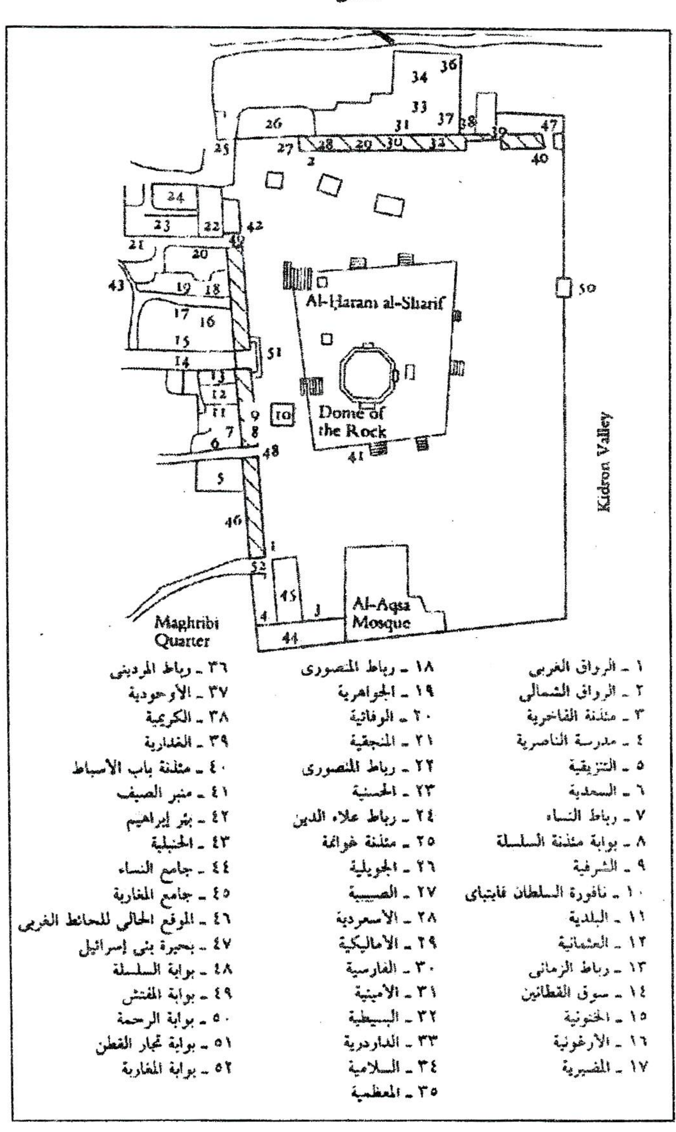
نقلاً عن: فتحي عثمان

شكل «٥»



تطوير القدس الشريف في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠ -١٥١٧م.

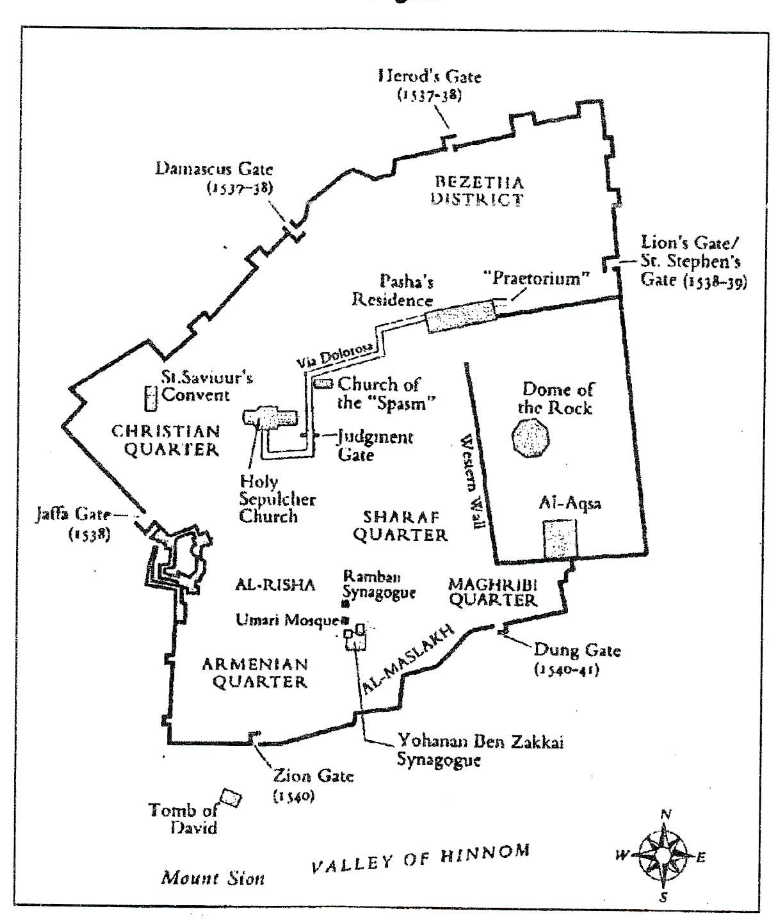
شكل «٦»



تطوير الحرم الشريف في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠-١٥١٧م.

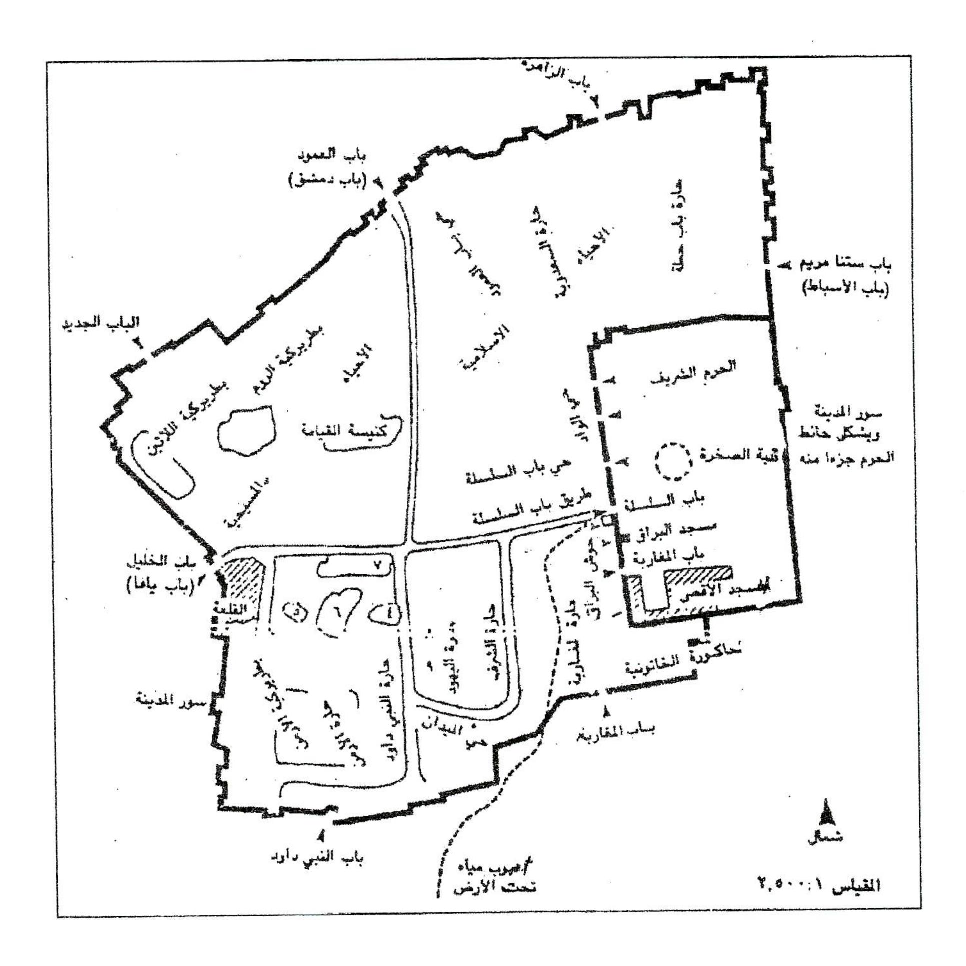
نقلاً عن: كارين أرمسترونج

شكل «٧»



القدس الشريف في العصر العثماني ١٥١٧ – ١٩١٧م

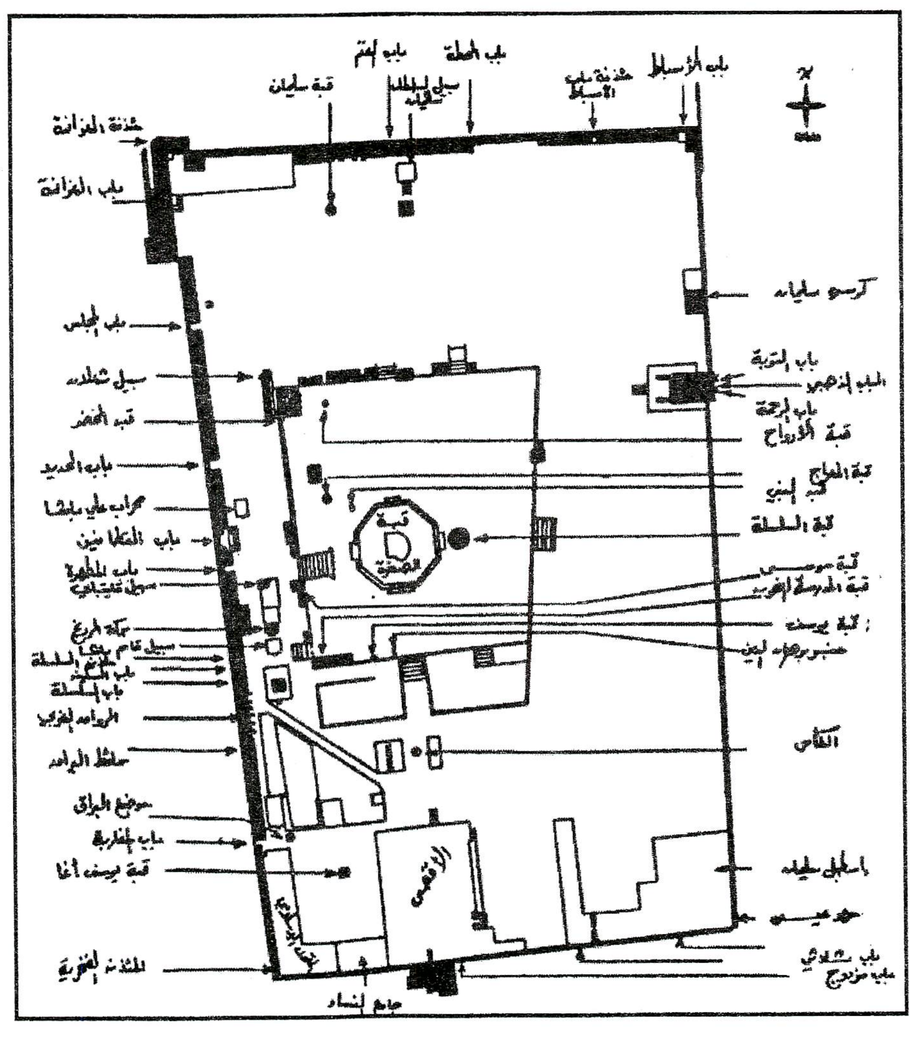
شكل «٨»



أبواب القدس والعمران فيها

نقلاً عن: مصطفى عبد الغني

شكل «٩»

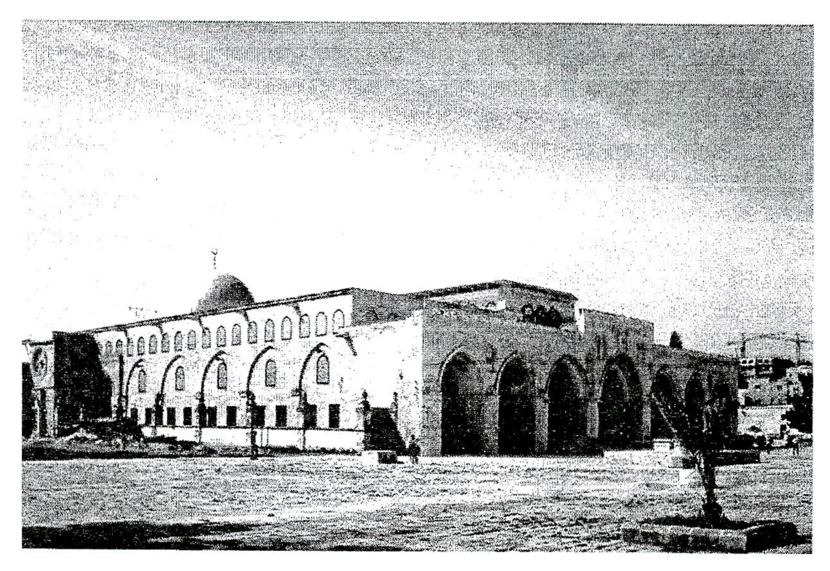


الحرم القدسي الشريف

نقلاً عن: خالد عزب

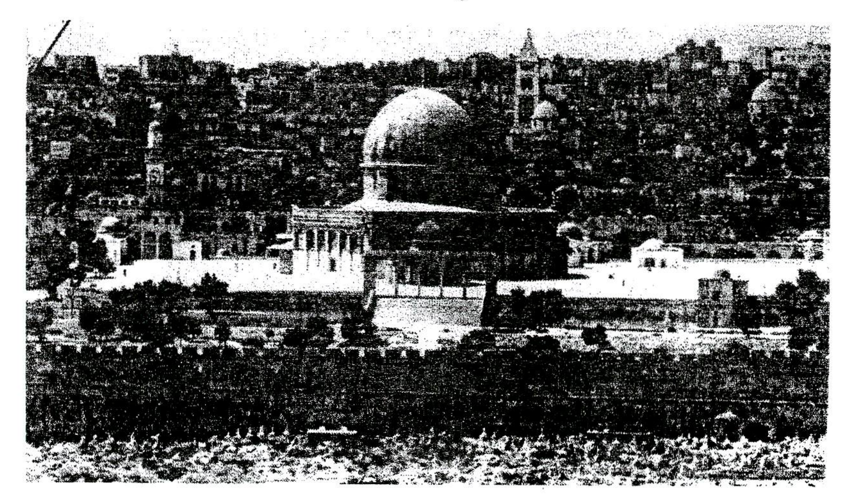
ثالثًا : اللوحات

لوحة «١»



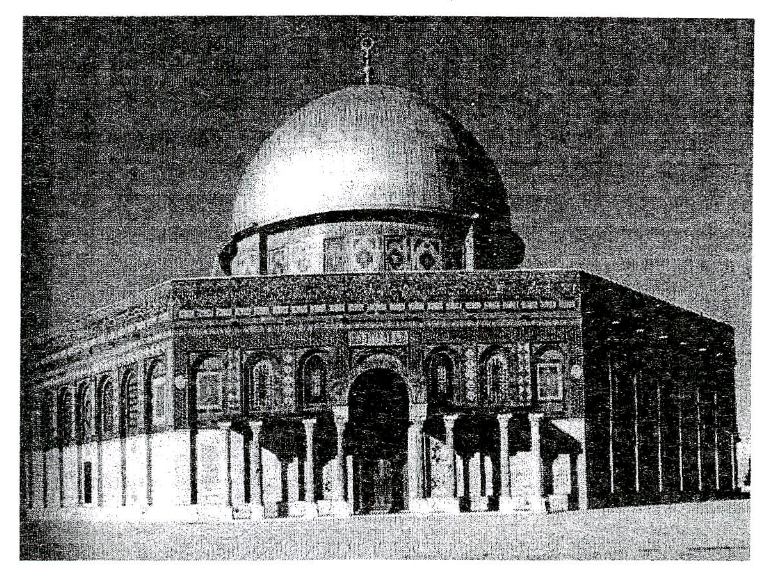
المسجد الأقصى

لوحة «٢» :



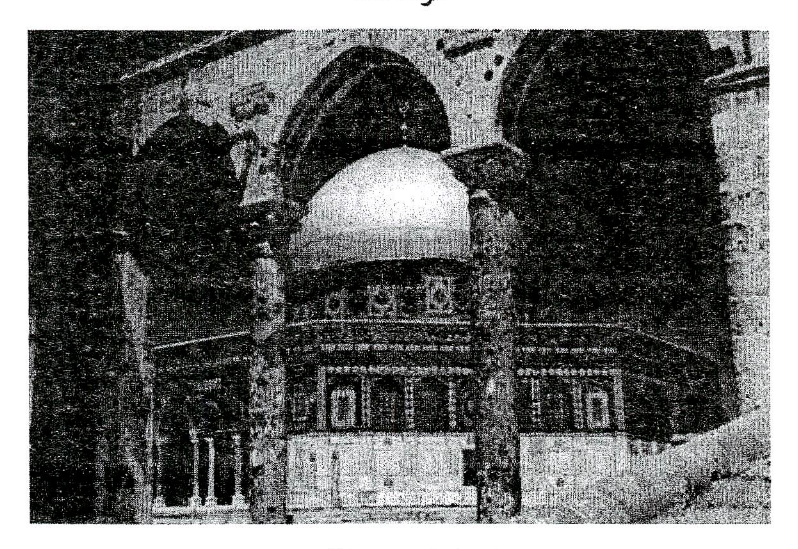
الحرم القدسي الشريف

لوحة «٣»



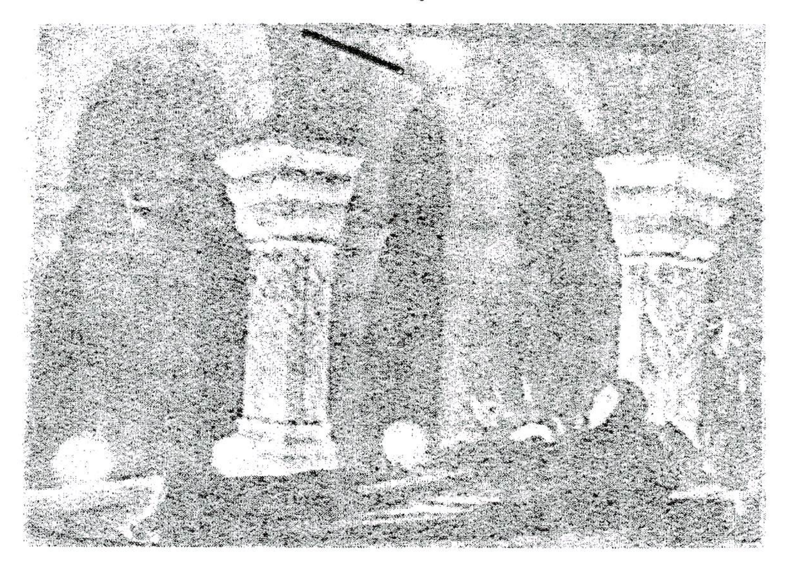
مسجد قبة الصخرة

لوحة «٤»



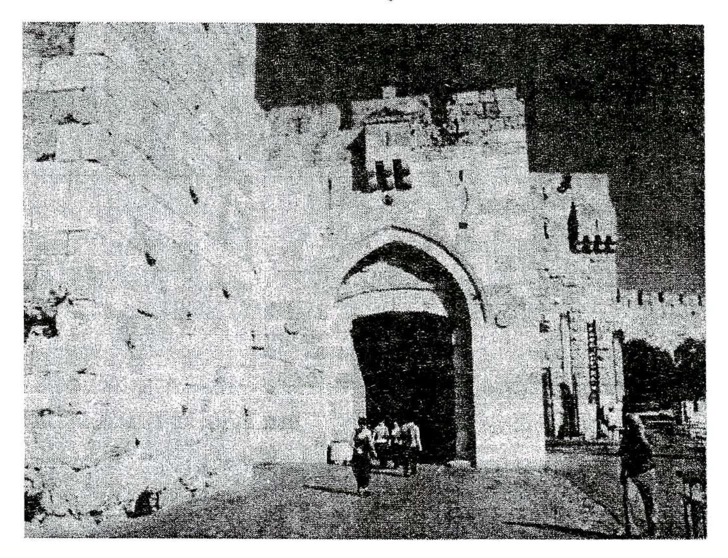
منظر عام لمسجد قبة الصخرة

لوحة «٥»



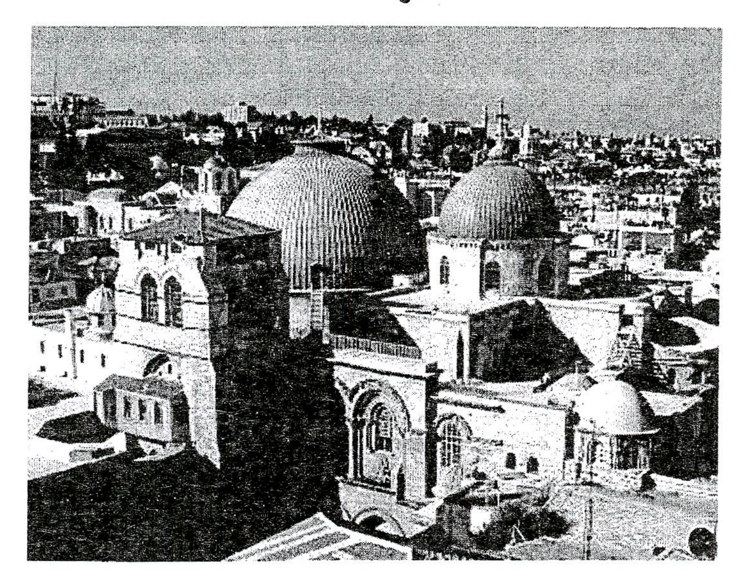
قبر العذراء بكنيسة العذراء

لوحة «٦»



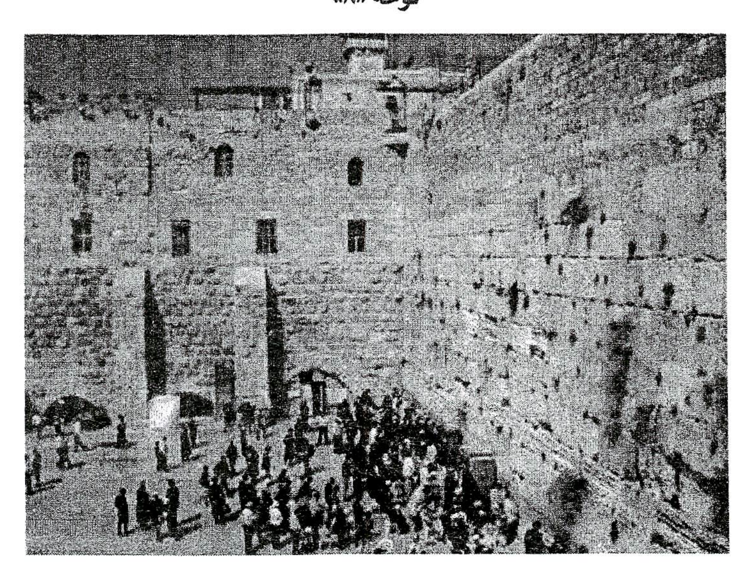
باب الخليل بالجانب الغربي لسور القدس

لوحة «٧»



كنيسة القيامة

لوحة «٨»



حائط البراق

المصادر والمراجع

أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة :

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

(أ) سجلات المحاكم الشرعية :

- محكمة الباب العالي: س٨٥، ٩٨، ١٢٦، ١٥٥، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ٢١٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١١، ٣١٢.
- محكمة باب الشعرية: س ٥٩٦، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٤٤.
- محكمة القسمة العربية: س١ مكرر، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧٥، ٧٦، ٨٨، ٩٣، ٩٨، ١٠٦مكرر، ١٠٨، ١١٦، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩.
- محكمة الصالحية النجمية: ميكروفيلم ٢١٣، س٤٧٥، ٤٨١، ٥١٨، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥.
- محكمة الزاهد: س٦٨١، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠.
- قسمة عسكرية: س١٤٦.
- محكمة الإسكندرية: س٨٦.

(ب) وثائق الروزنامة :

- دفاتر الالتزام: «فروخت نقود مقاطعات قرى خاصة تابع ولايات» دفتر رقم ٩٥٠، ٩٥١، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٦٤.

ثانيًا : المخطوطات:

- حجة وقف الأمير مصطفى بن بهرام، تاريخ تيمور، ٤٣٣، ميكروفيلم ٣٠٣٠٠.
- مرعي بن يوسف: قلائد العقيان في فضائل آل عثمان، مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج، رقم ٦٠ (تاريخ).

ثالثًا : المصادر العربية:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم الصوالحي: تراجم الصواعق في واقعة الصناجق، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة ١٩٨٤.
- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢-١٩٨٤.
- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣.
- ابن زنبل الرمال: آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، أشرف على الطبعة الجديدة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨.
- أحمد شلبي بن عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٨.
- إسماعيل الخشاب: أخبار أهالي القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، وعماد أبو غازي، القاهرة ١٩٩٠.
- برهان الدين بن الفركاح الفزاري: باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، تحقيق: أحمد عبد الباسط وأحمد عبد الستار، مراجعة: نجوى مصطفى كامل، الطبعة الثانية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.

- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣.
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت).
- الكندي: كتاب ولاة مصر، بيروت ١٩٨٧.
- المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: مصطفى زيادة وسعيد عاشور، القاهرة ١٩٧٣.

رابعًا: المصادر الأجنبية:

- Brown, W., G., Nouvau Voyage Dans La Haute et Basse Égypte, La Syrie, Le Darfour, Paris, 1800.
- Jhistel. J., Voyage en Égypte, 1482-1483, IFAO, Le Caire, 1976.
- Lithegow, W., Voyages en Égypte des anneés, 1611 et 1612, IFAO, Le Caire, 1973.
- Sonini, C. S., Voyage Dans La Haute Et Basse Égypte Tom III, Paris, (W.D).

خامسًا: المصادر الأجنبية المعربة:

- ألكسندر وليم كنغليك: رحلة كنغليك إلى المشرق، ١٨٣٤-١٨٣٥، ترجمة: محمود عابدين، عمان ١٩٧١.
- الأمير رودلف: رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (مصر والقدس) ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦.
- أوليا جلبي: سياحتنامة مصر، ترجمة: محمد علي عوني، تحقيق: عبد الوهاب عزام، وأحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة أحمد فؤاد متولي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- جيرار: الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، وصف مصر، ترجمة: زهير الشايب، ج٤، دار الشايب للنشر، القاهرة ١٩٧٨.

- جوزيف بتس: رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥.
- جومار: وصف مدينة القاهرة، قلعة الجبل، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، ط١، القاهرة ١٩٨٨.
- الحاج بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، مراجعة: مصطفى الحياري، دار الشروق، عمان ١٩٩٥.
- صمويل برنارد: الحياة الاقتصادية في القرن الثامن عشر، الموازين والنقود، ج٣، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة ١٩٨٠.
- ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣.
- الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ج٢، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣.
- ڤارتيما: رحلات ڤارتيما (١٥٠٩-١٥٠٣م) ترجمة وتعليق: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤.

سادسًا : المراجع العربية والمعربة:

- أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩.
- أحمد حامد إبراهيم: نصارى القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦.
- أحمد رمضان: بيت المقدس، بحث ضمن أبحاث ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.

- أحمد عبد الرازق أحمد: أضواء على المسجد الأقصى وبعض الكتابات الأثرية فيه زمن سلاطين المماليك، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- أسعد منصور: تاريخ الناصرة منذ أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، مطبعة الهلال، القاهرة ١٩٢٣.
- ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: نبيل صلاح الدين، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.
- أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية (١٩٣٥-١٨٥٥م) جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣.
- أندريه ريمون: الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، ترجمة: ناصر أحمد وباتسي جمال الدين، مراجعة: رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.
- ــــــــ: القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، والتوزيع، القاهرة ١٩٩٤.
- ــــــــ: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١.
- ــــــــ: المصريون والفرنسيون في القاهرة ١٧٩٨-١٨٠١م، ترجمة: بشير السباعي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١.
- بهاء فاروق: حكاية فلسطين بالخرائط والوثائق، الطبعة الثانية، دار هلال للنشر والتوزيع، الجيزة ٢٠٠٦.
- بيرج ترزيان: الحي الأرمني بالقدس، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٧، يوليه ٢٠٠١.

- جمال كمال محمود: الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠.
- ــــــــ: الأرمن في مصر في العصر العثماني، دراسة تاريخية وثائقية، المجلس الأعلى للثقافة، قيد النشر.
- ــــــــ: المصريون والأرمن في العصر العثماني، بحث ضمن أبحاث مؤتمر العلاقات العربية الأرمنية عبر العصور، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٩م.
- ــــــــ: أوقاف دير مار يعقوب الأرمني بالقدس الشريف في العصر العثماني، بحث ضمن أبحاث مجلة الروزنامة، دار الكتب والوثائق القومية، العدد السابع، القاهرة ٢٠٠٩.
- ــــــــ: حارة البنادقة بالقاهرة في العصر العثماني، ضمن الكتاب التذكاري لتكريم الدكتور/ لطيفة سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.
- ــــــــ: عازار الأرمني صائغ في القاهرة في القرن الثامن عشر، بحث ضمن أبحاث ندوة العلاقات الاقتصادية العربية الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠١٠م.
- ــــــــ: هجمات البدو وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في ريف الدلتا في العصر العثماني، بحث ضمن أبحاث ندوة البدو في الوطن العربي عبر العصور، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٥.
- حسام عبد الظاهر: القدس في التراث العربي، كشاف عام بالمخطوطات في مكتبات العالم، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- حسنين محمد ربيع: القدس مدينة عربية إسلامية، بحث ضمن أبحاث كتاب ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.

- خالد عزب: عمارة المسجد الأقصى المبارك، المسجد الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩.
- رأفت النبراوي: نقود القدس في العصر الإسلامي (العصرين الأموي والعباسي)، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- ربيع حامد خليفة: قبة الصخرة في كتابات المؤرخين والرحالة المسلمين، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- روبين جرابيديان: الأرمن في القدس: بحث ضمن أبحاث كتاب العلاقات العربية الأرمنية الماضي والحاضر، مركز الدراسات الأرمنية، جامعة القاهرة ٢٠٠٩.
- سحر علي حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج١، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٣.
- ــــــــــ: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٤.
- سلوى ميلاد: الوثائق العثمانية، دراسة أرشيفية وثائقية لسجلات محكمة الباب العالي، دار الثقافة العلمية، ط١، الإسكندرية ٢٠٠١.
- سليمان حسانين: تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣.
- السيد سمير عبد المقصود: الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣.
- سيد فرج راشد: القدس عربية إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.

- صبري أحمد العدل: سياسة محمد علي تجاه القدس (١٨٣١-١٨٤١م) بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- عارف باشا العارف: القدس، ط٤، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٢.
- عبد الحميد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥.
- عبد الرحيم عبد الرحمن: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
- عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعاً وجامعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤.
- ــــــــ: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦.
- عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج١، العراق، ط٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠.
- عبد العزيز محمد عوض: نصارى القدس وتوابعها في أواخر العهد العثماني، مجلة القدس الشريف، العدد ٢١، ديسمبر ١٩٨٦.
- عبد اللطيف إبراهيم: دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣.
- عبد الله الأشعل: المركز القانوني للقدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩.
- عبد الله عزباوي: المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.
- عبد المنعم الجميعي: مرسوم بشأن حقوق طائفة الأرمن الأرثوذكس في القدس، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٣، مارس ٢٠٠١.

- عراقي يوسف: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
- علاء طه رزق: دراسات في تاريخ عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة ٢٠٠٨.
- علي السيد علي محمود: مكتبات عثمانية عشية العصر المملوكي في مدينة بيت المقدس، بحث ضمن أبحاث كتاب ثقافة النخبة وثقافة العامة في مصر في العصر العثماني، منشورات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط١، القاهرة ٢٠٠٨.
- علي بركات: رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.
- علي مبارك: الخطط التوفيقية لمصر القاهرة وبلادها القديمة والشهيرة، ج٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٤.
- فتحي عثمان: مدخلات من الحضارة الإسلامية على أهل الذمة في القدس الشريف فيما بين القرنين (١٣-٥هـ/١١-١٩م) دراسة آثارية عمرانية حضارية، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- قاسم عبده قاسم: صلاح الدين وحرب الاسترداد الإسلامية، تحرير القدس من الفرنج، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- كارن أرمسترونج: القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، سطور، الكتاب الرابع، القاهرة ١٩٩٨.
- لطفي عبد الوهاب: الموقع بين مصر وفلسطين في العصرين الهلينستي والروماني، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.

- ماجد عزت إسرائيل: الأبعاد الثقافية للجالية الأرمنية في القدس، بحث ضمن أبحاث ندوة العلاقات الثقافية العربية الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٩.
- ــــــــــ: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، دراسة تاريخية وثائقية، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩.
- محسن شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.
- محمد إبراهيم أبو بكر: القدس: البداية التاريخية، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠.
- محمد رفعت: تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.
- محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢.
- محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١.
- ــــــــــ: الأوقاف والوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام، عمان ٢٠٠٦.
- ــــــــــ: الخطط والحياة الاقتصادية في حارة اليهود بالقاهرة في العصر العثماني، بحث بمجلة المؤرخ المصري، عدد ١٠، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩٣.

- ـــــــــ: الوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- ـــــــــ: صورة مصر عند الرحالة المسلمين في العصر العثماني، حوليات إسلامية، حولية رقم ٣٣، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة ١٩٩٩.
- محمد علي الأنسي: قاموس الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت ١٩٠٠.
- محمد علي عبد الحفيظ: أشغال المعادن في القاهرة العثمانية في ضوء مجموعات متاحف القاهرة وعمائرها الأثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٥.
- مركز الخدمات الببليوجرافية: كتاب عن المؤلفات المنشورة عن القدس وفلسطين بشكل عام، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- مصطفى العبادي: أضواء من برديات نصتان وخربة المرو بفلسطين في فترة التاريخ العربي، بحث ضمن أبحاث ندوة آثار القدس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣.
- مصطفى بركات: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠.
- مصطفى عبد الغني: الأوقاف على القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧.
- من وثائق القدس في الأرشيف المصري، كتاب صدر بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩.
- ميكل ونتر: المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة:إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.

- ناصر عثمان: قبل أن يأتي الغرب، الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٦.
- نللي حنا: تجار القاهرة في العصر العثماني، سيرة أبي طاقية شاهبندر التجار، ترجمة رءوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٤.
- ــــــــ: ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق١٦-ق١٨م) ترجمة: رءوف عباس، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٤.
- هوري عزازيان: الأرمن في فلسطين، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٣، مارس ٢٠٠١.
- يحيى رياض: الأرمن وأملاكهم في القدس الشريف، مقال بالملحق العربي لجريدة أريف الأرمنية، عدد ٥، مايو ٢٠٠٢.
- يونان لبيب ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠.

المراجع الأجنبية :

- Baer, G., Egyptian Guilds in Modern Times, Jerusalem, 1964.
- Crecelius, D., "The Mamluk beylicate of Egypt in the Last decades before its destruction by Muhammad Ali Pash in 1811" in the Mamluks in Egyptian Politics and Society, edited by Thomas Philip and Other, Cambridge Univ-Press, London 1998.
- Chohe, Amnon, Palestin in the 18 century, Jerusalem, 1973.
- Charles Issawi, Egypt at mid-century, An Economic Survey, Oxford Univ-Press, London, 1954.
- Gazaleh, Pascale, Masters of the Trade Crafts and Crafts People in Cairo, 1750-1850, A.U.C., Egypt, 1999.
- Halil Inalck, The Middle East and the Blakns under Ottoman Empire, Indiana Univ-Turkish Studies, vol. 9, U.S.A, 1994.
- Hathaway, J., The Politics of households in Ottoman Egypt, C.U.P. London, 1997.

- Holt, P.M., Egypt and the Fertile crescent, 1516 -1922, School of Oriental and African studies, Univ. of London, 1966.
- Masters, Bruce: the Origins of Western Economic Dominance in the Middle East in (Mercantilism and the Islamic Economy in Alleppo 1600-1750), New York Univ. Press, New York, 1988.
- Meinardus, Otto, the Copts in Jerusalem, Cairo, Commission on Ecumenical Affairs of the sea of Alexandria, 1960.
- Philip, T., the Syrians in Egypt 1725-1975, Berlin, 1985.
- Shaw, Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, Harvard, 1964.
- ---------: The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517-1798, Princeton, 1962.
- Sarafian, K., The Armenian Apostolic Church, California, 1959.
- Soboul, Le Siècle Des Lumieres, Liver III, 1959, Presses Universitaires de France, Paris, 1977.
- Warren: The Survey of Western Palestine, London, 1884.
- Tuchscherer, Evolution Toponymique et Topographique de la säga du Caire ál,époque Ottomane Annales Islamologiques Analsi XXV, IFAO, Le Caire, 1991.
- Yehoshua Ben-Arieh "The population of the Large Tawins in Palestine during the First Eighty Years of the Nineteenth century According to Western Sources" in Studies on Palestine during the Ottoman Period, (ed.) Moshe Moaz, Jerusalem Magnes Press, 1975.
- Yohana, Yossef, "The Icon writer Hanna Al-Armani according to an Ottoman Legal Document" Annales Islamologiques, Analsi 37, IFAO, Le Caire, 2003.

فهرس